

الكبائر

للإمام الحافظ شمس الدين الذهبي

عبد المحسن



الكليات

للإمام الحافظ شمس الدين الذهبي

تحقيق

د. محمد عبد الحليم

مكتبة القرآن

للطبع والنشر والتوزيع
٣ شارع القباش بالفرنساوى - بولاق
القاهرة - ت ٧٦١٩٦٢ - ٧٦٨٥٩١

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة القرآن



الكتاب والمؤلف

بادئ ذي بدء ، يعد كتاب « الكبائر » من أفضل الكتب التي وصلت إلينا في بيان كبائر الذنوب وخطورتها والعواقب الوخيمة المترتبة عليها في الدنيا والآخرة .

ذلك أن هذا الكتاب يجمع بين دفتيه مميزات عديدة ؛ حيث يتعرض للكبائر من خلال القرآن والسنة ، ثم يذكر أقوال الصحابة والتابعين ، وكثيرا ما يذكر موعظة أو حكاية ترغب القارئ في اتباع الفضائل واجتناب الخطايا .

من أجل هذا لقي هذا الكتاب رواجاً كبيراً بين جمهور القراء ، لاسيما وأن مؤلفه هو الحافظ الذهبي ، الذي تمكن من علوم عصره الأساسية ، من أصول وفقه وتفسير ولغة وتاريخ وطب وما إلى ذلك . ثم تخصص في علوم الحديث والتاريخ ، فأظهر فيهما مقدرة فائقة ، جعلته يتفوق على أقرانه ، بل على شيوخه ؛ حتى صار لا يضارع في عصره في هذين المجالين .

ويكفي لنا لكي نبين أهمية وعظمة هذا العالم الجليل أن نذكر بعض أقوال الأئمة العلماء فيه :

قال الصفدي : « لم يكن عنده جمود المعده بل كان فقيه النفس ، له دراية بأقوال الناس » .

وقال ابن كثير : « وقد ختم به شيوخ الحديث وحفاظه ... » .

وقال السيوطي : « والذي أقوله : إن المحدثين عيال الآن — زمن السيوطي — حتى الرجال وغيرها من فنون الحديث على أربعة : المزي ، والذهبي ، والعراقي ، وابن حجر » .

وقال السبكي : « لانظير له ، وكبير ، هو الملجأ إذا نزلت المعضلة ، إمام الوجود حفظاً ، وذهب العصر معنى ولفظاً ، وشيخ الجرح والتعديل ، ورجل الرجال في كل سبيل » . تلك هي أقوال بعض العلماء فيه ، وليس هذا بكثير عليه ، بل هو ما يستحقه من ثناء وإعجاب ؛ فالرجل قد خلف لنا ثروة علمية رائعة في التاريخ والتراجم وعلوم الحديث نذكر منها : تاريخ الإسلام الكبير ، وسير النبلاء ، وطبقات القراء ، وميزان الاعتدال وتذهيب تهذيب الكمال ، والمجرد في أسماء رجال الكتب الستة ، والمنتقى (مختصر منها السنة لابن تيمية) ، والعلو للعلی الغفان وقد ظل الحافظ الذهبي على ما هو عليه من تأليف وتدريس حتى ضعف بصره وكف عام ٧٤١هـ ، فتوقف عن التأليف ، ولم يزل يدرس حتى مات في عام ٧٤٨هـ . ودفن بمقبرة باب الصغير بدمشق ؛ فرحمه الله رحمة واسعة ، وأسكنه فسيح جناته . وقد صدق من قال :

من للحديث وللسارين في الطلب

من بعد موت الإمام الحافظ الذهبي

وعلى الله قصد السبيل ..

مصطفى عاشور

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين وإمام المتقين وعلى آله وصحبه أجمعين .
(أما بعد) فهذا كتاب مشتمل على ذكر جمل في الكبائر والمحرمات والشبهات .

الكبائر

ما نهى الله ورسوله عنه في الكتاب والسنة والأثر عن السلف الصالحين ، وقد ضمن الله تعالى في كتابه العزيز لمن اجتنب الكبائر والمحرمات أن يكفر عنه الصغائر من السيئات لقوله تعالى :
﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلُدْخِلْكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا ﴾^(١)

فقد تكفل الله تعالى بهذا النص لمن اجتنب الكبائر أن يدخله الجنة .
وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾^(٢) . وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ ﴾^(٣) .

وقال رسول الله ﷺ : « الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتبت الكبائر »^(٤) ، فتعين علينا

(١) سورة النساء : الآية ٣١ .

(٢) سورة الشورى : الآية ٣٧ .

(٣) سورة النجم : الآية ٣٢ .

(٤) مسلم : كتاب الطهارة ، حديث ١٦ . وأحد : الجزء الثامن ، ص ٤٠٠ .

الفحص عن الكبائر ما هي لكي يجتنبها المسلمون . فوجدنا العلماء رحمهم الله تعالى قد اختلفوا فيها ، فقليل : هي سبع . واحتجوا بقول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم « اجتنبوا السبع الموبقات » فذكر منها : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات . متفق عليه^(٥) . وقال ابن عباس رضى الله عنهما : هي إلى السبعين أقرب منها إلى السبع وصدق والله ابن عباس . وأما الحديث فما فيه حصر الكبائر ، والذي يتجه ويقوم عليه الدليل أن من ارتكب شيئاً من هذه العظام ، مما فيه حد في الدنيا ، كالقتل والزنا والسرقه ، أو جاء فيه وعيد في الآخرة من عذاب أو غضب أو تهديد ، أو لعن فاعله على لسان نبينا محمد ﷺ فإنه كبيرة ، ولا بد من تسليم أن بعض الكبائر أكبر من بعض . ألا ترى أنه عليه السلام عد الشرك بالله من الكبائر ، مع أن مرتكبه يخلد في النار ولا يغفر له أبداً . قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾^(٦) .

[الكبيرة الأولى : الشرك بالله]

فأكبر الكبائر الشرك بالله تعالى وهو نوعان : أحدهما — أن يجعل لله نداً ويعبد غيره ، من حجر أو شجر أو شمس أو قمر أو نبي أو شيخ أو نجم أو ملك أو غير ذلك ، وهذا هو الشرك الأكبر الذي ذكره الله عز وجل ، فقال الله تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾^(٧) .
وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾^(٨) . وقال تعالى : ﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ﴾^(٩) .

(٥) مسلم : كتاب الإيمان ١٤٤ . والبخاري : الوصايا ٢٣ ، والحدود ٤٤ (مجازين ٣٠) .

(٦) سورة النساء : الآية ٤٨ .

(٧) سورة النساء : الآية ٤٨ .

(٨) لقمان : ١٣ .

(٩) المائدة : ٧٢ .

والآيات في ذلك كثيرة .

فمن أشرك بالله ثم مات مشركاً ، فهو من أصحاب النار قطعاً ، كما أن من آمن بالله ومات مؤمناً فهو من أصحاب الجنة وإن عذب بالنار . وفي « الصحيح » أن رسول الله ﷺ قال : ألا أنبئكم بأكبر الكبائر — ثلاثاً — قالوا : بلى يا رسول الله قال : الإشراف بالله ، وعقوق الوالدين ؟ وكان متكئاً فجلس فقال : ألا وقول الزور ، ألا وشهادة الزور ، فما زال يكررها حتى قلنا : ليته سكت^(١٠) . وقال ﷺ : « اجتنبوا السبع الموبقات »^(١١) فذكر منها الشرك بالله : وقال ﷺ : « من بدل دينه فاقتلوه » الحديث^(١٢) .

والنوع الثاني من الشرك : الرياء بالأعمال كما قال تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾^(١٣) .

أى لايرأى بعلمه أحداً . وقال ﷺ : « إياكم والشرك الأصغر ، قالوا : يا رسول الله وما الشرك الأصغر ؟ قال : الرياء . يقول الله تعالى يوم يحازى العباد بأعمالهم : اذهبوا إلى الذين كنتم تراءونهم بأعمالكم في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء »^(١٤) وقال ﷺ « يقول الله : من عمل عملاً أشرك معي فيه غيرى فهو للذى أشرك وأنا منه برىء »^(١٥) . وقال « من سمع سمع الله به ومن رأى رأى الله به »^(١٦) . وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : « رب صائم ليس له من صومه إلا الجوع

(١٠) مسلم : الإيمان ١٤٣ . والترمذى : الشهادات ٣ ، تفسير سورة ٤ ، ٥ . وأحمد : الخامس ص ٣٧ ، ٣٨ .

(١١) سبق .

(١٢) البخارى : جهاد ١٤٩ ، اعتصام ٢٨ . والنسائى : تحريم ١٤ .

(١٣) : الكهف : ١١٠ .

(١٤) البيهقى ، وأحمد بإسناد جيد ، وابن أبى الدنيا .

(١٥) ابن ماجه ، وأحمد ، وغيرهما .

(١٦) البخارى : رقائق ٣٦ ، أحكام ٩ . وأحمد : الثالث ، ص ٤٠ . والخامس ، ص ٥ « سمع » بعشيد الميم . ومن تسميع العبد : أن يعلن عمله بين الخلق طلباً للشهر و « سمع الله به » معناه : أن الله يفضحه بين الخلق يوم القيامة بأنه مرء غير مخلص .

والعطش ، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر»^(١٧) يعنى أنه : إذا لم يكن الصلاة والصوم لوجه الله تعالى فلا ثواب له ، كما روى عنه عليه السلام أنه قال : « مثل الذى يعمل للرياء والسمعة كمثل الذى يملأ كيسه حصى ثم يدخل السوق ليشتري به ، فإذا فتحه قدام البائع فإذا هو حصى وضرب به وجهه ، ولا منفعة له فى كيسه سوى مقالة الناس له ما أملأ كيسه ولا يعطى به شيئاً . فكذلك الذى يعمل للرياء والسمعة فليس له من عمله سوى مقالة الناس ، ولا ثواب له فى الآخرة»^(١٨) قال الله تعالى : ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا﴾^(١٩) يعنى الأعمال التى عملوها لغير وجه الله تعالى أبطلنا ثوابها وجهلناها كالهباء المنثور . وهو الغبار الذى يرى فى شعاع الشمس . وروى عدى بن حاتم الطائى رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يؤمر بفناء — أى جماعات — من الناس يوم القيامة إلى الجنة ، حتى إذا دنوا منها واستشققوا رائحتها ، ونظروا إلى قصورها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها ، نودوا أن اصرفوهم عنها فإنهم لانصيب لهم فيها ، فيرجعون بحسرة وندامة مارجع الأولون والآخرون بمثلها ، فيقولون : ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أرتينا من ثواب ما أعددت لأولائك كان أهون علينا . فيقول الله تعالى : ذلك ما أردت بكم . كنتم إذا خلوتهم بارزقوني بالعظام ، وإذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراءون الناس بأعمالكم خلاف ماتعطوني من قلوبكم . هبتم الناس ولم تهابوني واجلستم الناس ولم تجلّوني ، وتركتم للناس ولم تتركوا لى — يعنى لاجل الناس — فالיום أذيقكم أليم عقابى مع ما حرمتكم من جزيل ثوابى^(٢٠) . وسأل رجل رسول الله ما النجاة ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « أن لاتخادع الله » . قال : وكيف يخادع الله ؟ قال : « أن تعمل عملاً أمرك الله ورسوله به وتريد به غير وجه الله واتق الرياء

(١٧) ابن ماجه : صيام ٢١ . والدارمى : رقاق ١٢ . وأحمد : النابى ، ص ٤٤١ .

(١٨) لم نقف عليه فى المصادر التى بين يدينا ، وقد أوردته ابن حجر فى الزواجر ، من كلام بعض الحكماء لاحديهم نبويًا .

(١٩) الفرقان : ٢٣ .

(٢٠) رواه البيهقى وابن أبى الدنيا ، بسند ضعيف .

فإنه الشرك الأصغر ، وإن المرأى ينادى عليه يوم القيامة على رؤوس الخلائق بأربعة أسماء : يامرائى ، ياغادر ، يافاجر ، ياخاسر ، ضل عملك وبطل أجرك ، فلا أجر لك عندنا ، اذهب فخذ أجرك ممن كنت تعمل له يامخادع»^(٢١) وسئل بعض الحكماء رحمهم الله : من المخلص ؟ فقال : المخلص الذى يكتم حسناته كما يكتم سيئاته . وقيل لبعضهم : ما غاية الإخلاص ؟ قال : أن لا تحب محمدة الناس . وقال الفضيل بن عياض رضى الله عنه : ترك العمل لأجل الناس رياء ، والعمل لأجل الناس شرك ، والإخلاص أن يعافيك الله منهما اللهم عافنا منهما وراعف عنا .

[الكبيرة الثانية : قتل النفس]

قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾^(٢٢) . وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ، إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا ﴾^(٢٣) . وقال تعالى : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَآئِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ، وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾^(٢٤) . وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾^(٢٥) .

وقال النبي ﷺ : « اجتنبوا السبع الموبقات »^(٢٦) . فذكر قتل النفس التى حرم الله إلا بالحق . وقال رجل للنبي ﷺ : أى الذنب أعظم عند الله

(٢١) رواه ابن أبى الدنيا ، عن صحابى لم يسم وسنده ضعيف .

(٢٢) النساء : ٩٣ .

(٢٣) الفرقان : ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ .

(٢٤) المائدة : ٣٢ .

(٢٥) التكوير : ٨ - ٩ .

(٢٦) سبق تخريجه .

تعالى ؟ قال : أن تجعل لله ندّاً وهو خالقك . قال : ثم أى ؟ قال « أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك » . قال : ثم أى ؟ قال « أن تزاني حليلة جارك »^(٢٧) فأنزل الله تعالى تصديقها ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون﴾^(٢٨) الآية . وقال ﷺ « إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار » قيل : يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال : « لأنه كان حريصاً على قتل صاحبه »^(٢٨) .

قال الإمام أبو سليمان — رحمه الله — : هذا إنما يكون كذلك إذا لم يكونا يقتتلان على تأويل ، إنما يقتتلان على عداوة بينهما وعصبية ، أو طلب دنيا . أو رئاسة ، أو علو فأما من قاتل أهل البغي على الصفة التي يجب قتالهم بها ، أو دفع عن نفسه أو حريمه فإنه لا يدخل في هذه ، لأنه مأمور بالقتال للذب عن نفسه غير قاصد به قتل صاحبه إلا إن كان حريصاً على قتل صاحبه . ومن قاتل باغياً ، أو قاطع طريق من المسلمين ، فإنه لا يحرص على قتله ، إنما يدفعه عن نفسه ، فإن انتهى صاحبه كف عنه ولم يتبعه . فإن الحديث لم يرد في أهل هذه الصفة . فأما من خالف هذا النعت فهو الذي دخل في هذا الحديث الذي ذكرناه . والله أعلم .

وقال رسول الله ﷺ : « لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض »^(٢٩) وقال رسول الله ﷺ « لا يزال العبد في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً »^(٣٠) وقال صلى الله عليه وآله وسلم « أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء »^(٣١) ، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال : « لقتل مؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا »^(٣٢) ، وقال ﷺ : « الكبائر الإشراك بالله

(٢٧) البخارى : تفسير سورة البقرة ، باب ٣ . ومسلم : الإيمان ، حديث ١٤٩ ، ١٤٢ . وأحمد : الأول ، ص ٣٨٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٤ ، ٤٦٤ .

(٢٨) النساء : تحریم ٢٩ . وابن ماجه : فن ١١ . وغيرهما .

(٢٩) الترمذى والنسائى والشيخان ، وغيرهم .

(٣٠) أحمد وغيره .

(٣١) أحمد ومسلم وغيرهما .

(٣٢) الغنياء المقدسى والبيهقى والنسائى ، بسند صحيح .

وقتل النفس واليمين الغموس» (٣٣) وسميت غموساً لأنها تغمس صاحبها في النار ، وقال ﷺ : « لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها ؛ لأنه أول من سن القتل » مخرج في الصحيحين ، وقال ﷺ : « من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة ، وإن رأتها لتوجد من مسيرة أربعين عاماً » أخرجه البخارى .

فإذا كان هذا في قتل المعاهد — وهو الذى أعطى عهداً من اليهود والنصارى في دار الإسلام — فكيف يقتل المسلم ، وقال ﷺ « ألا ومن قتل نفساً معاهدة لها ذمة الله وذمة رسوله فقد أخفر ذمة الله ولا يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسين خريفاً » صححه الترمذى وقال ﷺ : « من أعان على قتل مسلم بشطر كلمة لقي الله مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله تعالى » رواه الإمام أحمد . وعن معاوية رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كل ذنب عسى الله أن يفره إلا الرجل يموت كافراً أو الرجل يقتل مؤمناً متعمداً » (٣٤) . نسأل الله العافية .

[الكبيرة الثالثة : في السحر]

لأن الساحر لابد وأن يكفر . قال الله تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾ (٣٥) . وما للشيطان الملعون غرض في تعليمه الإنسان السحر إلا ليشرك به . قال الله تعالى خيراً عن هاروت وماروت : ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَائِقِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ . وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴾ (٣٦) أى من نصيب .

(٣٣) رواه السائى وغيره .

(٣٤) أبو داود : لمن ٦ ، والسائى : تحريم . واحد : الرابع ، ص ٩٩ .

(٣٥) البقرة : ١٠٢ .

(٣٦) البقرة : ١٠٢ .

فترى خلقاً كثيراً من الضلال يدخلون في السحر ويظنونهم حراماً فقط ، وما يشعرون أنه الكفر فيدخلون في تعليم السيمياء^(٣٧) وعملها وهي محض السحر وفي عقد الرجل عن زوجته وهو سحر ، وفي محبة الرجل للمرأة وبغضها له . وأشباه ذلك بكلمات مجهولة أكثرها شرك وضلال .

وحد الساحر : القتل ، لأنه كفر بالله ، أو مضارع الكفر . قال النبي ﷺ : « اجتنبوا السبع الموبقات »^(٣٨) فذكر منها السحر . والموبقات : المهلكات . فليتق العبد ربه ولا يدخل فيما يخسر به الدنيا والآخرة . وجاء عن النبي ﷺ أنه قال : « حد الساحر ضربه بالسيف »^(٣٩) والصحيح أنه من قول جندب . وعن بجالة بن عبدة أنه قال : أتانا كتاب عمر رضى الله عنه قبل موته بسنة : أن اقتلوا كل ساحر وساحرة . وعن وهب بن منبه قال : قرأت في بعض الكتب : يقول الله عز وجل : لا إله إلا أنا ليس منى من سحر ولا من سحر له ، ولا من تكهن ولا من تكهن له ، ولا من تطير ولا تطير له . وعن علي ابن أبي طالب رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة لا يدخلون الجنة : مدمن خمر ، وقاطع رحم ، ومصدق بالسحر » . رواه الإمام أحمد في مسنده وعن ابن مسعود رضى الله عنه مرفوعاً قال : « الرق والتامة والتولة شرك »^(٤٠) التامة جمع تيمة ، وهي خرزات وحرور يعلقها الجاهل على أنفسهم وأولادهم ودوابهم يزعمون أنها ترد العين ، وهذا من فعل الجاهلية ، ومن اعتقد ذلك فقد أشرك . والتولة بكسر التاء وفتح الواو : نوع من السحر ، وهو تحبيب المرأة إلى زوجها ، وجعل ذلك من الشرك لاعتقاد الجاهل أن ذلك يؤثر بخلاف ما قدر الله تعالى .

(٣٧) أى الكيمياء قديماً .

(٣٨) سبق تخريجه .

(٣٩) الترمذى : حدود ٢٧ .

(٤٠) أبو داود : طب ١٧ ، وابن ماجه : طب ٣٩ ، وأحمد : الأول ، ص ٣٨١ .

قال الخطابي رحمه الله : وأما إذا كانت الرقية بالقرآن ، أو بأسماء الله تعالى فهي مباحة ، لأن النبي ﷺ كان يرقى الحسن والحسين رضى الله عنهما ، فيقول : « أعيدكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة »^(٤١) والله المستعان وعليه التكلان .

[الكبيرة الرابعة : في ترك الصلاة]

قال الله تعالى : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾^(٤٢) .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : ليس معنى أضاعوها تركوها بالكلية ، ولكن أخروها عن أوقاتها . وقال سعيد بن المسيب إمام التابعين — رحمه الله — : هو أن لا يصلى الظهر حتى يأتى العصر ، ولا يصلى العصر إلى المغرب ، ولا يصلى المغرب إلى العشاء ، ولا يصلى العشاء إلى الفجر ، ولا يصلى الفجر إلى طلوع الشمس فمن مات وهو مصر على هذه الحالة ولم يتب وعده الله بغى ، وهو واد في جهنم بعيد قعره خبيث طعمه . وقال الله تعالى فى آية أخرى : ﴿ فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ﴾^(٤٣) أى غافلون عنها ، متهاونون بها . وقال سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه : سألت رسول الله ﷺ عن الذين هم عن صلاتهم ساهون قال : « هو تأخير الوقت »^(٤٤) أى تأخير الصلاة عن وقتها ، سماهم مصلين لكنهم لما تهاونوا وأخروها عن وقتها وعدهم بويل وهو شدة العذاب . وقيل : هو واد في جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لذابت من شدة حره ، وهو مسكن من يتهاون بالصلاة ويؤخرها عن وقتها إلا أن يتوب إلى الله تعالى ويندم على ما فرط . وقال الله تعالى فى آية أخرى :

(٤١) رواه الترمذى وأحمد وغيرهما .

(٤٢) مريم : ٥٩ .

(٤٣) الماعون ٤٠ — ٥ .

(٤٤) لم يثبت هذا التفسير لليل عن رسول الله ﷺ . وقد رواه البزار فى مسنده . من رواية عكرمة بن إبراهيم وقال : رواه الحافظ موقوفاً ولم يرفعه غيره ، والراجع أنه من كلام سعد بن أبى وقاص .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (٤٥) .

قال المفسرون ، المراد بذكر الله في هذه الآية الصلوات الخمس ، فمن اشتغل بماله في بيعه وشرائه ومعيشته وضيعته وأولاده عن الصلاة في وقتها كان من الخاسرين . وهكذا قال النبي ﷺ : « أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله الصلاة فإن صلحت فقد أفلح وأنجح ، وإن نقصت فقد خاب وخسر » (٤٦) .

وقال الله تعالى مخبراً عن أصحاب الجحيم :
﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمِسْكِينَ وَكُنَّا لِنُحْضِرُ مَعَ الْخَائِضِينَ ، وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ . فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ (٤٧) .

وقال النبي ﷺ : « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر » (٤٨) .

وقال النبي ﷺ : « بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة » (٤٩) حديثان صحيحان .

وفي صحيح البخارى أن رسول الله ﷺ قال : « من فاتته صلاة العصر حبط عمله » وفي السنن أن رسول الله ﷺ قال : « من ترك الصلاة متعمداً فقد برئت منه ذمة الله » وقال ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله » متفق عليه .

(٤٥) المآلقون : ٩ .

(٤٦) الترمذى : الصلاة ١٨٨ ، وأبو داود : الصلاة ١٤٥ ، وأحمد : الصلاة ٩٠ ، ٤٢٥ ، والرابع ص ١٠٣ ، ٦٥ .

(٤٧) المدثر : ٤٢ - ٤٨ .

(٤٨) رواه أصحاب السنن وغيرهم عن بريدة الأسلمى ، صحيح .

(٤٩) رواه أصحاب السنن وغيرهم عن جابر .

وقال ﷺ : « من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نوراً ولا برهاناً ولا نجاة يوم القيامة وكان يوم القيامة مع فرعون وقارون وهامان وأبى بن خلف »^(٥٠) وقال عمر رضى الله عنه : أما إنه لاحظ لأحد في الإسلام أضاع الصلاة .

قال بعض العلماء رحمهم الله : وإنما يحشر تارك الصلاة مع هؤلاء الأربعة ، لأنه إنما يشتغل عن الصلاة بماله أو بملكه أو بوزارته أو بتجارته . فإن اشتغل بماله حشر مع قارون ، وإن اشتغل بملكه حشر مع فرعون ، وإن اشتغل بوزارته حشر مع هامان ، وإن اشتغل بتجارته حشر مع أبى بن خلف تاجر الكفار بمكة . وروى الإمام أحمد عن معاذ بن جبل رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من ترك صلاة مكتوبة متعمداً برئت منه ذمة الله عز وجل » .

وروى البيهقي بإسناده أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله أى الأعمال أحب إلى الله تعالى في الإسلام ؟ قال : « الصلاة لوقتها ، ومن ترك الصلاة فلا دين له ، والصلاة عماد الدين » ولما طعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قيل له : الصلاة يأمر المؤمنين قال : نعم أما إنه لاحظ لأحد في الإسلام أضاع الصلاة . وصلى رضى الله عنه وجرحه يثعب^(٥١) دما . وقال عبد الله بن شقيق التابعى رضى الله عنه : كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة^(٥٢) . وسئل على رضى الله عنه عن امرأة لا تصلى ، فقال : من لم يصل فهو كافر وقال ابن مسعود رضى الله عنه من لم يصل فلا دين له . وقال ابن عباس رضى الله عنهما : من ترك صلاة واحدة متعمداً لقي الله تعالى وهو عليه غضبان . وقال رسول الله ﷺ : « من لقي الله وهو مضيع للصلاة لم يعبأ الله بشيء من حسناته — أى ما يفعل وما يصنع بحسناته — إذا كان مضيعاً

(٥٠) رواه ابن حبان والطبراني وأحمد ، وغيرهم .

(٥١) يثعب : يسيل .

(٥٢) رواه الترمذى ، وحسنه ابن القيم .

للصلاة» (٥٣) . وقال ابن حزم : لا ذنب بعد الشرك أعظم من تأخير الصلاة عن وقتها ، وقتل مؤمن بغير حق . وقال إبراهيم النخعي : من ترك الصلاة فقد كفر ، وقال أيوب السخيتاني مثل ذلك . وقال عون بن عبد الله : إن العبد إذا أدخل قبره سئل عن الصلاة أول شيء يسأل عنه ، فإن جازت له نظر فيما دون ذلك من عمله ، وإن لم تجز له لم ينظر في شيء من عمله بعد . وقال ﷺ « إذا صلى العبد الصلاة في أول الوقت صعدت إلى السماء ولهانورحى تنتهى إلى العرش فتستغفر لصاحبها إلى يوم القيامة وتقول : حفظك الله كما حفظتني . وإذا صلى العبد الصلاة في غير وقتها صعدت إلى السماء وعليها ظلمة ، فإذا انتهت إلى السماء تلف كما يلف الثوب الخلق ، يضرب بها وجه صاحبها ، وتقول : ضيعك الله كما ضيعتني» (٥٤) وروى أبو داود في سننه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة لا يقبل الله منهم صلاتهم — من تقدم قوماً وهم له كارهون ، ومن استعبد محرراً . ورجل أتى الصلاة دباراً » والدبار أن يأتيها بعد أن تفوته . وجاء عنه ﷺ أنه قال : « من جمع بين صلاتين من غير عذر فقد أتى باباً عظيماً من أبواب الكبائر» (٥٥) نسأل الله التوفيق والإعانة ؛ إنه جواد كريم وأرحم الراحمين .

﴿ فصل ﴾ متى يؤمر الصبي بالصلاة ؟

روى أبو داود في السنن أن رسول الله ﷺ قال : « مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين ، فإذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها » . وفي رواية : « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرقوا بينهم في المضاجع » .

(٥٣) أخرجه الطبراني في الأوسط عن انس .

(٥٤) أخرجه الطيالسي والبيهقي والطبراني ، بسند ضعيف .

(٥٥) أخرجه الحاكم والترمذي عن ابن عباس ، بسند ضعيف .

قال الإمام أبو سليمان الخطابي رحمه الله : هذا الحديث يدل على إغلاظ العقوبة له إذا بلغ تاركاً لها .

وكان بعض أصحاب الإمام الشافعي رحمه الله تعالى يحتج به في وجوب قتله إذا تركها متعمداً بعد البلوغ ، ويقول : إذا استحق الضرب وهو غير بالغ ، فيدل على أنه يستحق بعد البلوغ من العقوبة ما هو أبلغ من الضرب . وليس بعد الضرب شيء أشد من القتل .

وقد اختلف العلماء رحمهم الله في حكم تارك الصلاة ، فقال مالك والشافعي وأحمد رحمهم الله : تارك الصلاة يقتل ضرباً بالسيف في رقبته . ثم اختلفوا في كفره إذا تركها من غير عذر حتى يخرج وقتها . فقال إبراهيم النخعي وأيوب السخيتاني وعبد الله ابن المبارك وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه : هو كافر . واستدلوا بقول النبي ﷺ : « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة ، فمن تركها فقد كفر »^(٥٦) ، ويقولون ﷺ : « بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة »^(٥٧) .

﴿فصل﴾ وقد ورد في الحديث: «إن من حافظ على الصلوات المكتوبة أكرمه الله تعالى بخمس كرامات، يرفع عنه ضيق العيش وعذاب القبر، ويعطيه كتابة يمينه، ويمر على الصراط كالبرق الخاطف ، ويدخل الجنة بغير حساب » ومن تهاون بها عاقبه الله بأربع عشرة عقوبة ، خمس في الدنيا وثلاث عند الموت ، وثلاث في القبر ، وثلاث عند خروجه من القبر . فأما اللاتي في الدنيا : فالأولى : ينزع البركة من عمره ، والثانية : يمحي سيماء الصالحين من وجهه ، والثالثة : كل عمل يعمل لا يأجره الله عليه ، والرابعة : لا يرفع له دعاء إلى السماء ، والخامسة : ليس له حظ في دعاء الصالحين . وأما اللاتي تصيبه عند الموت : فإنه يموت ذليلاً ، والثانية : يموت جائعاً ، والثالثة : يموت عطشاناً

(٥٦) سبق تخريجه .

(٥٧) سبق تخريجه .

ولو سقى بحار الدنيا ماروى من عطشه . وأما اللاتي تصيبه في قبره ، فالأولى : يضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ، والثانية : يوقد عليه القبر ناراً يتقلب على الجمر ليلاً ونهاراً والثالثة يسلط عليه في قبره ثعبان اسمه الشجاع الأقرع عيناه من نار وأظفاره من حديد طول كل ظفر مسيرة يوم ، يكلم الميت فيقول : أنا الشجاع الأقرع ، وصوته مثل الرعد القاصف يقول : أمرنى ربي أن أضربك على تضييع صلاة الصبح إلى طلوع الشمس ، وأضربك على تضييع صلاة الظهر إلى العصر ، وأضربك على تضييع صلاة العصر إلى المغرب ، وأضربك على تضييع صلاة المغرب إلى العشاء ، وأضربك على تضييع صلاة العشاء إلى الصبح .

فكلما ضربه ضربة يغوص في الأرض سبعين ذراعاً . فلا يزال في الأرض معذباً إلى يوم القيامة . وأما اللاتي تصيبه عند خروجه من قبره في موقف القيامة فشدّة الحساب ، وسخط الرب ، ودخول النار . وفي رواية : فإنه يأتي يوم القيامة وعلى وجهه ثلاثة أسطر مكتوبات . السطر الأول : يامضيع حق الله ، السطر الثاني : ياخصوصاً بغضب الله ، السطر الثالث : كما ضيعت في الدنيا حق الله فأيس اليوم من رحمة الله^(٥٨) . وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : إذا كان يوم القيامة يؤتى بالرجل فيوقف بين يدي الله عز وجل فيأمر به إلى النار ، فيقول : يارب لماذا ؟ فيقول الله تعالى : لتأخير الصلاة عن أوقاتها وحلفك بى كاذباً .

وعن رسول الله ﷺ أنه قال يوماً لأصحابه : اللهم لاتدع فينا شقياً ولا محروماً ثم قال ﷺ : أتدرون من الشقى المحروم ؟ قالوا : من هو يا رسول الله ؟ قال : « تارك الصلاة »^(٥٩) .

وروى أنه أول من يسودّ يوم القيامة وجوه تاركى الصلاة ، وإن في جهنم وادياً يقال له « الملحم » فيه حيات ، كل حية ثخن رقبة البعير ، طولها مسيرة

(٥٨) حديث موضوع ، حكم بوضعه الذهبي نفسه والمصقل والسيوطي ، وعزاه في « ذيل الموضوعات » إلى ابن النجار في ذيل تاريخ بغداد .
(٥٩) لم لقف عليه فيما بين أبدان من مصادر .

شهر تسلس تارك الصلاة فيغلى سمها فى جسمة سبعين سنة ثم يتهرى لحمه .

﴿ حكاية ﴾ روى أن امرأة من بنى إسرائيل جاءت إلى موسى عليه السلام فقالت : يا رسول الله إني أذنبت ذنباً عظيماً وقد تبت منه إلى الله تعالى ، فادع الله أن يغفر لى ذنبى ويتوب علىّ : فقال لها موسى عليه السلام : وما ذنبك ؟ قالت : يابى الله إني زنيّت وولدت ولداً فقتلته . فقال لها موسى عليه السلام : اخرجى يا فاجرة لا تنزل نار من السماء فتحرقنا بشؤمك ، فخرجت من عنده منكسرة القلب ، فنزل جبريل عليه السلام قال : يا موسى الرب تعالى يقول لك لم رددت التائبة . يا موسى ، أما وجدت شرّاً منها ؟ قال موسى : يا جبريل ومن شرّ منها ؟ قال تارك الصلاة عامداً متعمداً .

﴿ حكاية أخرى ﴾ عن بعض السلف أنه أتى أختاً له ماتت ، فسقط كيس منه فيه مال فى قبرها فلم يشعر به أحد حتى انصرف عن قبرها ، ثم ذكره فرجع إلى قبرها فنبشه بعد ما انصرف الناس ، فوجد القبر يشعل عليها ناراً فرد التراب عليها ، ورجع إلى أمه باكياً حزيناً فقال: يا أماه أخبرينى عن أختى وما كانت تعمل ؟ قالت : وما سؤالك عنها ؟ قال : يا أمى رأيت قبرها يشتعل عليها ناراً . قال : فبكيت وقالت : يا ولدى كانت أختك تهاون بالصلاة وتؤخرها عن وقتها . فهذا حال من يؤخر الصلاة عن وقتها ، فكيف حال من لا يصلى ؟ فنسأل الله تعالى أن يعيننا على المحافظة عليها فى أوقاتها ، إنه جواد كريم .

﴿ فصل ﴾ فى عقوبة من ينقر الصلاة ولا يتم ركوعها ولا سجودها ، وقد روى فى تفسير قول الله تعالى : ﴿ قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾^(٦٠) إنه الذى ينقر الصلاة ولا يتم ركوعها ولا سجودها .

وثبت فى الصحيحين عن أنى هريرة رضى الله عنه : أن رجلاً دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس فيه ، فصلى الرجل ثم جاء فسلم على النبى

(٦٠) الماعون : ٤ - ٥ .

ﷺ فرد عليه السلام ، ثم قال له : ارجع فصل فإنك لم تصل . فرجع فصل كما صلى ، ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فرد عليه السلام ثم قال : ارجع فصل فإنك لم تصل ، فرجع فصل كما صلى ، ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فرد عليه السلام وقال : ارجع فصل فإنك لم تصل ثلاث مرات . فقال في الثالثة : والذي بعثك بالحق يا رسول الله ما أحسن غيره فعلمني . فقال ﷺ : إذا قمت إلى الصلاة فكبر ، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن . ثم اركع حتى تطمئن راكعاً ، ثم ارفع حتى تعتدل قائماً ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً . ثم اجلس حتى تطمئن جالساً ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ، وافعل ذلك في صلاتك كلها .
وروى الإمام أحمد رضي الله عنه عن البدرى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تجزى صلاة لا يقيم الرجل فيها صلبه في الركوع والسجود » ورواه أبو داود أيضاً والترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح . وفي رواية أخرى : « حتى يقيم ظهره في الركوع والسجود » .

وهذا نص عن النبي ﷺ في أن من صلى ولم يقيم ظهره بعد الركوع والسجود كما كان ، فصلاته باطلة ، وهذا في صلاة الفرض وكذا الطمأنينة أن يستقر كل عضو في موضعه .

وثبت عنه ﷺ أنه قال : « أشد الناس سرقة الذي يسرق من صلاته . قيل : وكيف يسرق من صلاته ؟ قال : لا يقيم ركوعها ولا سجودها ولا القراءة فيها »^(٦١) وروى الإمام أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « لا ينظر الله إلى رجل لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده » .

وقال ﷺ : « تلك صلاة المنافق يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني شيطان قام فنقر أربعاً لا يذكر الله فيهما إلا قليلاً » .

(٦١) الدارمي : صلاة ٧٨ ، ومالك : سفر ٧٢ . وأحمد : الثالث ، ص ٥٦ . والخامس ص ٣١٠ .

وعن أبي موسى قال : صلى رسول الله ﷺ يوماً بأصحابه ثم جلس ،
فدخل رجل فقام يصلي ، فجعل يركع وينقر سجوده ، فقال رسول الله ﷺ :
« ترون هذا لو مات مات على غير ملة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ينقر
صلاته كما ينقر الغراب الدم » ، أخرجه أبو بكر بن خزيمة في صحيحه .

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ما من
مصل إلا وملك عن يمينه وملك عن يساره ، فإن أتمها عرجا بها إلى الله
تعالى ، وإن لم يتمها ضربا بها وجهه » (٦٢) .

وروى البيهقي بسنده عن عبادة بن الصامت : أن رسول الله ﷺ قال :
« من توضأ فأحسن الوضوء ثم قام إلى الصلاة فأتم ركوعها وسجودها والقراءة
فيها قالت الصلاة : حفظك الله كما حفظتني ، ثم صعد بها إلى السماء ولها
ضوء ونور ، ففتحت لها أبواب السماء حتى ينتهي بها إلى الله تعالى فتشفع
لصاحبها . وإذا لم يتم ركوعها ولا سجودها ولا القراءة فيها قالت الصلاة :
ضيّعك الله كما ضيعتني ، ثم صعد بها إلى السماء وعليها ظلمة ، فأغلقت دونها
أبواب السماء ، ثم تلّف كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجه صاحبها » .
وعن سلمان الفارسي رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
« الصلاة مكيال ، فمن وفى وفى له ، ومن طلف فقد علمتم ما قال الله في
المطففين » (٦٣) قال الله تعالى ﴿ ويل للمطففين ﴾ والمطفف : هو المنقص
للكيل أو الوزن أو الذراع أو الصلاة ، وعدهم الله بويل وهو واد في جهنم
تستغيث جهنم من حره ، نعوذ بالله منه .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « إذا سجد
أحدكم فليضع وجهه وأنفه ويديه على الأرض ؛ فإن الله تعالى أوحى إلى أن
أسجد على سبعة أعضاء : الجبهة ، والأنف ، والكفين ، والركبتين ، وصدور
(٦٢) أخرجه أحمد ومسلم ، عن أنس . عزاه السيوطي في الجامع الصغير إلى الدارقطني في الأفراد ، وسنده
ضعيف .
(٦٣) رواه أحمد ، وسنده ضعيف .

القدمين ، وأن لا أكف شعراً ولا ثوباً ، فمن صلى ولم يعط كل عضو منها حقه لعنه ذلك العضو حتى يفرغ من صلاته» (٦٤) .

وروى البخارى عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه أنه رجلا يصلى ولا يتم ركوع الصلاة ولا سجودها ، فقال له حذيفة : صليت ولو مت وأنت تصلى هذه الصلاة مت على غير فطرة محمد ﷺ .

وفى رواية أبى داود أنه قال : منذ كم تصلى هذه الصلاة ؟ قال : منذ أربعين سنة . قال : ماصليت منذ أربعين سنة شيئاً ، ولو مت مت على غير فطرة محمد صلى الله عليه وآله وسلم !

وكان الحسن البصرى يقول: يا ابن آدم أى شيء يعز عليك من دينك إذا هانت عليك صلاتك وأنت أول ماتسأل عنها يوم القيامة ، كما تقدم من قول النبى ﷺ : « أول ما يحاسب العبد يوم القيامة من عمله صلاته ، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح ، وإن فسدت فقد خاب وخسر ، فإن انتقص من الفريضة شيء يقول الله تعالى : انظروا هل لعبدى من تطوع فيكمل به ما انتقص من الفريضة ، ثم يكون سائر عمله كذلك » (٦٥) .

فينبغى للعبد أن يستكثر من النوافل حتى يكمل به ما انتقص من فرائضه وبالله التوفيق .

﴿ فصل ﴾ فى عقوبة تارك الصلاة (فى جماعة) مع القدرة ، قال الله

تعالى :

﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴾ (٦٦) .

(٦٤) البخارى : أذان ١٣٣ ، ١٣٧ . ومسلم : صلاة ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ . والسنن : تطبيق ٤٠ ، ٤٣ — ٤٥ ، ٥٦ ، ٥٨ .
(٦٥) سبق تخريجه .
(٦٦) سورة القلم : ٤٢ — ٤٣ .

وذلك يوم القيامة يغشاهم ذل الندامة وقد كانوا في الدنيا يدعون إلى السجود .

قال إبراهيم التيمي : يعنى إلى الصلاة المكتوبة بالأذان والإقامة ، وقال سعيد بن المسيب : كانوا يسمعون « حى على الصلاة حى على الفلاح » فلا يجيبون وهم أصحاب سالمون .

وقال كعب الأحبار : والله ما نزلت هذه الآية إلا في الذين تخلفوا عن الجماعة . فأى وعيد أشد وأبلغ من هذا لمن ترك الصلاة في الجماعة مع القدرة على إتيانها ؟ وأما من السنة فما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « لقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ، ثم آمر رجلا فيؤم الناس ، ثم أنطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة في الجماعة ، فأحرق بيوتهم عليهم بالنار » ولا يتوعد بحرق بيوتهم إلا على ترك واجب مع مافى البيوت من الذرية والمتاع .

وفي صحيح مسلم أن رجلا أعمى أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله ليس لى قائد يقودنى إلى المسجد وسأل النبي ﷺ أن يرخص له أن يصلى في بيته فرخص له فلما ولى دعاه فقال « هل تسمع النداء بالصلاة ؟ قال : نعم . قال : فأجب » ورواه أبو داود عن عمرو بن أم مكتوم أنه أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله إن المدينة كثيرة الهوام والسباع وأنا ضرير البصر شاسع الدار — أى بعيد الدار — ولى قائد لا يلائمنى فهل لى رخصة أن أصلى في بيتى ؟ فقال « هل تسمع النداء » ؟ قال : نعم ، قال « فأجب فإنى لا أجد لك رخصة » .

فهذا رجل ضرير البصر شكا ما يجد من المشقة في مجيئه إلى المسجد وليس له قائد يقوده إلى المسجد ، ومع هذا لم يرخص له النبي ﷺ في الصلاة في بيته فكيف بمن يكون صحيح البصر سليما لا عذر له ؟ ولهذا لما سئل ابن عباس رضى

الله عنهما : عن رجل يصوم النهار ويقوم الليل ولا يصلى فى جماعة ولا بجمع ؟ فقال : إن مات على هذا فهو فى النار .

وقال أبو هريرة رضى الله عنه لأن تمتلىء أذن ابن آدم رصاصاً مذاباً خير له من أن يسمع النداء ولا يجيب .

وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « من سمع المنادى بالصلاة فلم يمنع من اتباعه عذر » ، قيل : وما العذر يا رسول الله ؟ قال : « خوف أو مرض — لم تقبل منه الصلاة التى صلى — يعنى فى بيته » (٦٧) .

وأخرج الحاكم فى مستدركه عن ابن عباس أيضاً قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة لعنهم الله : من تقدم قوماً وهم له كارهون ، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط ، ورجل سمع حى على الصلاة حى على الفلاح ثم لم يجب » .

وقال على ابن أبى طائب رضى الله عنه : لاصلاة لجار المسجد إلا فى المسجد . قيل : ومن جار المسجد ؟ قال : من سمع الأذان .

وروى البخارى فى صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : من سؤ أن يلقى الله غداً مسلماً — يعنى يوم القيامة — فليحافظ على هؤلاء الصلوات الخمس حيث ينادى بهن ، فإن الله شرع لنبىكم سنن الهدى ، وإنهن من سنن الهدى . ولو أنكم صليتم فى بيوتكم كما يصلى هذا المتخلف فى بيته لتركتم سنة نبىكم ، ولو تركتم سنة نبىكم لضللتم . ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق أو مريض ، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين رجلين حتى يقام فى الصف أو حتى يجىء إلى المسجد لأجل صلاة الجماعة .

وكان الربيع بن خيثم قد سقط شقه فى الفالج ، فكان يخرج إلى الصلاة يتوكأ على رجلين ، فيقال له : يا أبا محمد قد رخص لك أن تصلى فى بيتك أنت

(٦٧) أخرجه ابن حبان والدارقطنى . وصرح البعض بتضعيفه كما فى المشكاة ، وسوق المؤلف له بصيغة التريض (روى) فيه إشارة إلى ضعفه .

معذور . فيقول : هو كما تقولون ، ولكن أسمع المؤذن يقول : حى على الصلاة حى على الفلاح ، فمن استطاع أن يجيبه ولو زحفاً أو حبواً فليفعل .
وقال حاتم الأصم : فاتتني مرة صلاة الجماعة فعزاني أبو إسحاق البخاري وحده ، ولو مات لي ولد لعزاني أكثر من عشرة آلاف إنسان ، لأن مصيبة الدين عند الناس أهون من مصيبة الدنيا ! .

وكان بعض السلف يقول : مافات أحد صلاة الجماعة إلا بذنب أصابه وقال ابن عمر : خرج عمر يوماً إلى حائط له فرجع وقد صلى الناس العصر . فقال عمر : إنا لله وإنا إليه راجعون فاتتني صلاة العصر في الجماعة . أشهدكم أن حائطي على المساكين صدقة ليكون كفارة لما صنع عمر رضى الله عنه ، والحائط : البستان فيه النخل .

﴿ فصل ﴾ : ويكون اعتناؤه بحضور صلاة العشاء والفجر أشد ، فإن النبي ﷺ قال : « إن هاتين الصلاتين أثقل الصلوات على المنافقين — يعني العشاء والفجر — ولو يعلمون ما فيهما من الأجر لأتوهما ولو حبواً » (٦٨) .
وقال ابن عمر : كنا إذا تخلف منا إنسان في صلاة العشاء والصبح في الجماعة أسأنا به الظن أن يكون قد نافق .

﴿ حكاية ﴾ عن عبيد الله بن عمر القواريري رضى الله عنه قال : لم تكن تفوتني صلاة العشاء في الجماعة قط ، فنزل لي ليلة ضيف فشغلت بسببه وفاتتني صلاة العشاء في الجماعة ، فخرجت أطلب الصلاة في مساجد البصرة ، فوجدت الناس كلهم قد صلوا وغلقت المساجد ، فرجعت إلى بيتي وقلت : قد ورد في الحديث : إن صلاة الجماعة تزيد على صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة ، فصليت العشاء سبعاً وعشرين مرة ثم نمت ، فرأيت في المنام كأنني مع قوم على خيل وأنا أيضاً على فرس ونحن نستبق ، وأنا أركض فرسي فلا ألحقهم فالتفت إلي

(٦٨) البخاري : مواقيت الصلاة ٢٠ ، أذان وأبر داود : صلاة ٤٧ . والنسائي : إمامة ٤٥ . وابن ماجه : مساجد

أحدهم فقال لى : لاتعب فرسك فلست تلحقنا . قلت : ولم ؟ قال : لأننا صلينا العشاء فى جماعة وأنت صليت وحدك . فانتهيت وأنا مغموم حزين لذلك ، فنسأل الله المعونة والتوفيق ؛ إنه جواد كريم .

[الكبيرة الخامسة : منع الزكاة]

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا يَخْسَبَنَّ الَّذِينَ يَتَّخِلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (٦٩) . وقال الله تعالى : ﴿ وَزَيَّلَ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾ (٧٠) فسامهم المشركين . وقال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ، يَوْمَ يُخَمَّى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ (٧١) .

وثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال : « مامن صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صُفِّحت له صفائح من نار ، فأحى عليها فى نار جهنم فيكوى بها جبينه وجنباه وظهره . كلما بردت أعيدت له فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، حتى يقضى الله بين الناس ، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار . قيل : يارسول الله فالإبل ؟ قال : « ولا صاحب إبل لا يؤدى منها حقها ، إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع » (٧٢) قرقر أوفر ما كانت ؛ لا يفقد منها فصيلة (٧٣) واحداً تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها ، كلما مر عليه أولها رد عليه آخرها فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى الله

(٦٩) آل عمران : ١٨٠ .

(٧٠) فصلت : ٦ ، ٧ .

(٧١) التوبة : ٣٤ ، ٣٥ .

(٧٢) القاع القرقر : الأرض المسوية الصلبة .

(٧٣) ابن الناقة .

بين الناس فيرى سبيله إما إلى الجنة ، وإما إلى النار . قيل : يارسول الله فالبقر والغنم ؟ قال : « ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي منها حقها ، إلا إذا كان يوم القيامة يطح لها بقاع قرقر ليس فيها عفصاء^(٧٤) ولا جلداء^(٧٥) ولا عضباء^(٧٦) تطوحه بقرونها وتطؤه بأظلافها^(٧٧) كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى الله بين الناس ، فيرى سبيله إما إلى الجنة ، وإما إلى النار^(٧٨) .

وقال ﷺ : « أول ثلاثة يدخلون النار — أمير مسلط ، وذو ثروة من مال لا يؤدي حق الله تعالى من ماله ، وفقير فخور^(٧٩) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : من كان له مال يبلغه حج بيت الله تعالى ولم يحج ، أو تجب فيه الزكاة ولم يرك سأل الرجعة عند الموت ، فقال له رجل : اتق الله يا ابن عباس فإنما يسأل الرجعة الكفار . فقال ابن عباس : سأتلو عليك بذلك قرآنًا ، قال الله تعالى :

﴿وَالْفُقَرَاءُ مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ ۖ﴾^(٨٠) .

أى أودى الزكاة (وأكن من الصالحين) أى أحج . قيل له : فما يوجب الزكاة ؟ قال : إذا بلغ المال مائتي درهم وجبت فيه الزكاة ، قيل : فما يوجب الحج ؟ قال : الزاد والراحلة .

ولا تجب الزكاة في الحلى المباح إذا كان معدًا للاستعمال ، فإن كان معدًا للقفية أو الكراء وجبت فيه الزكاة .

(٧٤) أى ملهية القرن .

(٧٥) أى التى لا قرن لها .

(٧٦) أى مكسورة القرن .

(٧٧) ظلف البقرة يقابل حافر الفرس وخف البعير .

(٧٨) أخرجه أحمد ومسلم بهذا اللفظ ، والنسائي مختصراً .

(٧٩) أخرجه ابن خزيمة عن أبى هريرة .

(٨٠) المنافقون : ١٠ .

وتحب في قيمة عروض التجارة ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة فأخذ يلهزمتيه (أى بشدقيه) فيقول : أنا مالك ، أنا كنزك ثم تلا هذه الآية : ﴿وَلَا يَخْسِبَنَّ الَّذِينَ يَتَّخِلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ^(٨١) . أخرجه البخارى .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه في قول الله تعالى في مانعي الزكاة : (يوم يُخَمَّى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم) قال : لا يوضع دينار على دينار ولا درهم على درهم ولكن يوسع جلده حتى يوضع كل دينار ودرهم على حدته .

فإن قيل : لِمَ خص الجباه والجنوب والظهر بالكي ؟ قيل : لأن الغنى البخيل إذا رأى الفقير عيس وجهه وزوى ما بين عينيه وأعرض بجنبه ، فإذا قرب منه ولَّى بظهره فعوقب بكي هذه الأعضاء ليكون الجزاء من جنس العمل .

وقال ﷺ : « خمس بخمس » قالوا : يارسول الله وما خمس بخمس ؟ قال : « مانقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم ، وماحكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر ، وماظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت ، ولا طففوا المكيال والميزان إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ، ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر » ^(٨٢) .

(موعظة) قل للذين شغلهم في الدنيا غرورهم إنما في غد ثبورهم مانفعهم ما جمعوا إذا جاء محذورهم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم فكيف غابت عن قلوبهم وعقولهم . يوم يحمى عليها

(٨١) آل عمران : ١٨٠ .

(٨٢) أخرجه الطبراني عن ابن عباس ، وقال المنذرى : سنده قريب من الحسن وله شواهد . ومعنى قوله « أخذوا بالسنين » : أصيبوا بالقطر . كما أخرجه بنحوه الحاكم وغيره عن ابن عمر بسند صحيح .

في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم . أخذ المال إلى دار ضرب العقاب فجعل في بودقة^(٨٣) ليحمي ليقوى العذاب ، فصفح صفائح كي يعم الكي الإهاب ، ثم جرى بمن عن الهدى قد غاب . يسعى إلى مكان لا مع قوم يسعى نورهم . ثم يحمي عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم . إذا لقيهم الفقير لقي الأذى .. فإن طلب منهم شيئاً طار منهم هب الغضب كالجد^(٨٤) . فإن لطفوا به قالوا أعنتكم ذا . وسؤال هذا لذا . ولو شاء ربك لأغنى المحتاج وأعوز ذا . ونسوا حكمة الخالق في غنى ذا وفقير ذا : وأعجبكم يلقيهم من غم إذا ضمتهم قبورهم . يوم يحمي عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم . سيأخذها الوارث منهم من غير تعب . ويسأل عنها الجامع من أين اكتسب ما اكتسب ، إلا أن الشوك له وللوارث الرطب . أين حرص الجامعين ، أين عقولهم يوم يحمي عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم . لو رأيتهم في طبقات النار . يتقلبون على جمرات الدرهم والدينار . وقد غلت اليمن مع اليسار لما بخلوا مع الإيسار . لو رأيتهم في الجحيم يسقون من الحميم . وقد ضج صبورهم ، يوم يحمي عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم . كم كانوا يوعظون في الدنيا وما فيهم من يسمع . كم خوفوا من عقاب الله وما فيهم من يفرع . كم أنبعوا بمنع الزكاة وما فيهم من يدفع . فكأنهم بالأموال وقد انقلبت شجاعاً أقرع . فما هي عصي موسى ولا طورهم . يوم يحمي عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم .

(حكاية) : روى عن محمد بن يوسف الفريابي قال : خرجت أنا وجماعة من أصحابي في زيارة أبي سنان رحمه الله ، فلما دخلنا عليه وجلسنا عنده قال : قوموا بنا نزور جاراً لنا مات أخوه ونعزيه فيه ، فقمنا معه ودخلنا على ذلك الرجل ، فوجدناه كثير البكاء والجزع على أخيه ، فجلسنا نسلية ونعزيه وهو

(٨٣) أى الوعاء الذى تصهر فيه المعادن .
(٨٤) الجد : جمع جدوة ، وهى الجمرة الملتبة .

لايقبل تسليّة ولا تعزيةً ، فقلنا : أما تعلم أن الموت سنبل لا بد منه ! قال : بلى ولكن على ما أصبح وأمسى فيه أخى من العذاب ، فقلنا له : هل أطلعك الله على الغيب ؟ قال : لا ، ولكن لما دفنته وسويت عليه التراب وانصرف الناس ، جلست عند قبره ، إذا صوت من قبره يقول : آه أقعدونى وحيداً أقاسى العذاب ، قد كنت أصلى ، قد كنت أصوم . قال : فأبكاني كلامه فنبشت عنه التراب لأنظر حاله ، وإذا القبر يشتعل عليه ناراً ، وفي عنقه طوق من نار ، فحملتنى شفقة الأخوة ، ومددت يدي لأرفع الطوق عن رقبته ، فاحترقت أصابعي ويدي ثم أخرج إلينا يده ، فإذا هى سوداء محترقة . قال : فرددت عليه التراب وانصرفت فكيف لا أبكى على حاله وأحزن عليه ؟ فقلنا : فما كان أخوك يعمل فى الدنيا ؟ قال : كان لا يؤدى الزكاة من ماله ، قال فقلنا هذا تصديق قول الله تعالى :

﴿وَلَا يَخْسِبَنَّ الَّذِينَ يَتَّخِلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (٨٥) .

وأخوك عجل له العذاب فى قبره إلى يوم القيامة . قال : ثم خرجنا من عنده وأتينا أباذر صاحب رسول الله ﷺ وذكرنا له قصة الرجل ، وقلنا له : يموت اليهودى والنصرانى ولا نرى فيهم ذلك ! قال : أولئك لاشك أنهم فى النار . وإنما يريكم الله فى أهل الإيمان لتعتبروا . قال الله تعالى :

﴿فَمَنْ أُنْزِلَتْ فَلِنَفْسِهِ . وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا﴾ (٨٦) . فنسأل الله العفو والعافية ؛ إنه جواد كريم .

[الكبيرة السادسة : إفطار يوم رمضان بلا عذر]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ، أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ

(٨٥) آل عمران : ١٨٠ .

(٨٦) الأنعام : ١٠٤ . وقامها ﴿وَمَا أَلَا عَلَيْكُمْ بِخَفِيظٍ﴾

فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴿٨٧﴾ .

وثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال : « بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَحَجِّ الْبَيْتِ ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ » .

وقال ﷺ : « مَنْ أَفْطَرَ يَوْمًا مِنْ رَمَضَانَ بِلَا عَذْرِ لَمْ يَقْضِهِ صِيَامُ الدَّهْرِ وَإِنْ صَامَهُ » . (٨٨) وعن ابن عباس رضي الله عنهما « غُرِيَ الْإِسْلَامُ وَقَوَاعِدُ الدِّينِ ثَلَاثَ : شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَالصَّلَاةِ ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ » فمن ترك واحدة منهن فهو كافر . نعوذ بالله من ذلك .

[الكبيرة السابعة : في ترك الحج مع القدرة عليه]

قال الله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ (٨٩) .

وقال النبي ﷺ : « مَنْ مَلَكَ زَادًا وَرَاحِلَةً تَبْلُغُهُ حِجَّ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ وَلَمْ يَحِجَّ ، فَلَا عَلَيْهِ أَنْ يَمُوتَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا » (٩٠) ، وبذلك لأن الله تعالى يقول : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لقد هممت أن أبعث رجلا إلى هذه الأمصار فينظروا كل من له جدة (٩١) ولم يحج فليضربوا عليهم الجزية وماهم بمسلمين .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ما من أحد لم يحج ولم يؤد زكاة ماله إلا سأل الرجعة عند الموت فقليل له : إنما يسأل الرجعة الكفار . قال : وإن ذلك

(٨٧) البقرة : ١٨٣ ، ١٨٤ .

(٨٨) البخاري : صوم ٢٩ ، وأبو داود : صوم ٣٨ ، والترمذي : صوم ٢٧ ، والدارمي : صوم ١٨ ، واحد : الثاني ص ٤٥٨ ، ٤٧٠ .

(٨٩) آل عمران : ٩٧ .

(٩٠) الترمذي : حج ٣ . وقال : غريب لا تعرفه إلا من هذا الوجه وله شاهد عند البيهقي من حديث أبي أمامة .

(٩١) الجدة (بكسر الفتح) : وجود المال .

فى كتاب الله تعالى : ﴿ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِى إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصْدُقْ ﴾ أى أودى الزكاة (وأكن من الصالحين) أى أحج (ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون) قيل : فبم تجب الزكاة ؟ قال : بمائتى درهم وقيمتها من الذهب ، قيل : فما يوجب الحج ؟ قال : الزاد والراحلة . وعن سعيد بن جبير رضى الله عنه قال : مات لى جار موسر لم يحج فلم أصل عليه .

[الكبيرة الثامنة : عقوق الوالدين]

قال الله تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ أى برا بهما وشفقة وعطفاً عليهما : ﴿ إِمَّا يَنْتُقِنَ عَنْكَ الْكَبِيرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَلْ وَلَا تَنْهَرُهُمَا ﴾ أى لاتقل لهما بشتم إذا كبرا وأسناً . وينبغى أن تتولى خدمتهما ماتوليا من خدمتك على أن الفضل للمتقدم وكيف يقع التساوى ، وقد كانا يحملان أذاك راجين حياتك ، وأنت إن حملت أذاهما رجوت موتهما . ثم قال الله تعالى : ﴿ وَاحْفَظْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ (٩٢) . وقال الله تعالى : ﴿ أَنْ اشْكُرْ لى وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴾ .

فانظر رحمك الله كيف قرن شكرهما بشكره . قال ابن عباس رضى الله عنهما : ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث ، لاتقبل منها واحدة بغير قرينتها (إحداها) قول الله تعالى : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ . فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لم يقبل منه . (الثانية) قول الله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ فمن صلى ولم يرك لم يقبل منه . (الثالثة) قول الله تعالى ﴿ أَنْ اشْكُرْ لى وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴾ (٩٣) فمن شكر الله ولم يشكر لوالديه لم يقبل منه . ولذا

(٩٢) الإسراء : ٢٣ - ٢٤ .

(٩٣) لقمان : ١٤ .

قال النبي ﷺ : « رَضِيَ اللهُ في رَضَى الوالدين وسخط اللهُ في سخط الوالدين » (٩٤) .

وعن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عنهما قال : جاء رجل يستأذن النبي ﷺ في الجهاد معه ، فقال النبي ﷺ : « أَحْيِ والدك ؟ قال : نعم . قال : ففيهما فجاهد » مخرج في الصحيحين ، فانظر كيف فضل بر الوالدين وخدمتهما على الجهاد !

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر : الإشراف بالله وعقوق الوالدين » . فانظر كيف قرن الإساءة إليهما وعدم البر والإحسان بالإشراف . وفي الصحيحين أيضاً أن رسول الله ﷺ قال : « لا يدخل الجنة عاق ولا منان ولا مدمن خمر » . وعنه ﷺ قال : « لو علم الله شيئاً أدى من الأف لنبي عنه ، فليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة . وليعمل البار ما شاء أن يعمل فلن يدخل النار » (٩٥) . وقال ﷺ : « لعن الله العاق لوالديه » (٩٦) . وقال ﷺ : « لعن الله من سب أباه ، لعن الله من سب أمه » (٩٧) . وقال ﷺ : « كل الذنوب يؤخر الله منها ما شاء إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين فإنه يعجل لصاحبه » (٩٨) يعني العقوبة في الدنيا قبل يوم القيامة .

وقال كعب الأحبار رحمه الله : إن الله ليعجل هلاك العبد إذا كان عاقاً لوالديه ليعجل له العذاب ، وإن الله ليزيد في عمر العبد إذا كان باراً بوالديه ليزيده برّاً وخيراً ومن برهما أن ينفق عليهما إذا احتاجا . فقد جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله إن أبي يريد أن يجتاح مالي . فقال ﷺ : « أنت ومالك لأبيك » (٩٩) وسئل كعب الأحبار عن عقوق الوالدين ماهو ؟ قال : هو

(٩٤) الترمذی : بر ٣ . وغيره .

(٩٥) أخرجه الديلمی فی مسند الفردوس . وجزم السيوطی بوضعه .

(٩٦) أخرجه الطبرانی بنحوه فی حديث طويل أوله : « لعن الله سبعة من فرق سبع سموات ... » .

(٩٧) أحمد : الأول ، ص ١٠٨ ، ٢١٧ ، ٣٠٩ ، ٣١٧ .

(٩٨) أخرجه الأصبهاني والحاکم ، عن أبي بكرة ، وقال الحاکم : صحيح الإسناد .

(٩٩) ابن ماجه : تجارات ٦٤ ، وأحمد : الثاني ص ١٧٩ ، ٢٠٤ ، ٢١٤ . كما أخرجه آخرون ، وله طرق كثيرة ،

انظرها في الإمام السخاوي : المقاصد الحسنة ، دراسة وتحقيق : الاستاذ / محمد عثمان الحشت حديث رقم ١٩٦

إذا أقسم عليه أبوه أو أمه لم ير قسمهما ، وإذا أمراه بأمر لم يطع أمرهما ، وإذا سألاه شيئاً لم يعطهما ، وإذا ائتمناه خانهما .

وسئل ابن عباس رضى الله عنهما عن أصحاب الأعراف من هم وما الأعراف ؟ فقال : أما الأعراف فهو جبل بين الجنة والنار ، وإنما سمي الأعراف لأنه مشرف على الجنة والنار ، وعليه أشجار وثمار وأنهار سعيون ، وأما الرجال الذين يكونون عليه فهم رجال خرجوا إلى الجهاد بغير رضا آبائهم وأمهاتهم فقتلوا في الجهاد ، فمنعهم القتل في سبيل الله عن دخول النار ، ومنعهم عقوق الوالدين عن دخول الجنة ، فهم على الأعراف حتى يقضى الله فيهم أمره .

وفي الصحيحين « أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله من أحق الناس منى بحسن الصحبة ؟ قال : أمك . قال : ثم من ؟ قال : أمك . قال : ثم من قال : أمك . قال : ثم من ؟ قال : أبوك ، ثم الأقرب فالأقرب » . فحضر على بر الأم ثلاث مرات ، وعلى بر الأب مرة واحدة . وما ذاك إلا لأن عنها أكثر وشفقتها أعظم ، مع ما تقاسيه من حمل وطلق وولادة ورضاعة وسهر ليل .

رأى ابن عمر رضى الله عنهما رجلاً قد حمل أمه على رقبتة وهو يطوف بها حول الكعبة . فقال : يا ابن عمر أترانى جازيتها ؟ قال : ولا بطلقة واحدة من طلقاتها ولكن قد أحسنت ، والله يثيبك على القليل كثيراً .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أربعة نفر حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها : مدمن خمر ، وآكل الربا ، وآكل مال اليتيم ظلماً . والعاق والديه ، إلا أن يتوبوا » (١٠٠) . وقال : « الجنة تحت أقدام الأمهات » (١٠١) ، وجاء رجل إلى أبى الدرداء رضى الله عنه

(١٠٠) أخرجه الحاكم ، وصححه . ولكن قال المنذرى : فيه إبراهيم بن عمار وهو متروك .
(١٠١) أحمد ، والنسائي ، وابن ماجه ، والحاكم فى مستدركه ، من حديث ابن جريج . انظر : المقاصد الحسنة للإمام السخاوى ، بتحقيق الاستاذ : محمد عثمان الحشت ، حديث رقم ٧٧٣ .

فقال : ياأبا الدرداء إني تزوجت امرأة وإن أُمي تأمرني بطلاقها . فقال أبو الدرداء : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الوالد أوسط أبواب الجنة فإن شئت فأضغ ذلك الباب أو احفظه »^(١٠٢) وقال ﷺ « ثلاث دعوات مستجابات لاشك فيهن : دعوة المظلوم ، ودعوة المسافر ، ودعوة الوالد على ولده »^(١٠٣)

وقال ﷺ : « الحالة بمنزلة الأم »^(١٠٤) أي في البر والإكرام والصلة والإحسان . وعن وهب بن منبه قال : إن الله تعالى أوحى إلى موسى صلوات الله وسلامه عليه ياموسى وفر والدك ، فإن من وفر والديه مددت في عمره ووهبت له ولداً يوقره ، ومن عقر والديه قصرت في عمره ووهبت له ولداً يعقه .

وقال أبو بكر بن مريم : قرأت في التوراة أن من يضرب أباه يقتل . وقال وهب : قرأت في التوراة : على من صك والده الرجم .

وعن عمرو بن مرة الجهني قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله أرأيت إذا صليت الصلوات الخمس ، وصمت رمضان ، وأديت الزكاة ، وحججت البيت ، فماذا لي ؟ فقال رسول الله ﷺ : « من فعل ذلك كان مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين إلا أن يعق والديه »^(١٠٥) . وقال ﷺ : « لعن الله العاق والديه »^(١٠٦) وجاء عن رسول الله ﷺ قال : « رأيت ليلة أسرى في أقواماً في النار معلقين في جذوع من نار فقلت : يا جبريل من هؤلاء ؟ قال : الذين يشتمون آباءهم وأمهاتهم . في الدنيا »^(١٠٧) .

(١٠٢) الترمذى : بر ٣ ، وابن ماجه : طلاق ٣٦ ، وأدب ١ . وأحمد : الخامس ص ١٩٦ ، والسادس ص ٤٤٥ ، ٤٤٨ ، ٤٥١ .

(١٠٣) الترمذى : بر ٧ ، وابن ماجه : دعاء ١١ ، وأحمد : الثاني ص ٢٥٨ ، ٣٠٥ ، ٣٤٣ ، ٣٤٨ ، ٣٦٧ ، ٤٣٤ ، ٤٤٥ ، ٤٧٨ ، ٥١٧ ، ٥٢٣ .

(١٠٤) البخارى : صلح ٦ ، وأبو داود : طلاق ٣٥ ، والترمذى : بر ٦ ، والدايمى : فرائض ٣٨ .

(١٠٥) أخرجه الطبرانى وغيره ، وسنده صحيح .

(١٠٦) سبق تخريجه .

(١٠٧) لم نقف على من أخرجه فيما بين أيدينا من مصادر .

وروى أنه من شتم والديه ينزل عليه في قبره جمر من نار بعدد كل قطر ينزل من السماء إلى الأرض . وروى أنه إذا دفن عاق والديه عصره القبر حتى تختلف فيه أضلاعه وأشد الناس عذاباً يوم القيامة ثلاثة : المشرك والزاني والعاق لوالديه .

وقال بشر مامن رجل يقرب من أمه حيث يسمع كلامها إلا كان أفضل من الذى يضرب بسيفه في سبيل الله والنظر إليها أفضل من كل شيء ، وجاء رجل وامرأة إلى رسول الله ﷺ يختصمان في صبي لهما فقال الرجل : يا رسول الله ولدى خرج من صلبى وقالت المرأة : يا رسول الله حملة خفأ ووضعته شهوة وحملته كرهاً ووضعته كرهاً وأرضعته حولين كاملين ، فقضى به رسول الله ﷺ لأمه (١٠٨) .

(موعظة) : أيها المضيع لآكد الحقوق ، المعتاض من بر الوالدين ، العقوق ، الناسى لما يجب عليه ، الغافل عما بين يديه ، بر الوالدين عليك دين . وأنت تتعاطاه باتباع الشين (١٠٩) تطلب الجنة بزعمك ، وهى تحت أقدام أمك . حملتك في بطنها تسعة أشهر كأنها تسع حجج (١١٠) . وكابدت عند الوضع ما يذيب المهج ، وأرضعتك من ثديها لبناً ، وأطارت لأجلك وسناً (١١١) ، وغسلت يمينها عنك الأذى ، وآثرتك على نفسها بالغذاء ، وصيرت حجراً لك مهداً ، وأنالتك إحساناً ورفداً (١١٢) ، فإن أصابك مرض أو شكاية ، أظهرت من الأسف فوق النهاية ، وأطالت الحزن والنحيب ، وبذلت مالها للطبيب ، ولو خيرت بين حياتك وموتها ، لطلبت حياتك بأعلى صوتها ، هذا وكم عاملتها بسوء الخلق مراراً ، فدعت لك بالتوفيق سراً وجهاراً . فلما احتاجت عند الكبر إليك ، جعلتها من

(١٠٨) أبو داود : طلاق ٣٥ ، بنحوه .

(١٠٩) أى العيب .

(١١٠) أى سنوات .

(١١١) أى نعاساً .

(١١٢) أى عطاء .

أهون الأشياء عليك ، فشبت وهي جائعة ورويت وهي قانعة . وقدمت عليها
أهلك وأولادك بالإحسان وقابلت أياديها بالنسيان وصعب لديك أمرها وهو
يسير . وطال عليك عمرها وهو قصير هجرتها وما لها سواك نصير ، هذا ومولاك قد
نهاك عن التأفف^(١١٣) ، وعاتبك في حقها بعتاب لطيف . ستعاقب في دنياك
بعقوق البنين ، وفي آخرك بالبعد من رب العالمين ، يناديك بلسان التوبيخ
والتهديد ﴿ ذَلِكْ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ :^(١١٤)

لأملك حق لو علمت كثير	كثيرك يا هذا لديه يسير
فكم ليلة باتت بثقلك تشتكى	ها من جواها ^(١١٥) أنة وزفير
وفي الوضع لو تدرى عليها مشقة	فمن غصص منها الفؤاد يطير
وكم غسلت عنك الأذى يمينها	وما حجرها إلا لديك سرير
وتفديك مما تشتكيه بنفسها	ومن ثديها شرب. لديك نمير
وكم مرة جاعت وأعطتك قوتها	حناناً وإشفاقاً وأنت صغير
فأهاً لذى عقل ويتبع الهوى	وأهاً لأعمى القلب وهو بصير
فدونك فارغب في عميم دعائها	فأنت لما تدعو إليه فقير

حكى أنه كان في زمن النبي ﷺ شاب يسمى علقمة وكان كثير الاجتهاد
في طاعة الله ، في الصلاة والصوم والصدقة ، فمرض واشتد مرضه ، فأرسلت
امراته إلى رسول الله ﷺ أن زوجي علقمة في النزع ، فأردت أن أعلمك
يارسول الله بحاله فأرسل النبي ﷺ عماراً وصهيباً وبلالاً وقال : امضوا إليه
ولقنوه الشهادة فمضوا إليه ودخلوا عليه فوجدوه في النزع ، فجعلوا يلقنونه
(لا إله إلا الله) ولسانه لا ينطق بها فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ يخبرونه أنه
لا ينطق لسانه بالشهادة . فقال النبي ﷺ : هل من أبويه أحد حتى ؟ قيل :

(١١٣) أى التضجر .

(١١٤) الحج : ١٠ .

(١١٥) الجوى : الحرقلة من شدة الحب والوحدة .

يارسول الله أم كبيرة السن ، فأرسل إليها رسول الله ﷺ وقال للرسول : قل لها إن قدرت على المسير إلى رسول الله ﷺ وإلا فقرى في المنزل (١١٦) حتى يأتيك . قال : فجاء إليها الرسول فأخبرها بقول رسول الله ﷺ فقالت : نفسى لنفسه فداء ؛ أنا أحق بإتيانه . فتوكتأت وقامت على عصا ، وأتت رسول الله ﷺ . فسلمت فرد عليها السلام وقال لها : يأم علقمة أصدقيني وإن كذبتى جاء الوحي من الله تعالى ، كيف كان حال ولدك علقمة ؟ قالت : يارسول الله كثير الصلاة ، كثير الصيام كثير الصدقة قال رسول الله ﷺ فما حالك ؟ قالت : يارسول الله أنا عليه ساخطة . قال : ولم ؟ قالت : يارسول الله كان يؤثر على زوجته ويعصيني فقال رسول الله ﷺ : إن سخط أم علقمة حجب لسان علقمة عن الشهادة . ثم قال يابلال انطلق واجمع لى حطباً كثيراً قالت يارسول وما تصنع ؟ قال : أحرقه بالنار بين يديك قالت : يارسول الله ولدى لا يحمى قلبى أن تحرقه بالنار بين يدي . قال : يأم علقمة عذاب الله أشد وأبقى ، فإن سرك أن يغفر الله له فارضى عنه فو الذى نفسى بيده لا ينتفع علقمة بصلاته ولا بصيامه ولا بصدقته مادمت عليه ساخطة . فقالت يارسول الله إني أشهد الله تعالى وملائكته ومن حضرني من المسلمين أنى قد رضيت عن ولدى علقمة . فقال رسول الله ﷺ : انطلق يابلال إليه وانظر هل يستطيع أن يقول : لا إله إلا الله أم لا ؟ فلعل أم علقمة تكلمت بما ليس فى قلبها حيأ منى . فانطلق فسمع علقمة من داخل الدار يقول (لا إله إلا الله) فدخل بلال فقال : ياهؤلاء إن سخط أم علقمة حجب لسانه عن الشهادة ، وإن رضاها أطلق لسانه . ثم مات علقمة من يومه ، فحضره رسول الله ﷺ فأمر بغسله وكفنه ثم صلى عليه وحضر دفنه ، ثم قام على شفير قبره وقال : يامعشر المهاجرين والأنصار من فضل زوجته على أمه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً إلا أن يتوب إلى الله عز وجل ويحسن إليها ويطلب

(١١٦) أى انتهى لى المنزل .

رضاها ، فرضى الله فى رضاها وسخط الله فى سخطها^(١١٧) . فنسأل الله أن يوفقنا لرضاها ، وأن يجنبنا سخطه ؛ إنه جواد كريم رؤوف رحيم .

[الكبيرة التاسعة : هجر الأقارب]

قال الله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾^(١١٨) أى واتقوا الأرحام أن تقطعوها . وقال الله تعالى : ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ﴾^(١١٩) . وقال الله تعالى : ﴿الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ، وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾^(١٢٠) . وقال الله تعالى : ﴿يُضِلُّ بِهِ﴾ أى بالقرآن ﴿كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(١٢١) .

أعظم ذلك ما بين العبد وبين الله ماعهده الله على العبيد .
وفى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « لا يدخل الجنة قاطع رحم » . فمن قطع أقاربه الضعفاء وهجرهم وتكبر عليهم ولم يصلهم بيو وإحسانه وكان غنياً وهم فقراء فهو داخل فى هذا الوعيد ، محروم من دخول الجنة ، إلا أن يتوب إلى الله عز وجل ويحسن إليهم . وقد ورد فى الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من كان له أقارب ضعفاء ولم يحسن إليهم ويصرف صدقته إلى غيرهم لم يقبل الله منه صدقته ولا ينظر إليه يوم القيامة . وإن كان

(١١٧) فى تصدير المؤلف لتلك القصة بصفة الترهىض (حكى) إشارة إلى ضعفها . وقام ابن الجوزى بوضعها ، وأشار الجوزى لضعفه الشديد .

(١١٨) النساء : ١ .

(١١٩) محمد : ٢٢ - ٢٣ .

(١٢٠) الرعد : ٢٠ - ٢١ .

(١٢١) البقرة : ٢٦ - ٢٧ .

فقيراً وصلهم بزيارتهم والتفقد لأحوالهم « لقول النبي ﷺ « صلوا أرحامكم ولو بالسلم » (١٢٢) .

وقال ﷺ : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه » (١٢٣) .
وفى الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ليس الواصل بالمكافئ ، ولكن الواصل الذى من إذا قطعت رحمه وصلها » (١٢٤) .

وقال ﷺ : يقول الله تعالى « أنا الرحمن وهى الرحم فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته » (١٢٥) . وعن على بن الحسين رضى الله عنهما أنه قال لولده : يا بنى لاتصحبن قاطع رحم فإنى وجدته ملعوناً فى كتاب الله فى ثلاثة مواضع .

وروى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه جلس يحدث عن رسول الله ﷺ فقال : أخرج على كل قاطع رحم إلا قام من عندنا ، فلم يقم أحد إلا شاب من أقصى الحلقة ، فذهب إلى عمته لأنه كان قد صارها منذ سنين فصالحها . فقالت له عمته : ماجاء بك يا ابن أخى فقال : إني جلست إلى أبى هريرة صاحب رسول الله ﷺ فقال : أخرج على كل قاطع رحم إلا قام من عندنا ، فقالت له عمته : ارجع إلى أبى هريرة واسأله لم ذلك فرجع إليه وأخبره بما جرى له مع عمته وسأله : لم لا يجلس عندك قاطع رحم ؟ فقال أبو هريرة : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الرحمة لاتنزل على قوم فيهم قاطع رحم » (١٢٦) .

وحكى أن رجلاً من الأغنياء حج إلى بيت الله الحرام ، فلما وصل إلى مكة أودع من ماله ألف دينار عند رجل كان موسوماً بالأمانة والصلاح إلى أن يقف بعرفات ، فلما وقف بعرفات ورجع إلى مكة وجد الرجل قد مات ، فسأل أهله

(١٢٢) أخرجه الطبرانى عن أبى هريرة ، ورجال ثقات .

(١٢٣) أخرجه البخارى فى الأدب ، ومسلم فى البر ، وأحمد فى المسند .

(١٢٤) البخارى : أدب ١٥ ، والترمذى : بر ١٠ .

(١٢٥) البخارى : أدب ١٣ ، وأحمد : السادس ، ص ٦٢ .

(١٢٦) أخرج الأصبهانى نحوه ، والطبرانى آخره فقط . وهو حديث موضوع .

عن ماله ، علم أنه لم يكن لهم به علم . فأتى علماء مكة فأخبرهم بحاله وماله فقالوا له : إذا كان نصف الليل فائتِ زمزم وانظر فيها ، وناد : يا فلان باسمه . فإن كان من أهل الجنة فسيجيئك بأول مرة ، فمضى الرجل ونادى فى زمزم فلم يجبه أحد ، فجاء إليهم وأخبرهم فقالوا : (إن الله وإنا إليه راجعون) . نخشى أن يكون صاحبك من أهل النار ، اذهب إلى أرض اليمن ففيها بئر يسمى برهوت يقال : إنه على قم جهنم فانظر فيه بالليل ، وناد : يا فلان فإن كان من أهل النار فسيجيئك منها ، فمضى إلى اليمن وسأل عن البئر فدل عليها ، فأتاها بالليل ونظر فيها ونادى : يا فلان ، فأجابه فقال : أين ذهبت ؟ قال دفنته فى الموضع الفلانى من دارى ، ولم أأمن عليه ولدى ، فائتكم واحفر هناك تجده . فقال له : ما الذى أنزلك ها هنا وكنا نظن بك الخير ؟ فقال : كان لى أخت فقيوة هجرتها وكنت لا أحنو عليها فعاقبنى الله سبحانه بسببها وأنزلنى الله هذه المنزلة .

وتصديق ذلك فى الحديث الصحيح قوله ﷺ : « لا يدخل الجنة قاطع »^(١٣٧) يعنى قاطع رحم كالأخت والخالة والعمة وبت الأخت وغيرهم من الأقارب ، فنسأل الله التوفيق لطاعته ، إنه جواد كريم .

[الكبيرة العاشرة : الزنا]

وبعضه أكبر من بعض قال الله تعالى :

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾^(١٣٨) . وقال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ . وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ، إِلَّا مَنْ تَابَ ﴾^(١٣٩) . وقال الله تعالى : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ

(١٣٧) مسلم : التبر ١٨ ، ١٩ . وأحمد : الثالث ص ٤٨٤ ، والثالث ص ١٤ ، ٨٣ ، والرابع ص ٣٩٩ .

(١٣٨) الإسرار : ٣٢ .

(١٣٩) الفرقان : ٦٨ - ٧٠ .

اللَّهُ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشَهَدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٠﴾ .

قال العلماء : هذا عذاب الزانية والزاني في الدنيا ، إذا كانا عزيزين غير متزوجين . فإن كانا متزوجين أو قد تزوجا ولو مرة في العمر ، فإنهما يرجعان بالحجارة إلى أن يموتا كذلك ثبت في السنة عن النبي ﷺ . فإن لم يستوف القصاص منهما في الدنيا وماتا من غير توبة فإنهما يعذبان في النار بسياط من نار .

كما ورد أن في الزبور مكتوباً : إن الزناة معلقون بفروجهم في النار يضربون عليها بسياط من حديد ، فإذا استغاث من الضرب نادته الزبانية : أين كان هذا الصوت وأنت تضحك وتفرح وتمرح ولا تراقب الله تعالى ولا تستحي منه ١٩ وثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن » (١٣١) . وقال ﷺ : « إذا زنى العبد خرج منه الإيمان ، فكان كالظلة على رأسه ، ثم إذا أقلع رجع إليه الإيمان » (١٣٢) .

وقال ﷺ : « من زنى أو شرب الخمر نزع الله منه الإيمان كما يخلع الإنسان القميص من رأسه » (١٣٣) وفي الحديث النبوي قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ، ولا ينظر إليهم ولا يزكهم ، ولهم عذاب أليم ، شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر » (١٣٤) .

(١٣٠) النور : ٢ .

(١٣١) ابن ماجه : فتن ٣ . وغيره .

(١٣٢) أبو داود : سنة ١٥ . وغيره .

(١٣٣) أخرجه الحاكم وغيره عن أبي هريرة .

(١٣٤) النسائي : زكاة ٧٧ ، وأحد : الثاني ، ص ٤٣٣ ، والخامس ص ١٥٣ .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ، أى الذنب أعظم عند الله تعالى ؟ قال : « أن تجعل لله نداً وهو خلقك » . فقلت : إن ذلك لعظيم ، ثم أى ؟ قال : « أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك » . قلت : ثم أى ؟ قال : « أن تزنى بحليلة جارك — يعنى زوجة جارك — » فأُنزل الله عز وجل تصديق ذلك .

﴿ والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَاناً إِلَّا مَنْ تَاب ﴾ (١٣٥) .

فانظر رحمك الله كيف قرن الزنا بزوجة الجار بالشرك بالله وقتل النفس التى حرم الله عز وجل إلا بالحق ، وهذا الحديث مخرج فى الصحيحين .

وفى صحيح البخارى فى حديث منام النبى ﷺ الذى رواه سمرة بن جندب ، وفيه أنه ﷺ جاءه جبريل وميكائيل قال : انطلقنا فأتينا على مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع ، فيه لغط وأصوات . قال : فاطلعنا فيه فإذا فيه رجال ونساء عراة ، فإذا هم يأتهم لهب من أسفل منهم ، فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا — أى صاحوا من شدة حره — فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الزناة والزواني — يعنى من الرجال والنساء ، فهذا عذابهم إلى يوم القيامة . نسأل الله العفو والعافية .

وعن عطاء فى تفسير قول الله تعالى عن جهنم (لها سبعة أبواب) . قال : أشد تلك الأبواب غمًّا وحرًّا وكرباً وأنتنًا ريحاً للزناة الذين ارتكبوا الزنا بعد العلم . وعن مكحول الدمشقى قال : يجد أهل النار رائحة منتنة فيقولون : ما وجدنا أنتن من هذه الرائحة فيقال لهم : هذه ريح فروج الزناة . وقال ابن زيد : أحد أئمة التفسير إنه ليؤذى أهل النار ريح فروج الزناة . وفى العشر الآيات التى *

١٣٥٠ (سبق تخريجہ . والآيات ٦٨ — ٧٠ من سورة الفرقان .

كتبها الله لموسى عليه السلام : ولا تسرق ولا تزني فأحجب عنك وجهي ، فإذا كان الخطاب لنبيه موسى عليه السلام فكيف بغيره ؟

وجاء عن النبي ﷺ « إن إبليس يث جنوده في الأرض ويقول لهم : أيكم أضل مسلماً ألبسته التاج على رأسه ، فأعظمهم فتنة أقربهم إليه منزلة ، فيجيء إليه أحدهم فيقول له : لم أزل بفلان حتى طلق امرأته ، فيقول : ما صنعت شيئاً ، سوف يتزوج غيرها ، ثم يجيء الآخر فيقول : لم أزل بفلان حتى ألقيت بينه وبين أخيه العداوة ، فيقول : ما صنعت شيئاً سوف يصالحه ، ثم يجيء الآخر فيقول : لم أزل بفلان حتى زني ، فيقول إبليس : نعم ما فعلت . فيدينه منه ويضع التاج على رأسه » (١٣٦) ، نعوذ بالله من شرور الشيطان وجنوده .

وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الإيمان سرايا يسريه الله من يشاء ، فإذا زنى العبد نزع الله منه سرايا الإيمان ، فإن تاب رده عليه » (١٣٧) ، وجاء عن النبي ﷺ أنه قال : « يامعشر المسلمين اتقوا الزنا ؛ فإن فيه ست خصال ، ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة ، فأما التي في الدنيا : فذهاب بهاء الوجه ، وقصر العمر ، ودوام الفقر وأما التي في الآخرة : فسخط الله تبارك وتعالى ، وسوء الحساب ، والعذاب بالنار » (١٣٨) .
وعنه ﷺ أنه قال : « من مات مصرّاً على شرب الخمر سقاه الله تعالى من نهر الغوطة وهو نهر يجري في النار من فروج المومسات » (١٣٩) يعني الزانيات ، يجري من فروجهن قيح وصدید في النار ، ثم يسقى ذلك لمن مات مصرّاً على شرب الخمر .

(١٣٦) أخرجه الطبرانی في الأوسط ، وسنده ضعيف .

(١٣٧) أخرجه البيهقي عن أبي هريرة ، وسنده ضعيف .

(١٣٨) أخرجه أبو نعيم عن حذيفة ، وسنده ضعيف ، وأورد ابن الجوزي في الموضوعات .

(١٣٩) أخرجه ابن حبان والحاكم ، عن أبي موسى الأشعري .

وقال رسول الله ﷺ : « مامن ذنب بعد الشرك بالله أعظم عند الله من نطفة وضعها رجل في فرج لا يحل له »^(١٤٠) ، وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام : « في جهنم واد فيه حيات كل حية ثخن رقبة البعير ، تلسع تارك الصلاة ، فيغلي سمها في جسمه سبعين سنة ، ثم يتهرى لحمه . وإن في جهنم وادياً اسمه جب الحزن فيه حيات وعقارب كل عقرب بقدر البغل لها سبعون شوكة في كل شوكة رآوية سم ، ثم تضرب الزاني وتفرغ سمها في جسمه ، يجد مرارة وجعها ألف سنة ، ثم يتهرى لحمه ، ويسيل من فرجه القيح والصدید »^(١٤١) .

وروى أيضاً : أن من زنى بامرأة كانت متزوجة ، كان عليها وعليه في القبر نصف عذاب هذه الأمة ، فإذا كان يوم القيامة يحكم الله سبحانه وتعالى زوجها في حسناته ، هذا إن كان بغير علمه ، فإن علم وسكت حرم الله عليه الجنة ، لأن الله تعالى كتب على باب الجنة : أنت حرام على الديوث . وهو الذى يعلم الفاحشة في أهله ويسكت ولا يغار .

ورود أيضاً : أن من وضع يده على امرأة لا تحل له بشهوة جاء يوم القيامة مغلوله يده إلى عنقه ، فإن قبلها قرضت شفتاه في النار ، فإن زنى بها نطقت فحذه وشهدت عليه يوم القيامة ، وقالت : أنا للحرام ركبت ، فينظر الله تعالى إليه بعين الغضب ، فيقع لحم وجهه فيكابر ، ويقول : مافعلت فيشهد عليه لسانه فيقول : أنا بما لا يحل نطقت ، وتقول يده : أنا للحرام تناولت ، وتقول عيناه أنا للحرام نظرت ، وتقول رجلاه : أنا لما لا يحل مشيت ، ويقول فرجه : أنا فعلت ، ويقول الحافظ من الملائكة : وأنا سمعت ويقول الآخر : وأنا كتبت ويقول الله تعالى : وأنا اطلعت وسترت . ثم يقول الله تعالى ياملائكتى خذوه ومن عذابى أذيقوه ، فقد اشتد غضبى على من قل حياؤه منى ، وتصديق ذلك في كتاب الله ، عز وجل :

(١٤٠) أخرجه الطبراني بسند ضعيف .
(١٤١) لم تقف على من أخرجه في المصادر التى بين أيدينا .

﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^(١٤٢)
 وأعظم الزنا الزنا بالأم والأخت وامرأة الأب وبالحارم . وقد صحح الحاكم :
 « من وقع على ذات محرم فاقتلوه » ، وعن البراء أن خاله بعثه رسول الله ﷺ
 إلى رجل عرس بامرأة أبيه أن يقتله ويخمس ماله^(١٤٣) . فنسأل الله المنان^(١٤٤) .
 بفضلله أن يغفر لنا ذنوبنا ؛ إنه جواد كريم .

[الكبيرة الحادية عشرة : اللواط]

قد قص الله عز وجل علينا في كتابه العزيز قصة قوم لوط في غير
 موضع ، من ذلك قول الله تعالى :

﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ
 سِجِّيلٍ ﴾^(١٤٥) . أى من طين طُبِخ حتى صار كالآجر ، (مَنْضُودٍ) أى يتلو
 بعضه بعضاً ، (مُسَوَّمَةً) أى معلّمة بعلامة تعرف بها أنها ليست من حجارة أهل
 الدنيا ، (عِنْدَ رَبِّكَ) أى فى خزائنه التى لا يتصرف فى شىء منها إلا بإذنه ، (وَمَا
 هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ)^(١٤٥) ماهى من ظالمى هذه الأمة إذا فعلوا فعلهم أن يحل
 بهم ما حل بأولئك من العذاب .

ولهذا قال النبى ﷺ : « أخوف ما أخاف عليكم عمل قوم لوط »^(١٤٦)
 ولعن من فعل فعلهم ثلاثاً فقال « لعن الله من عمل عمل قوم لوط »^(١٤٧) وقال
 عليه الصلاة والسلام « من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل
 والمفعول به »^(١٤٨) . قال ابن عباس رضى الله عنهما ينظر أعلى بناء فى القرية ،
 فيلقى منه ، ثم يتبع بالحجارة ، كما فعل بقوم لوط .

(١٤٢) النور : ٢٤ .

(١٤٣) أخرجه الترمذى وغيره .

(١٤٤) المنان : النعم .

(١٤٥) هود : ٨٢ ، ٨٣ .

(١٤٦) أخرجه الحاكم ، وقال : صحيح الإسناد .

(١٤٧) أخرجه الطبرانى فى الأوسط عن أبى هريرة .

(١٤٨) أخرجه أبو داود : حدود ٢٨ ، والترمذى : حدود ٢٤ ، وابن ماجه : حدود ١٢ ، وأحمد : الأول ، ص

وأجمع المسلمون على أن التلوط من الكبائر التي حرم الله تعالى :
﴿ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾^(١٤٩) أى مجاوزون من الحلال إلى الحرام .
وقال الله تعالى فى آية أخرى مخبراً عن نبيه لوط عليه السلام :
﴿ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ﴾^(١٥٠) .

وكان اسم قريتهم سدوم ، وكان أهلها يعملون الخبائث التي ذكرها الله سبحانه فى كتابه ، كانوا يأتون الذكران من العالمين فى أدبارهم ويتضارطون فى أنديتهم مع أشياء أخرى كانوا يعملونها من المنكرات .

وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : عشر خصال من أعمال قوم لوط - تصفيف الشعر ، وحل الأزرار ، ورمى البندق ، والحذف بالخصى ، واللعب بالحمام الطيارة ، والصفير بالأصابع ، وفرقة الأكمب ، وإسبال الإزار ، وحل أزر الأقبية ، وإدمان شرب الخمر ، وإتيان الذكور ، وستريد عليها هذه الأمة مساحقة النساء النساء .

وجاء عن النبي ﷺ أنه قال : « سحاق النساء بينهن زنا »^(١٥١) ، وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « أربعة يصبحون فى غضب الله ويمسون فى سخط الله تعالى » قيل : من هم يا رسول الله ؟ قال : « المتشبهون من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال ، والذي يأتى البهيمة ، والذي يأتى الذكر يعنى اللواط »^(١٥٢) وروى « أنه إذا ركب الذكر الذكر اهتز عرش الرحمن خوفاً من غضب الله تعالى وتكاد السماوات أن تقع على الأرض فتمسك الملائكة بأطرافها وتقرأ قل هو الله أحد إلى آخرها حتى يسكن غضب الله عز وجل » .

(١٤٩) الشعراء : ١٦٥ - ١٦٦ .

(١٥٠) الانبياء : ٧٤ .

(١٥١) أخرجه الطبرانى عن والدة بن الأسقع ، وسنده ضعيف .

(١٥٢) أخرجه البيهقى والطبرانى عن أبى هريرة ، وسنده ضعيف .

وجاء عن النبي ﷺ أنه قال : « سبعة يلعنهم الله تعالى ولا ينظر إليهم يوم القيامة ويقول : ادخلوا النار مع الداخلين : الفاعل والمفعول به — يعنى اللواط ، وناكح البهيمة ، وناكح الأم وابنتها ، وناكح يده إلا أن يتوبوا » (١٥٣) .

وروى أن قوماً يحشرون يوم القيامة وأيديهم حبلى من الزنا كانوا يعيشون في الدنيا بمذاكيرهم . وروى أن من أعمال قوم لوط : اللعب بالنرد ، والمسابقة بالحمام ، والمهارة بين الكلاب ، والمناطحة بين الكباش ، والمناقرة بالديوك ، ودخول الحمام بلا مئزر ، ونقص الكيل والميزان . ويل لمن فعلها .

وفي الأثر : (من لعب بالحمام القلابة لم يمت حتى يذوق ألم الفقر) . وقال ابن عباس رضى الله عنهما : إنه إذا مات من غير توبة فإنه يمسح في قبره خنزيراً .

وقال ﷺ : « لا ينظر الله إلى رجل أتى ذكراً أو امرأة في دبرها » (١٥٤) قال أبو سعيد الصعلوكي : سيكون في هذه الأمة قوم يقال لهم : اللوطيون ، وهم على ثلاثة أصناف : صنف ينظرون ، وصنف يصافحون ، وصنف يعملون ذلك العمل الخبيث .

والنظر بشهوة إلى المرأة والأمرد زنا ، لما صح عن النبي ﷺ أنه قال : « زنا العين النظر ، وزنا اللسان النطق ، وزنا اليد البطش ، وزنا الرجل الخطى ، وزنا الأذن الاستماع ، والنفس تمنى وتشتى ، والفرج يصدق ذلك ويكذبه » (١٥٥) . ولأجل ذلك بالغ الصالحون في الإعراض عن المردان وعن النظر إليهم وعن مخالطتهم ومجالستهم ، قال الحسن بن ذكوان : لا تجالسوا أولاد الأغنياء ، فإن لهم صوراً كصور العذارى ، فهم أشد فتنة من النساء ، وقال بعض

(١٥٣) أخرجه الديلمي في مسند الفردوس ، وسنده ضعيف .

(١٥٤) الترمذى : رضاع ١٢ ، وابن ماجه : نكاح ٢٩ ، وأحمد : الناقى ، ص ٣٤٤ .

- (١٥٥) أحمد : الناقى ، ص ٢٧٦ ، ٣١٧ ، ٣٢٩ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٩ ، ٣٧٢ ، ٣٧٩ ، ٤١١ ، ٤٣١ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ . البخارى : استئذان ١٢ ، قدر ٩ . ومسلم : قدر حديث ٢٠ وأبو داود : نكاح ٤٣ .

التابعين : ما أنا بأخوف على الشاب الناسك من سبع ضار من الغلام الأمرد يقعد إليه ، وكان يقال : لا يبيتن رجل مع أمرد في مكان واحد ، وحرّم بعض العلماء الخلوة مع الأمرد في بيت أو حانوت أو حمام قياساً على المرأة؛ لأن النبي ﷺ قال : « ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما »^(١٥٦) وفي المردان من يفوق النساء بحسنه ، فالفتنة به أعظم ، وإنه يمكن في حقه من الشر ما لا يمكن في حق النساء ، ويتسهل في حقه من طريق الريّة والشر ما لا يتمهل في حق المرأة ، فهو بالتحريم أولى ، وأقارب السلف في التنفير منهم والتحذير من رؤيتهم أكثر من أن تحصر ومهمهم « الأنتان » لأنهم مستقدرون شرعاً ، وسواء في كل ما ذكرناه نظر المنسوب إلى الصلاح وغيره . ودخل سفيان الثوري الحمام فدخل عليه صبي حسن الوجه فقال : أخرجوه عنى أخرجوه ، فأبى أرى مع كل امرأة شيطناً ، وأرى مع كل صبي حسن بضعة عشر شيطناً .

وجاء رجل إلى الإمام أحمد رحمه الله ومعه صبي حسن ، فقال الإمام : ماهذا منك ؟ قال : ابن أختي . قال : لا تجيء به إلينا مرة أخرى ، ولا تمش معه في طريق ؛ لئلا يظن بك من لا يعرفك ولا يعرفه سوءاً .

وروى أن وفد عبد القيس لما قدموا على النبي ﷺ كان فيهم أمرد حسن ، فأجلسه النبي ﷺ خلف ظهره وقال : « إنما كانت فتنة داود عليه السلام من النظر »^(١٥٧) . وأنشدوا شعراً :

كل الحوادث مبداها من النظر	معظم النار من مستصغر الشرر
والمرء مادام ذا عين يقبلها	في أعين الغير موقوف على الخطر
كم نظيرة فعلت في قلب صاحبها	فعل السهام بلا قوس ولا وتر
يسر ناظره ماضر خاطره	لا مرجحاً بسرور عاد بالضرير

وكان يقال : النظر بريد الزنا ، وفي الحديث : النظر سهم مسموم من سهام إبليس ، فمن تركه لله أورث الله قلبه حلاوة عبادة يجدها إلى يوم القيامة .

(١٥٦) أخرجه أحمد والترمذي ، وغيرهما .

(١٥٧) هذا حديث منكر — كما قال الزركشي — فيه ضعف وإجمال والقطع . وقد رواه الديلمي في الفردوس .

(فصل) في عقوبة من أمكن من نفسه طائعاً : عن خالد بن الوليد رضي الله عنه أنه كتب إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه وجد في بعض النواحي رجلاً ينكح في دبره فاستشار أبو بكر الصحابة رضي الله عنهم في أمره فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : إن هذا ذنب لم يعمله إلا أمة واحدة قوم لوط ، وقد أعلمنا الله تعالى بما صنع بهم ، أرى أن يحرق بالنار فكتب أبو بكر إليهم أن أحرقه بالنار ، فأحرقه خالد رضي الله عنه .

وقال علي رضي الله عنه : من أمكن من نفسه طائعاً حتى ينكح ألقى الله عليه شهوة النساء وجعله شيطاناً رجيماً في قبره إلى يوم القيامة .
وأجمعت الأمة على أن من فعل بمملوكه فهو لوطي مجرم ، وما روى أن عيسى ابن مريم عليه السلام مر في سياحته على نار توقد على رجل فأخذ عيسى عليه السلام ماء ليطفئ عنه ، فانقلبت النار صيباً وانقلب الرجل ناراً فتعجب عيسى عليه السلام من ذلك ، وقال : يارب ردهما إلى حالهما في الدنيا لأسألهما عن خبرهما ، فأحياهما الله تعالى فإذا هما رجل وصبي ، فقال لهما عيسى عليه السلام : ما خبركما ؟ فقال الرجل : ياروح الله إني كنت في الدنيا مبتلى بحب هذا الصبي فحملتني الشهوة أن فعلت به الفاحشة ، فلما أن مت ومات الصبي صير ناراً يحرقني مرة وأصير ناراً أحرقه مرة فهذا عذابنا إلى يوم القيامة ، نعوذ بالله من عذاب الله ، ونسأله العفو والعافية والتوفيق لما يحب ويرضى .

(فصل) ويلتحق باللواط إتيان المرأة في دبرها مما حرمه الله تعالى ورسوله ، قال الله عز وجل : ﴿ نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾ أي كيف شئتم مقبلين ومدبرين في صمام واحد ، أي موضع واحد . وسبب نزول هذه الآية أن اليهود في زمن النبي ﷺ كانوا يقولون : إذا أتى الرجل امرأته من دبرها في قبلها جاء الولد أحول ، فسأل أصحاب رسول الله ﷺ عن ذلك فأنزل الله هذه الآية تكديماً لهم : ﴿ نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾ مجيبة أو غير مجيبة غير أن ذلك في صمام واحد ، أخرجه مسلم .

وفي رواية : اتقوا الدبر والحبيضة ، وقوله في صمام واحد ، أى فى موضع واحد وهو الفرج : لأنه موضع الحرث ، أى موضع مزرع الولد ، وأما الدبر فإنه محل النجو وذلك خبيث مستقذر . وقد روى أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : ﴿ ملعون من أتى حائضاً أو امرأة فى دبرها ﴾ (١٥٨) .

وروى الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « من أتى حائضاً أو امرأة فى دبرها أو كاهناً فقد كفر بما أنزل على محمد » . فمن جامع امرأته وهى حائض ، أو جامعها فى دبرها فهو ملعون ، وداخل فى هذا الوعيد الشديد ، وكذا إذا أتى كاهناً ، وهو المنجم . ومن يدعى معرفة الشيء المسروق ويتكلم على الأمور المغيبات فسأله عن شيء منها فصده .

وكثير من الجهال واقعون فى هذه المعاصى ، وذلك من قلة معرفتهم وسماعهم للعلم ، ولذلك قال أبو الدرداء : كن عالماً أو متعلماً أو مستعلماً أو محباً ولا تكن الخامس فهلك ، وهو الذى لا يعلم ولا يتعلم ولا يستمع ولا يحب من يعمل ذلك . ويجب على العبد أن يتوب إلى الله من جميع الذنوب والخطايا . ويسأل الله العفو عما مضى منه فى جهله ، والعافية فيما بقى من عمره . اللهم إنا نسألك العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة ، إنك أرحم الراحمين .

[الكبيرة الثانية عشرة : الربا]

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١٥٩) . وقال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ أى لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كما يقوم الذى قد مسه الشيطان وصرعه (ذلك) أى ذلك الذى أصابهم ﴿ بِأَلْسِنِهِمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ﴾ (١٦٠) .

(١٥٨) أبو داود : نكاح ٤٥ . واحد : الطال ، ص ٤٤٤ ، ٤٧٩ .

(١٥٩) آل عمران : ١٣٠ .

(١٦٠) البقرة : ٢٧٥ .

أى حالاً فاستحلوا ما حرم الله ، فإذا بعث الله الناس يوم القيامة خرجوا مسرعين إلا أكلة الربا فإنهم يقومون ويسقطون كما يقوم المصروع ، كلما قام صرع ؛ لأنهم لما أكلوا الربا الحرام في الدنيا أرباه الله في بطونهم حتى أثقلهم يوم القيامة ، فهم كلما أرادوا النهوض سقطوا ، ويريدون الإسراع مع الناس فلا يقدر .

وقال قتادة : إن أكل الربا يبعث يوم القيامة مجنوناً ، وذلك علم لأكلة الربا يعرفهم به أهل الموقف . وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لما أسرى نى مررت بقوم بطونهم بين أيديهم ، كل رجل منهم بطنه مثل البيت الضخم ، قد مالت بهم بطونهم منضدين على سابلة آل فرعون وآل فرعون يعرضون على النار غدواً وعشيا . قال : فيقبلون مثل الإبل المنهزمة لا يسمعون ولا يعقلون ، فإذا أحس بهم أصحاب تلك البطون قاموا فتميل بهم بطونهم فلا يستطيعون أن يبرحوا حتى يغشاهم آل فرعون ، فيردونهم مقبلين ومدبرين . فذلك عذابهم في البرزخ بين الدنيا والآخرة . قال ﷺ « فقلت يا جبريل من هؤلاء ؟ قال هؤلاء الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس » (١٦١) .

وفى رواية قال : « لما عرج نى سمعت فى السماء السابعة فوق رأسى رعداً وصواعق ورأيت رجالاً بطونهم بين أيديهم كالبيوت فيها حيات وعقارب ترى من ظاهر بطونهم ، فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ فقال : هؤلاء أكلة الربا » (١٦٢) .

وروى عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه : إذا ظهر الزنا والربا فى قرية أذن الله بهلاكها . وعن عمر مرفوعاً : « إذا ضن الناس بالدينار والدرهم ، وتبايعوا بالعينة ، وتبعوا أذناب البقر ، وتركوا الجهاد فى سبيل الله ، أنزل الله بلاء فلا يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم » (١٦٣) .

(١٦١) أخرجه البيهقى فى « دلائل النبوة » ، وهو ضعيف .
(١٦٢) أخرجه الأصبهاني وابن ماجه وغيرهما ، وهو ضعيف أيضاً .
(١٦٣) أخرجه الطبراني والبيهقى عن ابن عمر .

وقال ﷺ : « ما ظهر في قوم الربا إلا ظهر فيهم الجنون ، ولا ظهر في قوم الزنا إلا ظهر فيهم الموت ، وما بخش قوم الكيل والوزن إلا منعهم الله القطر » (١٦٤) .

وجاء في حديث فيه طول : « إن آكل الربا يعذب من حين يموت إلى يوم القيامة بالسباحة في النهر الأحمر الذي هو مثل الدم ، ويلقم الحجارة » ، وهو المال الحرام الذي جمعه في الدنيا يكلف المشقة فيه ، ويلقم حجارة من نار كما ابتلع الحرام الذي جمعه في الدنيا هذا العذاب له في البرزخ قبل يوم القيامة مع لعنة الله له . كما صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « أربعة حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها : مدمن الخمر ، وآكل الربا ، وآكل مال اليتيم بغير حق ، والعاق لوالديه ، إلا أن يتوبوا » (١٦٥) .

وقد ورد أن أكلة الربا يحشرون في صورة الكلاب والخنازير من أجل حيلتهم على أكل الربا كما مسخ أصحاب السبت حين تحيلوا على إخراج الحيتان التي نهاهم الله عن اصطياها يوم السبت ، فحفروا لها حياضاً تقع فيها يوم السبت فيأخذونها يوم الأحد . فلما فعلوا ذلك مسخهم الله قردة وخنازير . وهكذا الذين يتحيلون على الربا بأنواع الحيل ؛ فإن الله لا تخفى عليه حيل المحتالين . قال أيوب السخيتاني : يخادعون الله كما يخادعون صبيها ، ولو أتوا الأمر عياناً كان أهون عليهم . وقال ﷺ : « الربا سبعون باباً أهونها مثل أن ينكح الرجل أمه ، وإن أرى الربا استطالة الرجل في عرض أخيه المسلم » (١٦٦) فصح أنه باب من أعظم أبواب الربا .

وعن أنس قال : خطبنا رسول الله ﷺ فذكر الربا وعظم شأنه فقال : « الدرهم الذي يصيبه الرجل من الربا أشد من ست وثلاثين زنية في

(١٦٤) أخرجه الحاكم والبيهقي ، وقال الحاكم : على شرط مسلم .

(١٦٥) لم نقل عليه بهذا اللفظ والسياق فيما بين أيدينا من مصادر ، ولكن له شواهد .

(١٦٦) أخرجه الحاكم بنحوه ، والطبراني في الأوسط .

الإسلام» (١٦٧) وعنه عليه السلام قال : « الربا سبعون حوباً أدونها كوقع الرجل على أمه وفي رواية أهونها كالذى ينكح أمه » (١٦٨) والحبوب : الإثم .

وعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال : الزائد والمستزيد فى النار — يعنى الآخذ والمعطى فيه سواء نسأل الله العافية .

(فصل) عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : إذا كان لك على رجل دين فأهدى لك شيئاً فلا تأخذه فإنه ربا . وقال الحسن رحمه الله : إذا كان لك على رجل دين فما أكلت من بيته فهو سحت . وهذا من قوله عليه السلام : « كل قرض جرّ نفعاً فهو ربا » (١٦٩) وقال ابن مسعود أيضاً : من شفع لرجل شفاعاً فأهدى إليه هدية فهي سحت ، وتصديقه من قوله عليه السلام : « من شفع لرجل شفاعاً فأهدى له عليها فقبلها ، فقد أتى باباً عظيماً من أبواب الربا » أخرجه أبو داود . فنسأل الله العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة .

[الكبيرة الثالثة عشر : أكل مال اليتيم وظلمة]

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ (١٧٠) . وقال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾ (١٧١) .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله عليه السلام قال فى المعراج : « فإذا أنا برجال وقد وكل بهم رجال يفكون لحاهم ، وآخرون يمحيتون بالصخور من النار فيقذفونها بأفواههم وتخرج من أدبارهم . فقلت : يا جبريل

(١٦٧) أخرجه الطبرانى فى الكبير .

(١٦٨) أخرجه البيهقى عن أبى معشر . وهو بنحو هذا اللفظ عند ابن ماجه عن أبى هريرة .

(١٦٩) أخرجه الحارث بن أبى أسامة فى مسنده ، انظر المقاصد الحسنة للإمام السخاوى ، دراسة وتحقيق الاستاذ : الحشت .

(١٧٠) النساء : ١٠ .

(١٧١) الأنعام : ١٥٢ .

من هؤلاء ؟ قال : الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً » . رواه مسلم .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « يبعث الله عز وجل قوماً من قبورهم تخرج النار من بطونهم تأجج أفواههم ناراً ، فقيل : من هم يا رسول الله ؟ قال : ألم تر أن الله تعالى يقول : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً ﴾ (١٧٢) .

وقال السدى رحمه الله تعالى : يحشر آكل مال اليتيم ظلماً يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه ومن مسامعه وأنفه وعينه ، كل من رآه يعرفه أنه آكل مال اليتيم .

قال العلماء : فكل ولى ليتيم إذا كان فقيراً ، فأكل من ماله بالمعروف ، بقدر قيامه عليه فى مصالحه وتنمية ماله ، فلا بأس عليه ، وما زاد على المعروف فسحت حرām لقول الله تعالى : ﴿ وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ (١٧٣) .

وفى الأكل بالمعروف أربعة أقوال : (أحدها) : أنه الأخذ على وجه القرض . (والثانى) : الأكل بقدر الحاجة من غير إسراف ، (والثالث) : أنه أخذ بقدر إذا عمل لليتيم عملاً ، (والرابع) : أنه الأخذ عند الضرورة ، فإن أيسر قضاء وإن لم يوسر فهو فى حل . وهذه الأقوال ذكرها ابن الجوزى فى تفسيره .

وفى البخارى أن رسول الله ﷺ قال : « أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا » وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما . وفى صحيح مسلم عنه ﷺ قال : كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين فى الجنة » وأشار بالسبابة والوسطى .

(١٧٢) النساء : ١٠ . والحديث أخرجه ابن حبان عن أبي هريرة الأسمى .

(١٧٣) النساء : ٦ .

كفالة اليتيم : هى القيام بأموره ، والسعى فى مصالحه ، من طعامه وكسوته وتنمية ماله ، إن كان له مال ، وإن كان لا مال له أنفق عليه وكسبه ابتغاء وجه الله تعالى وقوله فى الحديث : له أو لغيره — أى سواء كان اليتيم قرابة أو أجنبياً منه ، فالقرابة مثل أن يكفله جده أو أخوه أو أمه أو عمه أو زوج أمه أو خاله أو غيره من أقاربه ، والأجنبى من ليس بينه وبينه قرابة .

وقال رسول الله ﷺ : « من ضم يتيماً من المسلمين إلى طعامه وشرابه حتى يغنيه الله تعالى أوجب الله له الجنة إلا أن يعمل ذنباً لا يغفر » (١٧٤) . وقال ﷺ : « من مسح رأس يтим لا يمسحه إلا الله كان له بكل شعرة مرت عليها يده حسنة ، ومن أحسن إلى يтим أو يتيمة عنده كنت أنا وهو هكذا فى الجنة » (١٧٥) .

وقال رجل لأبى الدرداء رضى الله عنه : أوصنى بوصية . قال : ارحم اليتيم وأدنه منك وأطعمه من طعامك ، فإنى سمعت رسول الله ﷺ أنه رجل يشتكى قسوة قلبه ، فقال رسول الله ﷺ : « إن أردت أن يلين قلبك فأدن اليتيم منك وامسح رأسه وأطعمه من طعامك ، فإن ذلك يلين قلبك وتقدر على حاجتك » (١٧٦) .

وما حكى عن بعض السلف قال : كنت فى بداية أمرى مكباً على المعاصى وشرب الخمر ، فظفرت يوماً بصبى يтим فقير ، فأخذته وأحسنيت إليه وأطعمته وكسوته وأدخلته الحمام وأزلت شعره ، وأكرمته كما يكرم الرجل ولده بل أكثر ، فبت ليلة بعد ذلك ، فرأيت فى النوم أن القيامة قامت ودعيت إلى الحساب ، وأمرنى إلى النار لسوء ماكنت عليه من المعاصى ، فسحبتنى الزبانية ليمضوا بى إلى النار وأنا بين أيديهم حقير ذليل يجرؤنى سحباً إلى النار ، وإذا بذلك اليتيم قد اعترضنى بالطريق ، وقال : خلوا عنه ياملائكة ربي حتى أشفع له

(١٧٤) الترمذى : بر ١٤ . وغيره .

(١٧٥) أخرجه الطبرانى عن أبى أمامة ، وقال الهيمى : وفيه على بن يزيد الألهائى وهو ضعيف .

(١٧٦) أخرجه الطبرانى فى الكبير بنحوه .

عند ربي ، فإنه قد أحسن إليّ وأكرمني فقالت الملائكة : إنا لم تؤمر بذلك ، وإذا النداء من قبل الله تعالى يقول : خلوا عنه فقد وهبت له ما كان منه بشفاعة اليتيم وإحسانه إليه . قال : فاستيقظت وتبت إلى الله عز وجل ، وبذلت جهدي في إيصال الرحمة إلى الأيتام ، ولهذا قال أنس بن مالك رضي الله عنه خادم رسول الله ﷺ : خير البيوت بيت فيه يتيم يحسن إليه ، وشر البيوت بيت فيه يتيم يساء إليه ، وأحب عباد الله إلى الله تعالى من اصطنع صنعاً إلى يتيم أو أرملة . وروى أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام : يا داود كن لليتيم كالأب الرحيم ، وكن للأرملة كالزوج الشفيق ، واعلم كما تزرع كذا تحصد : معناه أنك كما تفعل كذلك يفعل معك ، أي لا بد أن تموت ويبقى لك ولد يتيم أو امرأة أرملة . وقال داود عليه السلام في مناجاته : إلهي ماجزاء من أسند اليتيم والأرملة ابتغاء وجهك ؟ قال : جزاؤه أن أظله في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي . معناه ظل عرشي يوم القيامة .

ومما جاء في فضل الإحسان إلى الأرملة واليتيم عن بعض العلويين — وكان نازلاً ببلخ من بلاد العجم وله زوجة علوية وله منها بنات وكانوا في سعة ونعمة ، فمات الزوج وأصاب المرأة وبناتها بعده الفقر والقلّة ، فخرجت بيناتها إلى بلدة أخرى خوف شماتة الأعداء ، واتفق خروجها في شدة البرد فلما دخلت ذلك البلد أدخلت بناتها في بعض المساجد المهجورة ، ومضت تحتال لهم في القوت فمرت بجمعين : جمع على رجل مسلم وهو شيخ البلد ، وجمع على رجل مجوسى وهو ضامن البلد . فبدأت بالمسلم وشرحت حالها له وقالت : أنا امرأة علوية ومعى بنات أيتام أدخلتهم بعض المساجد المهجورة ، وأريد الليلة قوتهم . فقال لها أقيمى عندى البينة أنك علوية شريفة . فقالت : أنا امرأة غريبة مافى البلد من يعرفنى فأعرض عنها ، فمضت من عنده منكسرة القلب فجاءت إلى ذلك الرجل المجوسى فشرحت له حالها ، وأخبرته أن معها بنات أيتاماً وهى امرأة شريفة غريبة ، وقصت عليه ماجرى لها مع الشيخ المسلم فقام وأرسل بعض نسائه ،

وأتوا بها وبناتها إلى داره فأطعمهن أطيب الطعام ، وألبسهن أفخر اللباس وبناتوا عنده في نعمة وكرامة . قال : فلما انتصف الليل رأى ذلك الشيخ المسلم في منامه كأن القيامة قد قامت وقد عقد اللواء على رأس النبي ﷺ ، وإذا قصر من الزمرد الأخضر شرفاته من اللؤلؤ والياقوت وفيه قباب اللؤلؤ والمرجان ، فقال : يا رسول الله لمن هذا القصر ؟ قال لرجل مسلم موحد . فقال : يا رسول الله أنا رجل مسلم موحد . فقال رسول الله ﷺ : أقم عندى البينة أنك مسلم موحد . قال : فبقي متحيراً فقال له ﷺ : لما قصدتك المرأة العلوية قلت : أقيمى عندى البينة أنك علوية ، فكذا أنت أقم عندى البينة أنك مسلم : فانتبه الرجل حزناً على رده المرأة خائبة ، ثم جعل يطوف بالبلد ويسأل عنها حتى دل عليها أنها عند المجوسى ، فأرسل إليه فاتاه فقال له : أريد منك المرأة الشريفة العلوية وبناتها . فقال : ما إلى هذا من سبيل وقد لحقنى من بركاتهم ما لحقنى . قال : خذ منى ألف دينار وسلمهن إليّ ، فقال : لأفعل . فقال : لابد منهن . فقال : الذى تريده أنت أنا أحق به والقصر الذى رأيته فى منامك خلق لى . أتدلل على الإسلام ؟ فوالله ما نمت البارحة أنا وأهل دارى حتى أسلمنا كلنا على يد العلوية ، ورأيت مثل الذى رأيت فى منامك ، وقال لى رسول الله ﷺ : العلوية وبناتها عندك ؟ قلت : نعم يا رسول الله قال : القصر لك ولأهل دارك وأنت وأهل دارك من أهل الجنة خلقتك الله مؤمناً فى الأزل . قال : فانصرف المسلم وبه من الحزن والكآبة مالا يعلمه إلا الله . فانظر — رحمك الله — إلى بركة الإحسان إلى الأرملة والأيتام ما أعقب صاحبه من الكرامة فى الدنيا !

ولهذا ثبت فى الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال : « الساعى على الأرملة والمساكين كالمجاهد فى سبيل الله » . قال الراوى : أحسبه قال : (وكالقاتم لايفتر وكالصائم لايفطر) ، والساعى عليهم هو القاتم بأمورهم ومصالحهم ابتغاء وجه الله تعالى وفقناً لله لذلك بمنه وكرمه ؛ إنه جواد كريم رؤوف غفور رحيم .

[الكبيرة الرابعة عشرة : الكذب على الله عز وجل وعلى رسوله ﷺ]

قال الله عز وجل :

﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾ (١٧٧) .

قال الحسن : هم الذين يقولون : إن شئنا فعلنا وإن شئنا لم نفعل . قال ابن الجوزي في تفسيره : وقد ذهب طائفة من العلماء إلى أن الكذب على الله وعلى رسوله كفر ينقل عن الملة ، ولا ريب أن الكذب على الله وعلى رسوله في تحليل حرام وتحريم حلال كفر محض ، وإنما الشأن في الكذب عليه فيما سوى ذلك .

وقال ﷺ : « من كذب على بنى له بيت في جهنم » ، وقال ﷺ : « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » (١٧٨) . وقال ﷺ : « من روى عنى حديثاً وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين » (١٧٩) .

وقال ﷺ : « إن كذبا على ، ليس ككذب على غيره ، من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » (١٨٠) . وقال ﷺ : « من يقل عنى ما لم أقله فليتبوأ مقعده من النار » (١٨١) . وقال ﷺ : « يطبع المؤمن على كل شيء إلا الخيانة والكذب » (١٨٢) نسأل الله التوفيق والعصمة ، إنه جواد كريم .

[الكبيرة الخامسة عشر : الفرار من الزحف]

إذا لم يزد العدو على ضعف المسلمين إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة وإن بعدت ، قال الله تعالى :

-
- (١٧٧) الزمر : ٦٠ .
(١٧٨) أخرجه الشيخان وأصحاب السنن وغيرهم .
(١٧٩) أخرجه أحمد ومسلم وغيرهما .
(١٨٠) أخرجه الشيخان .
(١٨١) أخرجه ابن ماجه وأحمد .
(١٨٢) أخرجه الطبراني والبيهقي وغيرهما .

﴿ وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (١٨٣) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اجتنبوا السبع الموبقات » . قالوا : وماهن يا رسول الله ؟ قال : « الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » (١٨٤) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما نزلت :
﴿ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ ﴾ (١٨٥)
فكتب الله عليهم أن لا يفر عشرون من مائتين ثم نزلت :
﴿ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ صَنِيعًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ . وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (١٨٦) .

فكتب أن لا يفر مائة من مائتين . رواه البخارى .

[الكبيرة السادسة عشرة : غش الإمام الرعية وظلمه لهم]

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَتْلُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أَوْلِيكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١٨٧) . قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ . مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾ (١٨٨) . وقال الله تعالى : ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ

(١٨٣) الأنفال : ١٦ .
(١٨٤) سبق تخريجه .
(١٨٥) الأنفال : ٦٥ .
(١٨٦) الأنفال : ٦٦ .
(١٨٧) الشورى : ٤٢ .
(١٨٨) إبراهيم : ٤٢ - ٤٣ .

يَنْقَلِبُونَ ﴿١٨٩﴾ . وقال الله تعالى : ﴿ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ ﴿١٩٠﴾ .

وقال رسول الله ﷺ : « من غشنا فليس منا » ﴿١٩١﴾ ، وقال عليه السلام : « الظلم ظلمات يوم القيامة » ﴿١٩٢﴾ . وقال ﷺ : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » ﴿١٩٣﴾ . وقال رسول الله ﷺ : « أيما راع غش رعيته فهو في النار » ﴿١٩٤﴾ ، وقال ﷺ : « من استرعاه الله رعية ثم لم يحطها بنصحه إلا حرم الله عليه الجنة » . أخرجه البخارى وفي لفظ : « يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة » ﴿١٩٥﴾ .

وقال ﷺ : « ما من حاكم يحكم بين الناس إلا حبس يوم القيامة وملك آخذ بقفاه ، فإن قال : ألقه ألقاه فهو في جهنم أربعين خريفاً » . رواه الإمام أحمد . وقال رسول الله ﷺ : « ويل للأمرء ، ويل للعرفاء ، ويل للأثماء . ليتبين أقوام يوم القيامة أن ذواتهم كانت معلقة بالثرى يعذبون ولم يكونوا عملوا من شيء » ﴿١٩٦﴾ .

وقال ﷺ : « ليأتين على القاضى العدل يوم القيامة ساعة يتمنى أنه لم يقض بين اثنين في ثمرة قط » ﴿١٩٧﴾ . وقال ﷺ : « مامن أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلوله يده إلى عنقه إما أطلقه عدله أو أوبقه جوره » .

(١٨٩) الشعراء : ٢٢٧ .

(١٩٠) المائدة : ٧٩ .

(١٩١) مسلم : إيمان ١٦٤ ، وأبو داود : يروع ٥٠ ، والترمذى : يروع ٧٢ ، وابن ماجه : تجارات ٣٦ ،

والدايمى : يروع ١٠ ، وأحمد : الثاوى ص ٥٠ ، ٢٤٢ ، ٤١٧ ، والثالث ص ٤٦٦ ، والرابع ص ٤٩ .

(١٩٢) أخرجه الشيخان وغيرهما .

(١٩٣) أخرجه الشيخان أيضاً .

(١٩٤) أخرجه الطبرانى فى (الصغير) و (الأوسط) عن أنس .

(١٩٥) أخرجه الحاكم وغيره ، وقال : صحيح الإسناد .

(١٩٦) أخرجه أحمد وابن حبان عن عائشة .

(١٩٧) أخرجه البيهقى فى السنن عن أبى أمامة .

ومن دعاء رسول الله ﷺ أنه قال : « اللهم من ولي من أمر هذه الأمة شيئاً فرفق بهم فارفق به . ومن شق عليهم فاشقق عليه » (١٩٨) . وقال ﷺ : « من ولاه الله شيئاً من أمور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره » (١٩٩) .

وقال رسول الله ﷺ : « سيكون أمراء فسقة جوراء ، فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ، ولن يرد على الخوض » (٢٠٠) وقال رسول الله ﷺ : « صنفان من أمتي لن تنالهم شفاعتي : سلطان ظلم غشوش ، وغال في الدين يشهد عليهم ويتبرأ منهم » (٢٠١) . وقال عليه السلام : « أشد الناس عذاباً يوم القيامة إمام جائر » (٢٠٢) . وفي الحديث : أن رسول الله ﷺ قال : « أيها الناس مروا بالمعروف وانها عن المنكر قبل أن تدعوا الله فلا يستجيب لكم ، وقبل أن تستغفروا الله فلا يغفر لكم . إن الأبحار من اليهود والرهبان من النصارى لما تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لعنهم الله على لسان أنبيائهم ، ثم عمهم بالبلاء » (٢٠٣) .

وقال رسول الله ﷺ : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » (٢٠٤) « ومن أحدث حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً » (٢٠٥) وفي الحديث أيضاً « من لا يرحم لا يرحم ، لا يرحم الله من لا يرحم الناس » (٢٠٦) . وقال ﷺ : « الإمام العادل

(١٩٨) أخرجه مسلم : الإمامة ١٩ .

(١٩٩) أخرجه أبو داود : الإمامة ١٣ ، وأحد : الخامس ص ٢٣٩ .

(٢٠٠) أخرجه أحمد والترمذي عن كعب بن عجرة وجابر ، وسنده صحيح .

(٢٠١) أخرجه الطبراني في الأوسط والكبير ، عن أبي أمامة ومعلق بن يسار .

(٢٠٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية ، وأبو يعلى ، والطبراني في الأوسط ، عن الحذري .

(٢٠٣) أخرجه الأصبهاني عن ابن عمر ، وسنده ضعيف جداً .

(٢٠٤) أخرجه البخاري : اعتصام ٢٠ ، يروع ٦٠ ، صلح ٥ . ومسلم : أقضية ١٧ ، ١٨ . وأبو داود : سنة ٥ .

وإن ما جاءه : مقدمة ٢ . وأحد : الثاني ، ١٤٦ .

(٢٠٥) أخرجه الشيخان وغيرهما عن أنس .

(٢٠٦) هذا القول ليس حديثاً واحداً ، وإنما هو حديثان أدجمهما المؤلف في حديث واحد . أما الأول فهو قوله : « من لا يرحم لا يرحم » . وقد رواه الشيخان وغيرهما . وأما الثاني فهو : « من لا يرحم الناس لا يرحمه الله » وقد رواه الشيخان وغيرهما أيضاً .

يظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله»^(٢٠٧) . وقال : « المقسطون على منابر من نور ، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا »^(٢٠٨) .

ولما بعث رسول الله ﷺ معاذاً رضي الله عنه إلى اليمن قال : « إياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب » رواه البخارى ، وقال عليه الصلاة والسلام : « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة : فذكر منهم الملك الكذاب »^(٢٠٩) ، وقال : « إنكم ستحرقون على الإمامة وستكون ندامة يوم القيامة » رواه البخارى . وفيه أيضاً « وإنا والله لا نولى هذا العمل أحداً سألته أو أحداً حرص عليه »^(٢١٠) .

وقال رسول الله ﷺ : « ياكعب بن عجرة أعاذك الله من إمارة السفهاء ، أمراء يكونون من بعدى لا يهتدون بهدى ولا يستنون بسنتى »^(٢١١) . وعن أنس هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « من طلب قضاء المسلمين حتى يناله ثم غلب عدله جوروه فله الجنة ، ومن غلب جوروه عدله فله النار »^(٢١٢) .

وقال : « ستحرقون على الإمامة وستكون ندامة يوم القيامة »^(٢١٣) . وقال عمر لأبي ذر رضي الله عنهما : حدثني بحديث سمعته من رسول الله ، فقال أبو ذر : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يجاء بالوالى يوم القيامة فينبد به على جسر جهنم فيرتج به الجسر ارتجاجة لا يبقى منه مفصل إلا زال عن مكانه ، فإن كان مطيعاً لله في عمله مضى به ، وإن كان عاصياً لله في عمله انخرق به

(٢٠٧) أخرجه البخارى : أذان ٣٦ ، زكاة ١٦ رفاق ٢٤ ، حدود ١٩ . ومسلم : زكاة ١ . والترمذى : زهد ٥٣ . والنسائى : قضاء ومالك : شعر ٤ . وأحمد : النالى ٤٣٩ . وذلك في ضمن حديث : « سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ... » .

(٢٠٨) أخرجه النسائى وأحمد ومسلم ، عن عبد الله بن عمرو .

(٢٠٩) أخرجه النسائى ومسلم عن أنس هريرة .

(٢١٠) أخرجه الشيخان وغيرهما عن أنس موسى الأشعري .

(٢١١) أخرجه ابن حبان واليزار عن جابر .

(٢١٢) أخرجه أبو داود : أفضية ٢ .

(٢١٣) سبق تفويجه .

الجسر فهو به في جهنم مقدار خمسين عاماً . فقال عمر : من يطلب العيل بها يا أبا ذر ؟ قال : « من سلم لله أنفه وألصق خده بالتراب » (٢١٤) . وقال عمرو بن المهاجر ، قال لي عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه : إذا رأيتني قد ملت عن الحق فضع يدك في تلبأي ثم قل : يا عمر ماتصنع . ياراضياً باسم الظالم كم عليك من المظالم ، السجن جهنم والحق الحاكم ، ولا حجة لك فيما تخصم ، القبر مهول فتذكر حبسك ، والحساب طويل فخلص نفسك ، والعمر كيوم فبادر شمسك ، تفرح بمالك والكسب خبيث ، وتمرح بآمالك والسير حثيث . إن الظلم لا يترك منه قدر أنملة . فإذا رأيت ظالماً قد سطا فتم له ، فرما بات فأخذت جنبه من الليل نملة أى قروح في الجسد .

[الكبيرة السابعة عشر : الكبير]

الكبر والفخر والخيلاء والعجب والته . قال الله تعالى : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ إِلَىٰ غَدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ (٢١٥) . وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ (٢١٦) .

وقال رسول الله ﷺ : « بينما رجل يتبختر في مشيه إذ خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة » وقال عليه الصلاة والسلام « يحشر الجبارون المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر يطؤونهم الناس يغشاهم الدل من كل مكان » (٢١٨) وقال بعض السلف : « أول ذنب عصي الله به الكبير » قال الله تعالى :

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ (٢١٩) .

(٢١٤) أخرجه الطبراني وابن أبي الدنيا بنحوه ، وسنده ضعيف .

(٢١٥) غافر : ٢٧

(٢١٦) النحل : (٢٣) .

(٢١٧) أخرجه البخاري : آباء ٥٤ ، لباس ومسلم : لباس ٥٠ و ٥١ . والترمذي : قيامة ٤٧ . والنسائي : زينة ١٠١ .

والدراطيني مقدمة ٤٠ . وأحمد : الثاني ، ص ٦٦ ، ٢٢٢ ، ٢٦٧ ، ٣١٥ ، ٣٩٠ ، ٤١٣ ، ٤٥٦ ، ٤٦٧ ، ٤٩٢ ، ٤٩٧ ، ٥٣١ ، والثالث ص ٤٠ .

(٢١٨) أخرجه الترمذي وأحمد وغيرهما .

(٢١٩) البقرة : ٣٤ .

فمن استكبر على الحق لم ينفعه إيمانه كما فعل إبليس .

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لا يدخل الجنة أحد في قلبه مثقال ذرة من كبر » رواه مسلم . وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾^(٢٢٠) وقال ﷺ : قال الله تعالى : « العظمة إزارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى فيهما ألقيته في النار » رواه مسلم . المنازعة : المجاذبة .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « اختصمت الجنة والنار ، فقالت الجنة : مالى ما يدخلنى إلا ضعفاء الناس وسقطتهم ؟ وقالت النار : أوثرت بالجبارين والمتكبرين » الحديث^(٢٢١) ، وقال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَصْغُرْ خُذْكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا . إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾^(٢٢٢) أى لاتمل خدك معرضاً متكبراً . والمرح التبخر .

وقال سلمة بن الأكوع : « أكل رجل عند رسول الله ﷺ بشماله ، قال : « كل يمينك » ، قال : لأستطيع ، فقال : « لا استطعت ، مامنعه إلا الكبر فما رفعها إلى فيه بعد » رواه مسلم وقال عليه الصلاة والسلام « ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل عتل جواز مستكبر »^(٢٢٣) . العتل : الغليظ الجافى ، والجواز : الجموع المنوع ، وقيل : الضخم المختال في مشيته ، وقيل البطين .

عن ابن عمر رضى الله عنهما : قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مامن رجل يختال في مشيته ويتعاطم في نفسه إلالقى الله وهو عليه غضبان »^(٢٢٤) وصح من حديث أبى هريرة : « أول ثلاثة يدخلون النار : أمير مسلط أى ظالم ، وغنى لا يؤدى الزكاة ، وفقير فخور »^(٢٢٥) . وفى صحيح

(٢٢٠) لقمان : ١٨ .

(٢٢١) أخرجه البخارى : تفسير سورة ٥٠ باب ١ . ومسلم : جنة ٣٥ ، ٣٦ . واحد : التالى ، ٣١٤ .

(٢٢٢) لقمان : ١٨ .

(٢٢٣) أخرجه الشيخان وغيرهما .

(٢٢٤) أخرجه الحاكم وأحمد وغيرهما .

(٢٢٥) أخرجه ابن حبان وابن عزيمة .

البخارى عن رسول الله ﷺ قال : « ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكهم ولهم عذاب أليم : المسبل ، والمنان ، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب » والمسبل هو الذي يسبل إزاره أو ثيابه أو سراويله حتى يكون إلى قدميه لأنه عليه السلام قال : « ما أسبل من الكعنين من الإزار فهو في النار » (٢٣٦) .

وأشرف الكبر الذى فيه من يتكبر على العباد بعلمه ويتعظم في نفسه بفضيلته ؛ فإن هذا لم ينفعه علمه ؛ فإن من طلب العلم للآخرة كسره علمه وخشع قلبه واستكانت نفسه ، وكان على نفسه بالمرصاد فلا يفتر عنها بل يحاسبها كل وقت ويتفقدتها ، فإن غفل عنها جمحت عن الطريق المستقيم وأهلكته . ومن طلب العلم للفخر والرياسة وبطر على المسلمين وتحامق عليهم وازدراهم ، فهذا من أكبر الكبر ، ولا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم .

[الكبيرة الثامنة عشر : شهادة الزور]

٠ قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ﴾ (٢٣٧) الآية . وفي الأثر : (عدلت شهادة الزور الشرك بالله تعالى مرتين) (٢٣٨) . وقال الله تعالى : ﴿ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴾ (٢٣٩) .

وفي الحديث : « لا تزول قدما شاهد الزور يوم القيامة حتى تجب له النار » (٢٤٠) .

قال المصنف رحمه الله تعالى : شاهد الزور قد ارتكب عظام (أحدها) الكذب والافتراء . قال الله تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ (٢٤١) .

-
- (٢٢٦) أخرجه ابن ماجه وأحمد وغيرهما .
 (٢٢٨) أخرجه أبو داود والترمذى عن أيمن ابن عزم وعن عزم بن فاتك مرفوعاً وسنده ضعيف .
 (٢٢٩) الحج : ٣٠ .
 (٢٣٠) أخرجه الحاكم ، وقال : صحيح الإسناد .
 (٢٣١) غافر : ٢٨ .
 (٢٣٧) الفرقان : ٧٢ .

وفي الحديث : « يطبع المؤمن على كل شيء ليس الخيانة والكذب »^(٢٣٢) (وثانيها) أنه ظلم الذي شهد عليه حتى أخذ بشهادته ماله وعرضه وروحه .

(وثالثها) : أنه ظلم الذي شهد له بأن ساق إليه المال الحرام فأخذه بشهادته فوجبت له النار ، وقال ﷺ : « من قضيت له من مال أخيه بغير حق فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من نار »^(٢٣٣) (ورابعها) : أنه أباح ما حرم الله تعالى وعصمه من المال والدم والعرض . قال رسول الله ﷺ : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ الإشراف بالله وعقوق الوالدين ، ألا وقول الزور ، ألا وشهادة الزور .. فما زال يكررها حتى قلنا : ليتك سكت » رواه البخاري . فنسأل الله تعالى السلامة والعافية من كل بلاء .

[الكبيرة التاسعة عشرة : شرب الخمر]

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَلْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾^(٢٣٤) .

قد نهى عز وجل في هذه الآية عن الخمر وحذر منها ، وقال النبي ﷺ : « اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث »^(٢٣٥) فمن لم يجتنبها فقد عصى الله ورسوله واستحق العذاب بمعية الله ورسوله . قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا تَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾^(٢٣٦) .

(٢٣٢) سبق تخريجه .

(٢٣٣) أخرجه مسلم : قضية ٤ . والبخاري : حيز ١٠ . وأبو داود : قضية ٧ . والترمذي : أحكام ١١ . والنسائي : قضية ١٣ ، ٣٣ . وابن ماجه : أحكام ٥ :

(٢٣٤) المائدة : ٩٠ - ٩١ .

(٢٣٥) أخرجه البيهقي في الشعب ، والحاكم ، عن ابن عباس .

(٢٣٦) النساء : ١٤ .

• وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما نزل تحريم الخمر مشى الصحابة بعضهم إلى بعض وقالوا : حرمت الخمر وجُعِلَتْ عِدْلًا للشرك .

وذهب عبد الله بن عمرو إلى أن الخمر أكبر الكبائر ، وهى بلا ريب أم الخبائث وقد لعن شارها فى غير حديث . وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ . « كل مسكر خمر وكل خمر حرام ومن شرب الخمر فى الدنيا ومات ولم يتب منها وهو مدمنها لم يشربها فى الآخرة » رواه مسلم ، وروى مسلم عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن على الله عهداً لمن شرب المسكر أن يسقيه الله من طينة الخبال . قيل : يا رسول الله وما طينة الخبال ؟ قال : عرق أهل النار أو عصارة أهل النار » .

وفى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « من شرب الخمر فى الدنيا يحرمها فى الآخرة » .

(ذكر أن مدمن الخمر كعابد وثن) : رواه الإمام أحمد فى مسنده من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « مدمن الخمر كعابد وثن » .

(ذكر أن مدمن الخمر إذا مات ولم يتب لا يدخل الجنة) روى النسائى من حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « لا يدخل الجنة عاق ولا مدمن خمر » وفى رواية : « ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة ، مدمن الخمر والعاق لوالديه ، والديوث وهو الذى يقر السوء فى أهله » .

(ذكر أن السكران لا يقبل الله منه حسنة) روى جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال : « ثلاثة لا تقبل لهم صلاة ولا ترفع لهم حسنة إلى السماء : العبد الآبق حتى يرجع إلى ماله فيضع يده فى أيديهم ، والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى عنها والسكران حتى يصحو » (٢٣٧) .

(٢٣٧) أخرجه الطبرانى فى الأوسط ، والبيهقى فى الشعب ، وسنده ضعيف .

والخمر ما خامر العقل أى غطاه سواء كان رطباً أو يابساً أو مأكولاً ، أو مشروباً وعن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يقبل الله لشارب الخمر صلاة مادام فى جسده شئ منها » (٢٣٨) . وفى رواية « من شرب الخمر لم يقبل الله منه شيئاً ، ومن سكر منها لم تقبل له صلاة أربعين صباحاً ، فإن تاب ثم عاد كان حقاً على الله أن يسقيه من مهل جهنم » (٢٣٩) . وقال رسول الله ﷺ : « من شرب الخمر ولم يسكر أعرض الله عنه أربعين ليلة ، ومن شرب الخمر وسكر لم يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً أربعين ليلة ، فإن مات فيها مات كعابد وثن ، وكان حقاً على الله أن يسقيه من طينة الخبال ، قيل : يا رسول الله وما طينة الخبال ؟ قال : عصارة أهل النار : القيح والدم » (٢٤٠) .

وقال عبد الله بن أبى أوفى : من مات مدمناً للخمر مات كعابد اللات والعزى . قيل : أرايت مدمن الخمر هو الذى لا يستفيق من شربها ، قال : لا ولكن هو الذى يشربها إذا وجدها ولو بعد سنين .

ذكر أن من شرب الخمر لا يكون مؤمناً حين يشربها : عن أبى هريرة عن النبى ﷺ : « لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، والتوبة معروضة بعد » . أخرجه البخارى وفى الحديث : « من زنى أو شرب الخمر نزع الله منه الإيمان كما يلجع الإنسان القميص من رأسه » (٢٤١) . وفيه : « من شرب الخمر ممسياً أصبح مشركاً ومن شربها مصبحاً أمسى مشركاً » (٢٤٢) . وفيه عن النبى ﷺ أنه قال : « إن راتحة الجنة لتوجد من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريحها عاق ولا منان ولا مدمن خمر ولا عابد وثن » (٢٤٣) . وروى الإمام أحمد من

(٢٣٨) عزاه الحافظ الخدرى إلى ابن عمر موقوفاً ، وذكره فى الآلاء المصنوعة عن أبى سعيد الخدرى مرفوعاً .

(٢٣٩) أخرجه ابن ماجه والترمذى وأحمد بن حنبل .

(٢٤٠) أخرجه الحاكم وابن حبان مختصراً .

(٢٤١) أخرجه الحاكم .

(٢٤٣) أخرجه الطبرانى ، وهو ضعيف .

(٢٤٢) لم نقل عليه فيما بين أيدينا من مصادر .

حديث أنى موسى الأشعري رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لا يدخل الجنة مدمن خمر ولا مؤمن بسحر ولا قاطع رحم ، ومن مات وهو يشرب الخمر سقاه الله من نهر الغوطة وهو ماء يجرى من فروج المومسات أى الزانيات يؤذى أهل النار ريح فروجهن » .

وقال رسول الله ﷺ « إن الله بعثى رحمة وهدى للعالمين ، بعثى لأحق المعازف والمزامير وأمر الجاهلية ، وأقسم ربي تعالى بعزته لا يشرب عبد من عبيدى جرعة من الخمر إلا سقيته مثلها من حميم جهنم ، ولا يدعها عبد من عبيدى من مخافتى إلا سقيته إياها فى حظائر القدس مع خير الندماء » (٢٤٤) .

(ذكر من لعن فى الخمر) : روى أبو داود أن رسول الله ﷺ قال : لعنت الخمر بعينها وشاربها وساقبها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها » . ورواه الإمام أحمد من حديث ابن عباس قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أتانى جبريل عليه السلام فقال : يا محمد إن الله لعن الخمر وعاصرها ومعتصرها وبائعها ومبتاعها وشاربها وآكل ثمنها وحاملها والمحمولة إليه وساقبها ومستقيا » .

(ذكر النهى عن عيادة شربة الخمر إذا مرضوا وكذلك لا يسلم عليهم) : عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : (لا تعودوا شراب الخمر إذا مرضوا) . قال البخاري ، وقال ابن عمر لا تسلموا على شربة الخمر ، وقال ﷺ : « لا تجالسوا شراب الخمر ولا تعودوا مرضاهم ولا تشهدوا جنازتهم ، وإن شارب الخمر يجيء يوم القيامة مسوداً وجهه ، مدلجاً لسانه على صدره ، يسيل لعابه يقدره كل من رآه وعرفه أنه شارب خمر » (٢٤٥)

قال بعض العلماء : إنما نهى عن عيادتهم والسلام عليهم لأن شارب الخمر فاسق ملعون قد لعنه الله ورسوله كما تقدم فى قوله : لعن الله الخمر وشاربها

(٢٤٤) أخرجه البيهقي . وسنده ضعيف

(٢٤٥) أخرجه ابن عدى بسند ضعيف ، وأورده ابن عراق وابن الجوزى فى الموضوعات . ومدلجاً : مخرجا .

الحديث فإن اشتراها وعصرها كان ملعوناً مرتين ، وإن سقاها لغيره كان ملعوناً ثلاث مرات ، فلذلك نهى عن عيادته والسلام عليه إلا أن يتوب فمن تاب تاب الله عليه .

(ذكر أن الخمر لا يحل التداوى بها) عن أم سلمة رضى الله عنها قالت : اشتكت ابنة لى فنبذت لها فى كوز ، فدخل على رسول الله ﷺ وهو يغلى ، فقال : ما هذا يا أم سلمة ؟ فذكرت له أنى أداوى به ابنتى فقال رسول الله ﷺ « إن الله تعالى لم يجعل شفاء أمتى فيما حرم عليها » (٢٤٦) .

(ذكر أحاديث متفرقة رويت فى الخمر) : من ذلك ما ذكره أبو نعيم فى « الحلية » عن أبى موسى رضى الله عنه ، قال : أتى النبى ﷺ بنبيذ فى جرة له نشيش فقال : « اضربوا بهذا الحائط فإن هذا شرب من لا يؤمن بالله واليوم الآخر » .

وقال رسول الله ﷺ : « من كان فى صدره آية من كتاب الله وصب عليها الخمر يحيى يوم القيامة كل حرف من تلك الآية فىأخذ بناصيته حتى يوقفه بين يدى الله تبارك وتعالى فيخاصمه ، ومن خاصمه القرآن خصم . فالويل لمن كان القرآن خصمه يوم القيامة » (٢٤٧) وجاء عن النبى ﷺ : « مامن قوم اجتمعوا على مسكر فى الدنيا إلا جمعهم الله فى النار ، فيقبل بعضهم على بعض يتلومون ، يقول أحدهم للآخر : يا فلان لاجزاك الله عنى خيراً فأنت الذى أوردتنى هذا المورد ، ويقول له الآخر مثل ذلك » (٢٤٨) ، وجاء عن النبى ﷺ أنه قال : « من شرب الخمر فى الدنيا سقاها الله من سم الأساودة شربة يتساقط لحم وجهه فى الإناء قبل أن يشربها ، فإذا شربها تساقط لحمه وجلده يتأذى به أهل النار ، ألا وشاربها وعصرها ومعتصرها وحاملها

(٢٤٦) أخرجه أبو يعلى والبيهقى فى السنن .

(٢٤٧) لم تقف عليه .

(٢٤٨) لم تقف عليه أيضاً .

والحمولة إليه وآكل ثمنها شركاء في إثمها ، لا يقبل الله منهم صلاة ولا صوماً ولا حجاً حتى يتوبوا ، فإن ماتوا قبل التوبة كان حقاً على الله أن يسقيهم بكل جرعة شربوها في الدنيا من صديد جهنم ألا وكل مسكر خمر وكل خمر حرام» (٢٤٩) .

ويدخل في قوله ﷺ كل مسكر خمر : الحشيشة كما سيأتى الكلام عليها — إن شاء الله تعالى . روى « أن شربة الخمر إذا أتوا على الصراط يتخطفهم الزبانية إلى نهر الخبال فيسقون بكل كأس شربوها من الخمر شربة من نهر الخبال ، فلو أن تلك الشربة تصب من السماء لأحرقت السماوات من حرها » نعوذ بالله منها .

(ذكر الآثار عن السلف في الخمر) : ذكر ابن مسعود رضى الله عنه قال : إذا مات شارب الخمر فادفنيه ، ثم اصلبوه على خشبة ، ثم انهبوا عنه قبوه فإن لم تروا وجهه مصروفاً عن القبلة وإلا فاتركوه مصلوباً : وعن الفضيل بن عياض أنه حضر عند تلميذ له حضرته الوفاة فجعل يلقنه الشهادة ولسانه لا ينطق بها ، فكررها عليه فقال لا أقولها وأنا برىء منها ، فخرج الفضيل من عنده وهو ييكى ، ثم رآه بعد مدة في منامه وهو يسحب به إلى النار ، فقال له : يامسكين بم نزع منك المعرفة ؟ فقال : يااستاذ كان بى علة فأتيت بعض الأطباء فقال لى تشرب فى كل سنة قدحاً من الخمر وإن لم تفعل تبقى بك علتك ، فكنت أشربها فى كل سنة لأجل التداوى ! فهذا حال من يشربها للتداوى فكيف حال من يشربها لغير ذلك ؟ نسأل الله العفو والعافية من كل بلاء .

وسئل بعض التائبين عن سبب توبته فقال : كنت أنبش القبور فرأيت فيها أمواتاً مصروفين عن القبلة ، فسألت أهليهم عنهم فقالوا : كانوا يشربون الخمر

(٢٤٩) لم نقف عليه بتمامه ، بيدان الجزء الأخير منه : « كل مسكر خمر ... » جاء عند : مسلم : أشربه ٧٣ ، وابن داود أشربه ٥ ، والترمذى : أشربه ١ ، وابن ماجه أشربه ٩ . وأحد : الخال ، ص ١٦ ، ٢٩ ، ٣١ ، ١٠٥ ، ١٣٤ ، ١٣٧ .

فى الدنيا وماتوا من غير توبة . وقال بعض الصالحين : مات لى ولد صغير ، فلما دفنته رأيتـه بعد موته فى المنام وقد شاب رأسه . فقلت : يا ولدى دفتك وأنت صغير فما الذى شبيك ؟ فقال : يا أبـتى دفن لى جانبى رجل ممن كان يشرب الخمر فى الدنيا . فزفرت جهنم لقدمه زفرة لم يبق منها طفل إلا شاب رأسه من شدة زفرتها ، نعوذ بالله منها ونسأل الله العفو والعافية مما يوجب العذاب فى الآخرة .

فالواجب على العبد أن يتوب إلى الله تعالى قبل أن يدركه الموت وهو على أشر حالة فيلقى فى النار ، نعوذ بالله منها .

(فصل) والحشيشة المصنوعة من ورق القنب حرام كالخمر يحذر شاربها ، كما يحذر شارب الخمر وهى أخبث من الخمر ، من جهة أنها تفسد العقل والمزاج حتى يصير فى الرجل تخنث وديانة وغير ذلك من الفساد . والخمر أخبث من جهة أنها تفضى إلى المحاصمة والمقاتلة وكلاهما يصد عن ذكر الله وعن الصلاة .

وقد توقف بعض العلماء المتأخرين فى حدها ، ورأى أن أكلتها تعزّر بما دون الحد حيث ظنها تغير العقل من غير طرب بمنزلة البنج ولم يجد للعلماء المتقدمين فيها كلاماً وليس كذلك بل أكلتها يتشون ويشتهونها كشراب الخمر وأكثر ، حتى لا يصبروا عنها وتصدهم عن ذكر الله وعن الصلاة إذا أكثرا منها ، مع مافىها من الديانة والخنث وفساد المزاج والعقل وغير ذلك . لكن لما كانت جامدة مطعومة — ليست شرباً — تنازع العلماء فى نجاستها على ثلاثة أقوال فى مذهب الإمام أحمد وغيره ، فقيل : هى نجسة كالخمر المشربة ، وهذا هو الاعتبار الصحيح وقيل : لا ، لجمودها ، وقيل يفرق بين جامدها ومائعها ، وبكل حال : فهى داخلة فيما حرم الله ورسوله من الخمر المسكر لفظاً ومعنى ، قال أبو موسى : يارسول الله أفئتنا فى شرايين كنا نصنعهما باليمن « البتع » وهو من العسل ينبذ حتى يشتد ، و« المزر » وهو من الذرة والشعير ينبذ حتى يشتد .

قال : وكان رسول الله ﷺ قد أعطى جوامع الكلم بنحواته ، فقال ﷺ :
 « كل مسكر حرام » رواه مسلم ، وقال ﷺ : « ما أسكر كثيره فقليله
 حرام » (٢٥٠) ، ولم يفرق ﷺ بين نوع ونوع لكونه مأكولا أو مشروباً ، على أن
 الخمر قد يصطنع بها يعنى الخبز ، وهذه الحشيشة قد تذاب بالماء وتشرب ،
 والخمر يشرب ويؤكل ، والحشيشة تشرب وتؤكل ، وإنما لم يذكرها العلماء لأنها لم
 تكن على عهد السلف الماضى وإنما حدثت فى مجيء التتار إلى بلاد الإسلام وقد
 قيل فى وصفها شعراً :

فأكلها وزارعها حلالاً فتلك على الشقى مصيبتان

فوالله ما فرح إبليس بمثل فرحه بالحشيشة لأنه زنها الأنفس الحسيسة
 فاستحلوها واسترخصوها :

قل لمن يأكل الحشيشة جهلاً عشت فى أكلها بأقبح عيشه
 قيمة المرء جوهر فلماذا يأخا الجهل بعته بحشيشه

(حكاية) : عن عبد الملك بن مروان : أن شاباً جاء إليه باكياً حزناً
 فقال : يا أمير المؤمنين إني ارتكبت ذنباً عظيماً فهل لى من توبة ؟ قال وما ذنبك ؟
 قال : ذنبى عظيم . قال وما هو فتب إلى الله تعالى ؛ فإنه يقبل التوبة عن عباده
 ويعفو عن السيئات . قال : يا أمير المؤمنين كنت أنبش القبور وكنت أرى فيها
 أموراً عجيبة . قال : وما رأيت ؟ قال يا أمير المؤمنين نبشت ليلة قبراً فرأيت
 صاحبه قد حول وجهه عن القبلة فخفت منه ، وأردت الخروج وإذا أنا بقائل
 يقول فى القبر : ألا تسأل عن الميت لماذا حول وجهه عن القبلة ؟ فقلت : لماذا
 حول ؟ قال : لأنه كان مستخفاً بالصلاة . هذا جزاء مثله . ثم نبشت قبراً
 فرأيت صاحبه قد حول خنزيراً وقد شد بالسلاسل والأغلال فى عنقه ، فخفت

(٢٥٠) أبو داود : أحبة ٥ ، والترمذى : أحبة ٣ ، والنسائى : أحبة ٢٥ ، وابن ماجه : أحبة ١٠ ، والداريمى :
 أحبة ٨ ، وأحمد الثانى ٩١ ، ١٦٧ ، ١٧٩ ، والثالث ٣٤٣ .

منه وأردت الخروج وإذا بقاتل يقول لى : ألا تسأل عن عمله ولماذا يعذب ؟ فقلت : لماذا ؟ فقال : كان يشرب الخمر فى الدنيا ومات من غير توبة . والثالث يأمر المؤمنين نبشت قبرا فوجدت صاحبه قد شد بالأرض بأوتار من نار وأخرج لسانه من قفاه ، فخفت ورجعت ، وأردت الخروج فنوديت : ألا تسأل عن حاله لماذا ابتلى ؟ فقلت : لماذا ؟ فقال : كان لا يتجزز من البول وكان ينقل الحديث بين الناس فهذا جزاء مثله . والرابع يأمر المؤمنين نبشت قبرا فوجدت صاحبه قد اشتعل نارا فخفت منه وأردت الخروج ، فقيل : ألا تسأل عنه وعن حاله ؟ فقلت وما حاله ؟ فقال : كان تاركا للصلاة . والخامس يأمر المؤمنين نبشت قبرا فرأيت قد وسع على الميت مد البصر وفيه نور ساطع ، والميت نائم على سرير ، وقد أشرق نوره وعليه ثياب حسنة فأخذتنى منه هبة ، وأردت الخروج فقيل لى : هلا تسأل عن حاله لماذا أكرم بهذه الكرامة . فقلت : لماذا أكرم ؟ فقيل لى لأنه كان شابا طائعا نشأ فى طاعة الله عز وجل وعبادته فقال عبد الملك عند ذلك : إن فى هذا لعبوة للعاصين وبشارة للطائعين . فالواجب على المبلى بهذه المعائب المبادرة إلى التوبة والطاعة ، جعلنا الله وإياكم من الطائعين ، وجنبنا أفعال الفاسقين ؛ إنه جواد كريم .

[الكبيرة العشرون : القمار]

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَلْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ (٢٥١) .

والميسر هو القمار بأى نوع كان : نرد أو شطرنج أو فصوص أو كعاب أو جوز أو بيض أو حصى أو غيره ، وهو من أكل أموال الناس بالباطل الذى

نهى الله عنه بقوله : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ﴾ ، وداخل في قول
النبي ﷺ : « إن رجلاً يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم
القيامة »^(٢٥٢) ، وفي صحيح البخاري : إن رسول الله ﷺ قال : « من قال :
لصاحبه : تعال أقامرك فليتصدق » ، فإذا كان مجرد القول يوجب الكفارة أو
الصدقة فما ظنك بالفعل ؟!

(فصل) : اختلف العلماء في النرد والشطرنج إذا خليا عن رهن ، اتفقوا
على تحريم اللعب بالنرد لما صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من لعب
بالنرد شير فكأنما صبغ يده في لحم الخنزير ودمه » أخرجه مسلم . وقال ﷺ :
« من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله »^(٢٥٣) . وقال ابن عمر رضي الله
عنه : اللعب بالنرد قمار كالدهن بؤذك الخنزير .

قال : وأما الشطرنج فأكثر العلماء على تحريم اللعب بها ، سواء كان برهن
أو بغيره أما بالرهن فهو قمار بلا خلاف ، وأما الكلام إذا خلا عن الرهن فهو
أيضاً قمار حرام عند أكثر العلماء ، وحكى لإباحته في رواية عن الشافعي : إذا
كان في خلوة ولم يشغل عن واجب ولا عن صلاة في وقتها . وسئل النووي رحمه
الله عن اللعب بالشطرنج أحرام أم جائز ؟ فأجاب رحمه الله تعالى : هو حرام عند
أكثر أهل العلم . وسئل أيضاً رحمه الله عن لعب الشطرنج هل يجوز أم لا ، وهل
يأثم اللاعب بها أم لا ؟ أجاب رحمه الله : إن فوت به صلاة عن وقتها أو لعب بها
على عوض فهو حرام ، وإلا فمكروه عند الشافعي وحرام عند غيره ، وهذا كلام
النووي في فتاويه .

والدليل على تحريمه على قول الأكثرين في قول الله تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ
الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ ﴾ إلى قوله ﴿ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ﴾^(٢٥٤) قال

(٢٥٢) أخرجه البخاري عن عوله بنت هبيل زوج حزة .
(٢٥٣) أخرجه أبو داود : أدب ٥٦ ، وابن ماجه : أدب ٤٣ ، ومالك : رؤيا ٦ ، وأحمد : الرابع ص ٣٩٤ ،
٤٠٠ ، ٣٩٧ .
(٢٥٤) المائدة : ٣ .

سفيان ووكيع بن الجراح : هي الشطرنج ، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : الشطرنج ميسر الأعاجم . ومّر رضي الله عنه على قوم يلعبون بها فقال : ماهذه الغمائل التي أنتم لها عاكفون ؟ لأنّ يمّس أحدكم حجراً حتى يطفى خير له من أن يمسسها . ثم قال : والله لغير هذا خلقتم . وقال أيضاً رضي الله عنه : صاحب الشطرنج أكذب الناس : يقول أحدهم : قتلت : وماقتل . ومات وما مات . وقال أبو موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه : لايلعب بالشطرنج إلا خاطيء . وقيل لإسحاق بن راهويه : أترى في اللعب بالشطرنج بأساً ؟ فقال : البأس كله فيه . فقيل له : إن أهل الثغور يلعبون بها لأجل الحرب ، فقال : هو فجور ، وسئل محمد ابن كعب القرظي عن اللعب بالشطرنج فقال : أدنى ما يكون فيها أن اللاعب بها يعرض يوم القيامة أو قال : يحشر يوم القيامة مع أصحاب الباطل .

وسئل ابن عمر رضي الله عنهما عن الشطرنج ، فقال : هي أشّر من النرد وتقدم الكلام عن تحريمه . وسئل الإمام مالك بن أنس رحمه الله عن الشطرنج فقال : الشطرنج من النرد . بلغنا عن ابن عباس أنه ولي مالا ليتيم فوجدتها في تركة والد اليتيم فأحرقها . ولو كان اللعب بها حلالاً لما جاز له أن يحرقها لكونها مال اليتيم . ولكن لما كان اللعب بها حراماً أحرقها فتكون من جنس الخمر إذا وجد في مال اليتيم وجبت إراقته كذلك الشطرنج . وهذا مذهب حبر الأمة رضي الله عنه . وقيل لإبراهيم النخعي ماتقول في اللعب بالشطرنج ؟ فقال : إنها ملعونة .

وروي أبو بكر الأثرم في جامعه عن واثلة بن الأسقع عن رسول الله ﷺ قال : « إن لله في كل يوم ثلثمائة وستين نظرة إلى خلقه ليس لصاحب الشاه فيها نصيب — يعني لاعب الشطرنج لأنه يقول شاه مات » . وروي أبو بكر الآجري بإسناد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا مررتم هؤلاء الذين يلعبون بهذه الأزام : النرد والشطرنج وما كان من اللهو فلا تسلموا عليهم ، فإنهم إذا اجتمعوا وأكبوا عليها جاءهم الشيطان بجوده

فأحرق بهم ، كلما ذهب واحد منهم يصرف بصره عنها لكره الشيطان
بجنوده ، فلا يزالون يلعبون حتى يتفرقوا كالكلاب اجتمعت على جيفة فأكلت
منها حتى ملأت بطونها ثم تفرقت ، ولأنهم يكذبون عليها فيقولون : شاه
مات « ! وروى عنه عليه السلام أنه قال : « أشد الناس عذاباً يوم القيامة صاحب
الشاه يعنى صاحب الشطرنج ألا تراه يقول : قتلته ، والله مات ، والله
افترى ، وكذب على الله » (٢٥٥) .

وقال مجاهد : مامن ميت يموت إلا مُثل له جلساؤه الذين كان يجالسهم
فاتحضر رجل من كان يلعب بالشطرنج فقبل له : قل لا إله إلا الله فقال :
شاهك ثم مات ، فغلب على لسانه ما كان يعتاده حال حياته في اللعب ، فقال
عوض كلمة الإخلاص : شاهك . وهذا كما جاء في إنسان آخر ممن كان يجالس
شراب الخمر : إنه حين حضره الموت فجاءه إنسان يلقيه الشهادة فقال له :
اشرب واسقنى ثم مات فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . وهذا كما جاء في
حديث مروي : (يموت كل إنسان على ما عاش عليه ويبعث على مامات
عليه) (٢٥٦) . فنسأل الله المنان بفضله أن يتوفانا مسلمين لامبدلين ولا مغيرين ولا
ضالين ولا زائغين ؛ إنه جواد كريم .

[الكبيرة الحادية والعشرون : قذف المحصنات]

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ
لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ . يَوْمَ تُنْهَضُ عَنْهُمْ أَلْسِنَتُهُمْ
وَأَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٢٥٧) . وقال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ
يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا
تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٢٥٨) .

(٢٥٥) كل الأحاديث التي فيها ذكر الشطرنج لم يصح منها شيء ، قال الحافظ المنذرى : وقد ورد ذكر الشطرنج في
أحاديث لا أعلم لغيره منها إسناداً صحيحاً ولا حسناً .

(٢٥٦) أخرجه مسلم : الجنة برقم ٨٣ ، بلفظ « يبعث كل عبد على مامات عليه » .

(٢٥٧) النور : ٢٣ ، ٢٤ . (٢٥٨) النور : ٤ .

بَيَّنَ اللهُ تعالى في هذه الآية أن من قذف امرأة محصنة حرة عفيفة عن الزنا والفاحشة أنه ملعون في الدنيا والآخرة وله عذاب عظيم ، وعليه في الدنيا الحد ثمانون جلدة ، وتسقط شهادته وإن كان عدلاً . وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « اجتنبوا السبع الموبقات » فذكر منها قذف المحصنات الغافلات المؤمنات والقذف أن يقول لامرأة أجنبية حرة عفيفة مسلمة : يازانية . أو ياباغية . أو ياقعبة ، أو يقول لزوجها : يازوج القعبة ، أو يقول لولدها : يا ولد الزانية أو يا ابن القعبة . أو يقول لبنتها يابنت الزانية أو يابنت القعبة . فإن القعبة عبارة عن الزانية ، فإذا قال ذلك أحد من رجل أو امرأة لرجل أو لامرأة كمن قال لرجل : يازانى ، أو قال لصبي حر ياعلق ، أو يامنكوح ، وجب عليه الحد ثمانون جلدة ، إلا أن يقيم بينة بذلك ، والبينة كما قال الله : أربعة شهداء يشهدون على صدقه فيما قذف به تلك المرأة أو ذاك الرجل ، فإن لم يقيم بينة جلد إذا طالبته بذلك التي قذفها أو إذا طالبه بذلك الذى قذفه ، وكذلك إذا قذف مملوكه أو جاريته بأن قال لمملوكه : يازانى أو لجاريته يازانية أو ياباغية أو ياقعبة ، لما ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من قذف مملوكه بالزنا أقيم عليه الحد يوم القيامة إلا أن يكون كما قال » . وكثير من الجهال واقعون في هذا الكلام الفاحش الذى عليهم فيه العقوبة في الدنيا والآخرة ولهذا ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار مما بين المشرق والمغرب » . فقال له معاذ ابن جبل : يا رسول الله وإننا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال : « ثكلتك أمك يامعاذ ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم ؟ » . وفي الحديث : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت »^(٢٥٩) . وقال الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز : ﴿ مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ

(٢٥٩) أخرجه البخارى : أدب ، ٣١ ، ٨٥ ، رقاق ٢٣ . ومسلم : إيمان ٧٤ ، لفظة ١٤ . وأبو داود أدب ١٢٣ . والترمذى : قيامة ٥٠ . ومالك : صلة النبى ٢٢ . وأحمد : الغالى ، ١٧٤ ، ٢٦٧ ، ٤٣٣ . والرايع ، ص ٣١ ، والخامس ، ص ٢٤٧ ؛ والسادس ٦٩ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ .

إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿٢٦٠﴾ وقال عقبة بن عامر : يا رسول الله ما النجاة ؟ قال : « أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك ، وابك على خطيئتك ، وإن أبعد الناس إلى الله القلب القاسى » ﴿٢٦١﴾ .

وقال ﷺ : « إن أبغض الناس إلى الله الفاحش البذى الذى يتكلم بالفحش وردىء الكلام » ﴿٢٦٢﴾ ، وقانا الله وإياكم شر ألسنتنا بمنه وكرمه إنه جواد كريم .

[الكبيرة الثانية والعشرون : الغلول من الغنيمة]

وهى من بيت المال ومن الزكاة قال الله تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾ ﴿٢٦٣﴾ . وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غُلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ ﴿٢٦٤﴾ .

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قام فىنا رسول الله ﷺ ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره ، قال : « لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء » ﴿٢٦٥﴾ يقول : يا رسول الله أغشى ، فأقول : لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتك ، لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحة ﴿٢٦٦﴾ فيقول : يا رسول الله أغشى ، فأقول : لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتك . لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته شاة لها نغاء ﴿٢٦٧﴾ يقول : يا رسول الله أغشى ، فأقول : لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتك ، لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على

﴿٢٦٨﴾ ق : ١٨ .

﴿٢٦٩﴾ أخرجه ابن أبى الدنيا وغيره :

﴿٢٧٠﴾ أخرجه أحمد نحوه : « إن الله لا يحب كل فاحش مطعش » .

﴿٢٧١﴾ الأنفال : ٥٨ .

﴿٢٧٢﴾ آل عمران : ١٦١ .

﴿٢٧٣﴾ لا ألفين : لا أجدن .

﴿٢٧٤﴾ الرغاء : صوت الجمل .

﴿٢٧٥﴾ الحمحة : صوت الفرس .

﴿٢٧٦﴾ النغاء : صوت الشاة .

رقبته نفس لها صياح فيقول : يا رسول الله أغشى فأقول لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتك . لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق ، فيقول : يا رسول الله أغشى ، فأقول : لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتك . لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت ، فيقول : يا رسول الله أغشى فأقول لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتك . أخرج هذا الحديث مسلم .

(قوله) : على رقبته رقاع تخفق — أى ثياب وقماش ، (قوله) : على رقبته صامت أى من ذهب أو فضة ، فمن أخذ شيئاً من هذه الأنواع المذكورة من الغنيمة قبل أن تقسم بين الغانمين ، أو من بيت المال بغير إذن الإمام ، أو من الزكاة التى تجمع للفقراء جاء يوم القيامة حامله على رقبته ، كما ذكر الله تعالى فى القرآن ﴿ ومن يغفل يأت بما غل يوم القيامة ﴾ (٢٦٩) .

ولقول النبى ﷺ : « أدوا الحيط واخيط وإياكم والغلول فإنه عار على صاحبه يوم القيامة » (٢٧٠) . ولقول النبى ﷺ لما استعمل ابن اللبنة على الصدقة وقدم ، وقال : هذا لكم وهذا أهدى لى ، فصعد النبى ﷺ المنبر وحمد الله وأثنى عليه إلى أن قال : « والله لا يأخذ أحد منكم شيئاً بغير حقه إلا جاء يوم القيامة يحمله ، فلا أعرف رجلاً منكم لقى الله يحمل بغيراً له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر ، ثم رفع يده ﷺ فقال : « اللهم هل بلغت ؟ » (٢٧١) .

وعن أبى هريرة قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر (ففتح علينا) فلم نغنم ذهباً ولا ورقاً ، غنمنا المتاع (الطعام) والثياب ، ثم انطلقنا إلى الوادى (يعنى وادى القرى) ومع رسول الله ﷺ عبد وهبه له رجل من بنى جذام (يدعى رفاعه بن يزيد من بنى الضبيب) ، فلما نزلنا (الوادى) قام عبد رسول

(٢٦٩) آل عمران : ١٦١ .

(٢٧٠) أخرجه أصحاب السنن وغيرهم .

(٢٧١) أخرجه الشيخان ، وأحمد ، وأبو داود . والرغاء : صوت الجمل ، والخوار : صوت البقرة ، والهمار : صوت

الشاة .

الله ﷺ يحل رحله ، فرمى بسهم فكان فيه حتفه ، فقلنا : هنيئاً له بالشهادة يارسول الله ، فقال رسول الله : كلا والذي نفسى بيده إن الشعلة لتلتهب عليه ناراً ، أخذها من الغنائم لم تصبها المقاسم . قال : ففزع الناس فجاء رجل بشراك أو شراكين (فقال : أصبت يوم خير) . فقال رسول الله ﷺ « شراك أو شراكين من نار » متفق عليه . وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : كان على ثقل رسول الله ﷺ رجل يقال له : كركرة فمات ، فقال النبي ﷺ : « هو في النار » فذهبوا ينظرون إليه فوجدوا عباءة قد غلها^(٢٧٢) . وعن زيد بن خالد الجهني أن رجلاً غل في غزوة خيبر فامتنع النبي ﷺ من الصلاة عليه . وقال : « إن صاحبكم غل في سبيل الله »^(٢٧٣) . قال : ففتشنا متاعه فوجدنا فيه خرزاً من خرز اليهود مايساوى درهمين^(٢٧٤) . قال الإمام أحمد رحمه الله مانعلم أن النبي ﷺ امتنع من الصلاة على أحد إلا على الغال ، وقاتل نفسه . وجاء عن النبي ﷺ أنه قال : « هدايا العمال غلول » .

وفي الباب أحاديث كثيرة ويأتى بعضها في باب الظلم ، والظلم على ثلاثة أقسام : (أحدها) أكل المال بالباطل ، (وثانيها) — ظلم العباد بالقتل والضرب والكسر والجراح ، (وثالثها) — ظلم العباد بالشتم واللعن والسب والقذف . وقد خطب النبي ﷺ بمنى فقال : « ألا إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا » متفق عليه .

وقال ﷺ : « لايقبل الله صلاة بغير طهور ولاصدقة من غلول »^(٢٧٥) فسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى ؛ إنه جواد كريم .

(٢٧٢) أخرجه البخارى وغيره . ومعنى الثقل : الغنام .

(٢٧٣) أخرجه أحمد وأبو داود وغيرهما .

(٢٧٤) أخرجه الطبرانى ، والبيهقى ، وأحمد في المسند : الخامس ، ص ٤٢٤ .

(٢٧٥) البخارى : زكاة ٧ (في الترجمة) . ومسلم : طهارة ١ . وأبو داود : طهارة ٣١ . والترمذى : طهارة ١ . والنسائى : طهارة ١٠٣ ، زكاة ٤٨ . وابن ماجه : طهارة ٢ . وأحمد : الثاني ، ص ٢٠ ، ٣٩ ، ٥١ ، ٥٧ ، ٧٣ ، والخامس ٧٤ ، ٧٥ .

[الكبيرة الثالثة والعشرون : السرقة]

قال الله تعالى : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢٧٦) .

قال ابن شهاب : نكل الله بالقطع في سرقة أموال الناس ، والله عزيز في انتقامه من السارق ، حكيم فيما أوجبه من قطع يده .

وقال ﷺ : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولكن التوبة معروضة » (٢٧٧) .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما : أن النبي ﷺ قطع في مجنّ قيمته ثلاثة دراهم (٢٧٨) ، وعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يقطع يد السارق في ربع دينار فصاعدا (٢٧٩) . وفي رواية قال رسول الله ﷺ : « لا تقطع يد السارق فيما دون ثمن المجنّ » (٢٨٠) قيل لعائشة رضي الله عنها : وما ثمن المجنّ ؟ قالت : ربع دينار . وفي رواية قال : « اقطعوا في ربع دينار ولا تقطعوا فيما دون ذلك » (٢٨١) . كان ربع الدينار يومئذ ثلاثة دراهم والدينار اثني عشر درهما .

وعن أنى هريرة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : « لعن الله السارق الذي يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده » (٢٨٢) . قال الأعمش : كانوا يرون أنه يبض الحديد ، والحبل كانوا يرون أن منها مايساوى ثمنه ثلاثة دراهم .

(٢٧٦) المائدة : ٣٨ .

(٢٧٧) سبق تحفيجه .

(٢٧٨) أخرجه الشيخان .

(٢٧٩) أخرجه أصحاب السنن .

(٢٨٠) هذا اللفظ من رواية مسلم .

(٢٨١) أخرج هذه الرواية البيهقي في السنن .

(٢٨٢) أخرجه مسلم : حدود ٧ . وابن ماجه : حدود ٢٢ . والنسائي : سارق ١ . وأحمد : الثاني ، ص ٢٥٣ .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كانت مخزومية تستعير المتاع وتجحده فأمر النبي ﷺ بقطع يدها فأتى أهلها أسامة بن زيد فكلموه فيها فكلم النبي ﷺ قال له النبي ﷺ : « يا أسامة لأأراك تشفع في حد من حدود الله تعالى » ثم قام النبي ﷺ خطيباً فقال : « إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » (٢٨٣) فقطع يد المخزومية .

وعن عبد الرحمن بن جرير قال : سألنا فضالة بن عبيد عن تعليق يد السارق في عنقه أمن السنة ؟ قال : أقر النبي ﷺ بسارق فقطع يده ثم أمر بها فعلق في عنقه (٢٨٤) . قال العلماء : ولا تنفع السارق توبته إلا أن يرد ما سرقه ، فإن كان مفلساً تحلل من صاحب المال ، والله أعلم .

[الكبيرة الرابعة والعشرون : قطع الطريق]

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ . ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٢٨٥) .

قال الواحدي رحمه الله : معنى يحاربون الله ورسوله يعصونها ولا يطيعونها . كل من عصاك فهو محارب لك ، ويسعون في الأرض فساداً أى بالقتل والسرقة وأخذ الأموال ، وكل من أخذ السلاح على المؤمنين فهو محارب لله ورسوله وهذا قول مالك والأوزاعي والشافعي . (قوله تعالى) : أن يقتلوا إلى قوله أو ينفوا من الأرض قال الوابى عن ابن عباس رضى الله عنهما : (أو) أدخلت

(٢٨٣) البخاري : فضائل أصحاب النبي ١٨ ، أنباء ٥٤ ، حدود ١٢ . ومسلم : حدود ٨ ، ٩ . وآبو داود : حدود ٤ . والترمذي : حدود ٦ . والنسائي : سارق ٥ ، ٦ . وابن ماجه : حدود ٦ . والدارمي : حدود ٥ . وأحمد : الثالث ، ص ٣٨٦ ، ٣٩٥ .

(٢٨٤) أخرجه أصحاب السنن .

(٢٨٥) المائدة : ٣٣ .

للتخيير ومعناها الإباحة ، إن شاء الإمام قتل ، وإن شاء صلب ، وإن شاء نفى ، وهذا قول الحسن وسعيد بن المسيب ومجاهد ، وقال في رواية عطية أو ليست للإباحة ، إنما هي مرتبة للحكم باختلاف الجنايات . فمن قتل وأخذ المال قتل وصلب . ومن أخذ المال ولم يقتل قطع ، ومن سفك الدماء وكف عن الأموال قتل ، ومن أخاف السبيل ولم يقتل نفى من الأرض ، وهذا مذهب الشافعي رضي الله عنه . وقال الشافعي أيضاً : يحذ كل واحد بقدر فعله . فمن وجب عليه القتل والصلب قتل قبل صلبه كراهية تعذيبه ويصلب ثلاثاً ثم ينزل ، ومن وجب عليه القتل دون الصلب قتل ودفع إلى أهله يدفونوه ، ومن وجب عليه القطع دون القتل قطعت يده اليمنى ثم حسنت ، فإن عاد وسرق ثانياً قطعت رجله اليسرى ، فإن عاد وسرق قطعت يده اليسرى ، لما روى عن النبي ﷺ قال في السارق : « إن سرق فاقطعوا يده ثم إن سرق فاقطعوا رجله ، ثم إن سرق فاقطعوا يده ، ثم إن سرق فاقطعوا رجله »^(٢٨٦) . ولأنه فعل ابى بكر وعمر رضي الله عنهما ولا يخالف لهما من الصحابة ، ووجه كونها اليسرى اتفاق من صار إلى قطع الرجل بعد اليد على أنها اليسرى وذلك معنى قوله تعالى ﴿ من خلاف ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ أو ينفوا من الأرض ﴾ . قال ابن عباس : هو أن يهدر الإمام دمه فيقول : من لقيه فليقتله . هذا فيمن يقدر عليه ، فأما من قبض عليه فنفيه من الأرض الحبس والسجن ، لأنه إذا حبس ومنع من التقلب في البلاد فقد نفى منها أنشد ابن قتيبة لبعض المسجونين شعراً :

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها قلسنا من الأحياء فيها ولا الموق
إذا جاءنا السجن يوماً لحاجة عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا

(٢٨٦) أخرج السائق وأبو داود نحوه . ولكن السائق أنكره . وقال الخطابي الشافعي : « لا أعلم أحداً من الفقهاء يصح دم السارق ، وإن تكررت منه السرقة » . وقال ابن عبد البر : « حديث القتل للسارق منكراً لا أصل له » .

قال فبمجرد قطع الطريق وإخافة السبيل قد ارتكب الكبيرة فكيف إذا أخذ المال أو جرح أو قتل ؟ فقد فعل عدة كبائر مع ماغالهم عليه من ترك الصلاة وإنفاق ما يأخذونه في الخمر والزنا واللواط وغير ذلك . نسأل الله العافية من كل بلاء ومحنة ؛ إنه جواد كريم غفور رحيم .

[الكبيرة الخامسة والعشرون : اليمين الغموس]

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٢٨٧) .

قال الواحدى : نزلت في رجلين اختصما إلى النبي ﷺ في ضيعة ، فهم المدعى عليه أن يحلف ، فأنزل الله هذه الآية فنكل المدعى عليه عن اليمين وأقر للمدعى بحقه (٢٨٨) . وعن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ : « من حلف على يمين وهو فيها فاجر ليقطع بها مال امرئ مسلم لقي الله تعالى وهو عليه غضبان » . فقال الأشعث : فني والله نزلت ، كان بيني وبين رجل من اليهود أرض فجحدي ، فقدمته إلى النبي ﷺ فقال : « ألك بينة ؟ » قلت : لا ، قال لليهودى : « احلف » . قلت : يارسول الله إنه إذن يحلف فيذهب بمالى . فأنزل الله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ أى عرضاً يسيراً من الدنيا وهو ما يحلفون عليه كاذبين (أولئك لا خلاق لهم في الآخرة) أى لانصيب لهم في الآخرة (ولا يكلمهم الله) أى بكلام يسرهم (ولا ينظر إليهم) نظراً يسرهم ، يعنى نظر الرحمة (ولا يزكهم) (٢٨٩) .

وعن عبد الله بن مسعود قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من حلف على مال امرئ مسلم بغير حق لقي الله وهو عليه غضبان » . قال عبد الله .

(٢٨٧) آل عمران : ٧٧ .

(٢٨٨) أخرجه النسائي وابن حنبل بنحوه .

(٢٨٩) أخرجه الشيخان .

ثم قرأ علينا رسول الله ﷺ تصديقه من كتاب الله ﴿إِنْ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحِينَ . وَعَنْ أُمِّ أَمَامَةَ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : « مِنْ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَمِينَهُ فَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ لَهُ النَّارَ وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ » فَقَالَ رَجُلٌ وَإِنْ كَانَ يَسِيرًا يَارَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « وَإِنْ كَانَ قَضِيًّا مِنْ أَرَاكَ » أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ : قَالَ حَفْصُ بْنُ مِيسَرَةَ : مَا أَشَدَّ هَذَا الْحَدِيثَ . فَقَالَ : أَلَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿إِنْ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ الْآيَةِ . وَعَنْ أُمِّ ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « ثَلَاثَةٌ لَا يَكْلَمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » فَقَرَأَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ : خَابُوا وَخَسِرُوا يَارَسُولَ اللَّهِ مِنْ هُمْ ؟ قَالَ : « الْمُسْبِلُ ، وَالْمُنَانُ ، وَالْمُنْفِقُ سَلَعَتُهُ بِالْحَلْفِ الْكَاذِبِ » (٢٩٠) . وَقَالَ ﷺ « الْكِبَائِرُ الْإِشْرَاقُ بِاللَّهِ ، وَعَقُوقُ الْوَالِدَيْنِ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ ، وَالْجَمِينَ الْغُمُوسُ » أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ ، وَالْغُمُوسُ هِيَ الَّتِي يَتَعَمَّدُ الْكَذِبَ فِيهَا ، سَمِيَتْ غُمُوسًا لِأَنَّهَا تَغْمِسُ الْحَالِفَ فِي الْإِثْمِ . وَقِيلَ : تَغْمِسُهُ فِي النَّارِ .

(فصل) : وَمِنْ ذَلِكَ الْحَلْفِ بِغَيْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كَالنَّبِيِّ وَالْكَعْبَةِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالسَّمَاءِ وَالْمَاءِ وَالْحَيَاةِ وَالْأَمَانَةِ ، وَهِيَ مِنْ أَشَدِّ مَا هُنَا ، وَالرُّوحُ وَالرَّأْسُ وَحَيَاةُ السُّلْطَانِ وَنِعْمَةُ السُّلْطَانِ وَتَرَبُّةُ فُلَانٍ .

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « إِنْ اللَّهُ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ ، فَمَنْ حَلَفَ فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمِتْ ، وَفِي رِوَايَةٍ فِي الصَّحِيحِ : « فَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلَا يَحْلِفُ إِلَّا بِاللَّهِ أَوْ لَيْسَكَ » (٢٩١) .

(٢٩٠) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ : إِيمَانٌ ١٧١ . وَأَبُو دَاوُدَ : لِبَاسٌ ٢٥ . وَالتَّحْفَةُ : زَكَاةٌ ٦٩ ، يَوْعٌ ٥ . وَابْنُ مَاجَةٍ : تَجَارَاتٌ ٣٠ . وَالدَّارِمِيُّ : يَوْعٌ ٦٣ . وَاحِدٌ : الْخَامِسُ ، ص ١٤٨ ، ١٥٨ ، ١٦٢ ، ١٦٨ .
(٢٩١) أَحَدٌ : الثَّانِي ، ص ٧ . وَابْنُ رُمَيْزٍ : تَلَوْرٌ ٨ .

وعن عبد الرحمن بن سمرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تحلفوا بالطواغى ولا بأبائكم » رواه مسلم . الطواغى : جمع طاغية وهى الأصنام ، ومنه الحديث : هذه طاغية دوس أى صنمهم ومعبودهم وعن بريدة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من حلف بالأمانة فليس منا » رواه أبو داود وغيره ، وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من حلف فقال : إني بربى من الإسلام ، فإن كان كاذباً فهو كاذباً كما قال ، وإن كان صادقاً فلن يرجع إلى الإسلام سالماً » (٢٩٢) .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه سمع رجلاً يقول : والكعبة ، فقال : « لا تحلف بغير الله » فأبى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من حلف بغير الله فقد كفر وأشرك » رواه الترمذى وحسنه ابن حبان فى صحيحه والحاكم ، وقال : صحيح على شرطهم (٢٩٣) . قال : وفسر بعض العلماء قوله « كفر أو أشرك » على التغليظ كما روى عن النبى ﷺ أنه قال : « الرءاء شرك » .

وقال ﷺ : « من حلف فقال فى حلفه : واللوات والعزى فليقل : لا إله إلا الله » . وقد كان فى الصحابة من هو حديث عهد بالحلف بها قبل إسلامه ، فربما سبق لسانه إلى الجلف بها ، فأمره النبى ﷺ أن يبادر بقول لا إله إلا الله ليكفر بذلك ماسبق إلى لسانه ، وبالله التوفيق .

[الكبيرة السادسة والعشرون : الظلم]

بأكل أموال الناس وأخذها ظلماً وظلم الناس بالضرب والشتم والتعدى والاستطالة على الضعفاء .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ . مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ

(٢٩٢) أخرجه الحاكم ، وقال : صحيح على شرطهما .

(٢٩٣) أخرجه أصحاب الهن .

طُرْفُهُمْ وَأَفِيدَتْهُمْ هَوَاءٌ . وَالَّذِينَ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ . فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا : رَبَّنَا أَخْرِجْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ لِحُبِّ دَعْوَتِكَ وَتَشْيِيعِ الرُّسُلِ . أَوْ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ . وَسَكَتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ . وَبَيَّنَّ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ ﴿٢٩٤﴾ . وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ ﴾ ﴿٢٩٥﴾ . وقال تعالى : ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ ﴿٢٩٦﴾ .

وقال ﷺ : « إن الله ينجي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته » . ثم قرأ رسول الله ﷺ : « وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة . إن أخذها ليم شديد » ﴿٢٩٧﴾ .

وقال ﷺ : « من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرض أو شيء فليتحلله اليوم من قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه » ﴿٢٩٨﴾ .

وقال ﷺ عن ربه تبارك وتعالى : أنه قال : « يا عبادي إلى حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا » ﴿٢٩٩﴾ . وقال رسول الله ﷺ : « أتدرون من المفلس ؟ قالوا : يا رسول الله المفلس فينا من لادرهم له ولا متاع . فقال : إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام وحج ، فيأتى وقد شتم هذا ، وأخذ مال هذا . ونبش عن عرض هذا ، وضرب هذا . وسلك دم هذا . فيؤخذ لهذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فويت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرح عليه ثم

﴿٢٩٤﴾ إبراهيم : ٤٢ — ٤٥ .

﴿٢٩٥﴾ الشورى : ٤٢ .

﴿٢٩٦﴾ الشعراء : ٢٢٧ .

﴿٢٩٧﴾ أخرجه البخاري : تفسير سورة ١١ باب ٥ . ومسلم : بر ٦٢ . وابن ماجه : فن ٢٢ .

﴿٢٩٨﴾ أخرجه البخاري : مظالم ١٠ . وأحد : الثاني ، ص ٤٣٥ ، ٥٠٦ .

﴿٢٩٩﴾ أخرجه مسلم : بر ٥٥ . وأحد : الخامس ، ص ١٦٠ .

طرح في النار» وهذه الأحاديث كلها في الصحاح . وتقدم حديث : « إن رجالا يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة » وتقدم قوله لمعاد حين بعثه إلى اليمن « وأتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب » . وفي الصحيح : « من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين يوم القيامة » .

وفي بعض الكتب يقول الله تعالى : اشتد غضبي على من ظلم من لم يجد له ناصراً غيري وأنشد بعضهم :

لا تظلمن إذ ما كنت مقتدراً فالظلم ترجع عقابه إلى الندم
تنام عينك والمظلوم منتبه يدعو عليك وعين الله لم تنم

وكان بعض السلف يقول : لا تظلم الضعفاء فتكون من أشرار الأقوياء ، وقال أبو هريرة رضي الله عنه : إن الجباري تموت في وكرها هزلاً من ظلم الظالم وقيل : مكتوب في التوراة : ينادي مناد من وراء الجسر — يعني الصراط — يامعشر الجبابرة الطغاة ، وبامعشر المترفين الأشقياء إن الله يحلف بعزته وجلاله أن لا يجاوز هذا الجسر اليوم ظالم . عن جابر قال : لما رجعت مهاجرة الحبشة عام الفتح إلى رسول الله ﷺ قال : « ألا تخبروني بأعجب ما رأيتم بأرض الحبشة ؟ » ، فقال فتية كانوا منهم : بلى يا رسول الله بينما نحن يوماً جلوس إذ مرت بنا عجوز من عجائزهم تحمل على رأسها قلة من ماء ، فمرت بفتى منهم فجعل إحدى يديه بين كتفها ثم دفعها فخرت المرأة على ركبتيها وانكسرت قلتها . فلما قامت التفتت إليه ثم قالت : سوف تعلم يا غادر إذا وضع الله الكرسي وجمع الله الأولين والآخرين وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون سوف تعلم من أمرى وأمرك عنده غداً . قال فقال رسول الله ﷺ : « صدقت كيف يقدس الله قوماً لا يؤخذ من شديدهم لضعيفهم » (٣٠٠) .

(٣٠٠) أخرجه ابن حبان في صحيحه .

إذا ما الظلوم استوطأ الظلم مركباً ولج عتواً في قببح اكتسابه
فكّله إلى صرف الزمان وعدله سيبدو له مالم يكن في حسابه
وروى عن النبي ﷺ أنه قال : « خمسة غضب الله عليهم إن شاء
أَمْضَى غَضَبِهِ عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا وَإِلَّا أَمْرُ بِهِمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَى النَّارِ : أَمِيرُ قَوْمٍ يَأْخُذُ
حَقَّهُ مِنْ رَعِيَّتِهِ ، وَلَا يَنْصِفُهُمْ مِنْ نَفْسِهِ ، وَلَا يَدْفَعُ الظُّلْمَ عَنْهُمْ ، وَزَعِيمُ قَوْمٍ
يَطِيعُونَهُ وَلَا يَسَاوِي بَيْنَ الْقَوِي وَالضَّعِيفِ وَيَتَكَلَّمُ بِالْهَوَى ، وَرَجُلٌ لَا يَأْمُرُ أَهْلَهُ
وَوَلَدَهُ بِطَاعَةِ اللَّهِ ، وَلَا يَعْلَمُهُمْ أَمْرَ دِينِهِمْ وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ
الْعَمَلَ وَلَمْ يَوْفِهِ أَجْرَتَهُ ، وَرَجُلٌ ظَلَمَ امْرَأَةً صَدَاقَهَا » (٣١) .

وعن عبد الله بن سلام قال : إن الله تعالى لما خلق الخلق واستووا على
أقدامهم رفعوا رؤوسهم إلى السماء ، وقالوا : يارب مع من أنت ؟ قال : مع
المظلوم حتى يؤدي إليه حقه . وعن وهب بن منبه قال : بنى جبار من الجبابرة
قصرًا وشيده ، فجاءت عجوز فقيرة فبنت إلى جانبه كوخًا تأوى إليه ، فركب
الجبار يوما وطاف حول القصر فرأى الكوخ فقال : لمن هذا ؟ فقيل لامرأة فقيرة
تأوى إليه فأمر به فهدم ، فجاءت العجوز فرأته مهذوماً فقالت من هدمه ؟
فقيل : الملك رآه فهدمه فرفعت العجوز رأسها إلى السماء ، وقالت : يارب إذا
لم أكن أنا حاضرة فأين كنت أنت ؟ قال فأمر الله جبريل أن يقلب القصر على
من فيه قلبه .

وقيل لما حبس خالد بن برمك وولده قال : يأبتي بعد العز صرنا في القيد
والحبس . فقال يابني دعوة المظلوم سرت بليل غفلنا عنها ولم يغفل الله عنها ، وكان
يزيد بن حكيم يقول : ماهبت أحداً قط هيبتى رجلاً ظلمته ، وأنا أعلم أنه لا
ناصر له إلا الله يقول لى : حسبي الله ، الله بينى وبينك .

وحبس الرشيد أبا العتاهية الشاعر فكتب إليه من السجن هذين البيتين :

(٣١) لم نقف عليه فيما بين أيدينا من مصادر .

أما والله إن الظلم شوم وما زال المسيء هو المظلوم
ستعلم يا مظلوم إذا التقينا غداً عند المليك من المظلوم

وعن أنى أمانة قال : يجيء الظالم يوم القيامة حتى إذا كان على جسر جهنم لقيه المظلوم وعرفه ما ظلمه به ، فما يرح الذين ظلموا بالذين ظلموا حتى ينزعوا مابأيديهم من الحسنات ، فإن لم يجدوا لهم حسنات حملوا عليهم من سيئاتهم مثل ما ظلموهم حتى يردوا إلى الدرك الأسفل من النار .

وعن عبد الله بن أنيس قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يحشر العباد يوم القيامة حفاة عراة غرلاً بهما فيناديهم مناد بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب : أنا الملك الديان لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة أو أحد من أهل النار أن يدخل النار وعنده مظلمة أن أقصه حتى اللطمة فما فوقها ، ولا يظلم ربك أحداً . قلنا : يا رسول الله كيف وإنما تأتي حفاة عراة . فقال بالحسنات والسيئات جزاء ، ولا يظلم ربك أحداً^(٣٢) . وجاء عن النبي ﷺ أنه قال : « من ضرب سوطاً ظلماً اقتص منه يوم القيامة »^(٣٣) . وما ذكر أن كسرى اتخذ مؤدباً لولده يعلمه ويؤدبه حتى إذا بلغ الولد الغاية في الفضل والأدب استحضره المؤدب يوماً وضربه ضرباً شديداً من غير جرم ولا سبب ، فحقد الولد على المعلم إلى أن كبر ومات أبوه فتولى الملك بعده فاستحضر المعلم وقال له : ما حملك على أن ضربتني في يوم كذا وكذا ضرباً وجيعاً من غير جرم ولا سبب ، فقال المعلم : اعلم أيها الملك أنك لما بلغت الغاية في الفضل والأدب علمت أنك تنال الملك بعد أبيك ، فأردت أن أذيقك ألم الضرب وألم الظلم حتى لا تنظلم أحداً ، فقال : جزاك الله خيراً ثم أمر له بجائزة وصرفه .

ومن الظلم أخذ مال اليتيم ، وتقدم حديث معاذ بن جبل حين قال له رسول الله : وائق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب .

(٣٠٢) أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده ، والطبراني في معجمه ، والبخاري في الأدب المفرد .
(٣٠٣) أخرجه البيهقي والطبراني .

وفى رواية : إن دعاء المظلوم يرفع فوق الغمام ويقول الرب تبارك وتعالى :
وعزنى وجلالى لأنصرك ولو بعد حين ، وأنشدوا شعراً :

توقّ دعا المظلوم إن دعاءه ليرفع فوق السحب ثم يجاب
توقّ دعا من ليس بين دعائه وبين إله العالمين حجاب
ولا تحسبن الله مطرّحاً له ولا أنه يخفى عليه خطاب
فقد صح أن الله قال وعزنى لأنصر المظلوم وهو مثاب
فمن لم يصدق ذا الحديث فإنه جهول وإلا عقله فمضاب

(فصل) : ومن أعظم الظلم المماثلة بحق عليه مع قدرته على الوفاء لما
ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « مظل الغنى ظلم » وفى رواية
« لى » الواجد ظلم يحل عرضه وعقوبته « أى يحل شكايته وحبسه .

(فصل) ومن الظلم أن يظلم المرأة حقها من صداقها ونفقتها وكسوتها
وهو داخل فى قوله ﷺ « لى الواجد ظلم يحل عرضه وعقوبته » .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : يؤخذ بيد العبد أو الأمة يوم القيامة
فينادى به على رؤوس الخلائق . هذا فلان ابن فلان من كان له عليه حق فليأت
إلى حقه قال : فتفرح المرأة أن يكون لها حق على أيها أو أخيها أو زوجها ثم قرأ .
﴿ فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ﴾ (٣٤) . قال : فيغفر الله من حقه
ما شاء ولا يقفر من حقوق الناس شيئاً ، فينصب العبد للناس ثم يقول الله تعالى
لأصحاب الحقوق : ائتوا إلى حقوقكم . قال فيقول الله تعالى للملائكة . خذوا
من أعماله الصالحة فأعطوا كل ذى حق حقه بقدر طلبته ، فإن كان ولياً لله
وفضل له مثقال ذرة ضاعفها الله تعالى له حتى يدخله الجنة بها ، وإن كان عبداً
شقياً ولم يفضل له شيء فتقول الملائكة : ربنا فنيت حسناته وبقي طالبه ، فيقول
الله : خذوا من سيئاتهم فأضيفوها إلى سيئاته ، ثم صك له صكاً إلى النار . يؤيد

ذلك ماتقدم من قول النبي ﷺ : « أتدرون من المفلس ؟ فذكر أن المفلس من أمته من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام ، ويأتي وقد شتم هذا وضرب هذا وأخذ مال هذا ، فيؤخذ لهذا من حسناته . ولهذا من حسناته ، فإن فئت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار » .

(فصل) ومن الظلم أن يستأجر أجيراً أو إنساناً في عمل ولا يعطيه أجرته لما ثبت في صحيح البخارى أن رسول الله ﷺ قال : يقول الله تعالى : « ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ومن كنت خصمه خصمته : رجل أعطى بي ثم غدر ، ورجل باع حراً فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه العمل ولم يعطه أجرته » . وكذلك إذا ظلم يهودياً أو نصرانياً أو ناقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفسه فهو داخل في قوله تعالى : أنا حجيجه — أو قال أنا خصمه — يوم القيامة . ومن ذلك أن يخلف على دين في ذمته كاذباً فاجراً لما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « من اقتطع حق امرئ مسلم يمينه فقد أوجب الله له النار وحرّم عليه الجنة . قيل : يارسول الله وإن كان شيئاً يسيراً ؟ قال : وإن قضيباً من أراك » .

فخف القصاص غداً إذا وفيت ما كسبت يداك اليوم بالقسطاس في موقف مافيه إلا شاخص أو مهطع أو مقنع للراس أعضاؤهم فيه الشهود وسجنهم نار وحاكمهم شديد الباس أن تمطل اليوم الحقوق مع الغنى فغداً تؤذيها مع الإفلاس وقد روى أنه لا أكره للعبد يوم القيامة من أن يرى من يعرفه خشية أن يطالبه بمظلمة ظلمه بها في الدنيا كما قال النبي ﷺ : « لتؤذن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء » (٣٥) وقال ﷺ : « من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو من شيء فليتحلل منه

(٣٥) أخرجه البخارى في الأدب المفرد .

اليوم من قبل أن لا يكون دينار ولا درهم . إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه ثم طرح في النار» (٣٦) . وروى عبد الله بن أبي الدنيا بسنده إلى أنى أيوب الأنصارى أن رسول الله ﷺ قال : « أول من يختصم يوم القيامة الرجل وامرأته والله ما يتكلم لسانها ولكن يداها ورجلاها يشهدان عليها بما كانت تعنت لزوجها في الدنيا ويشهد على الرجل يده ورجله بما كان يولى زوجته من خير أو شر ، ثم يدعى بالرجل وخدمه مثل ذلك فما يؤخذ منهم دوايق ولا قراريط ولكن حسنات هذا الظالم تدفع إلى هذا المظلوم ، وسيئات هذا المظلوم تحمل على هذا الظالم ، ثم يؤتى بالجبارين في مقامع من حديد فيقال : سوقوهم إلى النار » . وكان شريح القاضى يقول : سيعلم الظالمون حتى من انتقصوا أن الظالم ينتظر العقاب والمظلوم ينتظر النصر والثواب . وروى أنه إذا أراد الله بعبده خيراً سلط الله عليه من يظلمه ، ودخل طائوس اليماني على هشام بن عبد الملك فقال له : اتق الله يوم الأذان ، قال هشام : وما يوم الأذان ؟ قال : قال الله تعالى : ﴿ فَأَذِّنْ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ (٣٧) . فصعق هشام . فقال طائوس : هذا ذل ذا الصفة فكيف بذل المعايينة ؟ ياراضياً باسم الظالم كم عليك من المظالم ؟ السجن جهنم ، والحق الحاكم !

(فصل) في الجذر من الدخول على الظلمة ومخالطتهم ومعوتهم . قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فْتُمْسِكُمْ النَّارُ ﴾ (٣٨) والركون ها هنا السكون إلى الشيء والميل إليه بالخبة . قال ابن عباس رضى الله عنهما لاعميلوا من الميل في المحبة ولين الكلام والمودة ، وقال السدى وابن زيد : لاتداهنوا الظلمة ، وقال عكرمة هو أن يطيعهم ويودهم ، قال أبو العالية : لاترضوا بأعمالهم (فتمسكم النار) فيصيبكم لفحها (ومالككم من دون الله من أولياء) ، وقال ابن عباس رضى الله عنهما مالكم من مانع يمنعكم من عذاب الله (ثم

(٣٧) الأعراف : ٤٤ .

(٣٨) سبق تخويجه .

(٣٨) هود : ١١٣ .

لاتنصرون) لاتمتنعون من عذابه ، وقال الله تعالى : ﴿ احشروا الذين ظلموا وأزواجهم ﴾ أى أشباههم وأمثالهم وأتباعهم . وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « سيكون أمراء يغشاهم غواش أو حواش من الناس يظلمون ويكذبون ، فمن دخل عليهم وصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس منى ولست منه ، ومن لم يدخل عليهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو منى وأنا منه » (٣٩) . وعنه رضى الله عنه عن النبي ﷺ « من أعان ظالماً سلط عليه » (٣٩) ، وقال سعيد بن المسيب رحمه الله : لاتملأوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بإنكار من قلوبكم لئلا تحبط أعمالكم الصالحة ، قال مكحول . الدمشقى ينادى مناد يوم القيامة أين الظلمة وأعوانهم ؟ فما يبقى أحد مد لهم حبراً أو حبر لهم دواة أو برى لهم قلماً فما فوق ذلك إلا حضر معهم ، فيجمعون فى تابوت من نار فيلقون فى جهنم وجاء رجل خياط إلى سفيان الثوري فقال لى رجل أخيط ثياب السلطان هل أنا من أعوان الظلمة ؟ فقال سفيان بل أنت من الظلمة أنفسهم ، ولكن أعوان الظلمة من يبيع منك الإبرة والخيط . وقد روى عن النبي ﷺ أنه قال : « أول من يدخل النار يوم القيامة السواطون الذين يكون معهم الأسواط يضربون بها الناس بين يدي الظلمة » (٣٩) وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : الجلاوزة والشرط كلاب النار يوم القيامة . الجلاوزة : أعوان الظلمة .

وقد روى أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام أن مّر بنى إسرائيل أن لايتلوا من ذكرى فإنى أذكر من ذكرى ، وأن ذكرى إياهم أن ألعنهم . وفى رواية فإنى أذكر من ذكرى منهم باللعنة . وجاء عن النبي ﷺ أنه قال : « لايقف أحدكم فى موقف يضرب فيه رجل مظلوم فإن اللعنة تنزل على من حضر ذلك المكان إذا لم يدفعوا عنه » (٣٩) .

(٣٩) لم تقف عليه .
(٣٩) أخرجه الطبرانى ، وهو حسن .

(٣٩) أخرجه ابن حبان وأبو يعلى .
(٣٩) أخرجه ابن عساکر ، وهو ضعيف .

روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « أتى رجل في قبره فقيل له : إنا ضاربوك مائة ضربة فلم يزل يتشفع إليهم حتى صاروا إلى ضربة واحدة فضربوه ، فالتهب القبر عليه ناراً فقال : لم ضربتموني هذه الضربة ؟ فقالوا : إنك صليت صلاة بغير ظهور ومررت برجل مظلوم فلم تنصره »^(٣١٣) فهذا حال من لم ينصر المظلوم مع القدرة على نصره فكيف حال الظالم !

وقد ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال : « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ، فقال يارسول الله : أنصره إذا كان مظلوماً فكيف أنصره إذا كان ظالماً ؟ قال : تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره » .

ومما حكى قال بعض العارفين : رأيت في المنام رجلاً ممن يخدم الظلمة والمكاسين بعد موته بمدة في حالة قبيحة فقلت له : ما حالك ؟ قال : شر حال ، فقلت : إلى أين صرت ؟ قال : إلى عذاب الله . قلت : فما حال الظلمة عنده ؟ قال : شه خال ، أما سمعت قول الله عز وجل : ﴿ وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴾^(٣١٤) ومما حكى قال بعضهم رايت رجلاً مقطوع اليد من الكتف وهو ينادى من رآني فلا يظلمن أحداً فتقدمت إليه ، فقلت له : يا أخي ما قصتك ؟ قال : يا أخي قصة عجيبة ، وذلك أني كنت من أعوان الظلمة فرأيت يوماً صياداً وقد اصطاد سمكة كبيرة فأعجبتني ، فجئت إليه فقلت : أعطني هذه السمكة ، فقال : لا أعطيها أنا آخذ بثمانها قوتاً لعيالي ، فضربته وأخذتها منه قهراً ومضيت بها . قال : فبينما أنا أمشي بها حاملها إذ عضت على إبهامي عضّة قوية ، فلما جئت بها إلى بيتي ، وألقيتها من يدي ، ضربت على إبهامي ، وآلنتي ألماً شديداً حتى لم أنم من شدة الوجع والألم وورمت يدي ، فلما أصبحت أتيت الطبيب وشكوت إليه الألم ، فقال : هذه بدء الآكلة اقطعها وإلا تقطع يدك . فقطعت إبهامي ثم ضربت على يدي فلم أطق النوم ولا القرار من

(٣١٣) أخرجه أبو الشيخ في كتاب « تزيين » وسنده تالف .
(٣١٤) الشعراء : ٢٢٧ .

شدة الألم ، فقيل لى : اقطع كفك فقطعته ، وانتشر الألم إلى الساعد وآلمنى ألماً شديداً ، ولم أطلق القرار ، وجعلت أستغيث من شدة الألم ، فقيل لى : اقطعها إلى المرفق فقطعها . فانتشر الألم إلى العضد ، وضربت على عضدى أشد من الألم الأول ، فقيل : اقطع يدك من كتفك وإلا سرى إلى جسدك كله فقطعها . فقال لى بعض الناس ماسبب ألمك ؟ فذكرت قصة السمكة ، فقال لى لو كنت رجعت فى أول ما أصابك الألم إلى صاحب السمكة واستحللت منه وأرضيته لما قطعت من أعضائك عضواً فذهب الآن إليه واطلب رضاه قبل أن يصل الألم إلى بدنك . قال : فلم أزل أطلبه فى البلد حتى وجدته ، فوقعت على رجله أقبليها وأبكي وقلت له : ياسيدى سألتك بالله إلا عفوت عنى . فقال لى : ومن أنت ؟ قلت : أنا الذى أخذت منك السمكة غصباً وذكرت ماجرى وأريته يدي فبكى حين رآها . ثم قال : ياأخى قد أحللتك منها لما قد رأيته بك من هذا البلاء ، فقلت : ياسيدى بالله هل كنت قد دعوت علىّ لما أخذتها ؟ قال : نعم . قلت : اللهم إن هذا تقوى علىّ بقوته على ضعفى على مارزقتنى ظلماً فأرونى قدرتك فيه . فقلت : ياسيدى قد أراك الله قدرته فى وأنا تائب إلى الله عز وجل عما كنت عليه من خدمة الظلمة ، ولا عدت أقف لهم على باب ، ولا أكون من أعوانهم مادمت حياً . إن شاء الله وبالله التوفيق .

(موعظة) لإخوانى كم أخرج الموت نفساً من دارها لم يدارها ، وكم أنزل أجساداً بجارها لم يجارها ، وكم أجرى العيون كالعيون بعد قرارها — شعر :

يامعرضاً بوصال عيش ناعم ستضد عنه طائعاً أو كارها
إن الحوادث تزعج الأحرار عن أوطانها والطير عن أوكارها

أين من ملك المغارب والمشارق ، وعمر النواحي وغرس الحدائق ، ونال الأمانى وركب العواتق ؟ صاح به من داره غراب بين ناعق ، وطرقه فى لهوه أقطع طارق ، وزجرت عليه رعود وصواعق ، وحل به ماشيب بعض المفارق ، وقلاه

الحبيب الذى لم يفارق ، وهجره الصديق والرفيق الصادق ، ونقل من جوار المخلوقين إلى جوار الخالق . نازله والله الموت فلم يحاشه ، وأذله بالقهر بعد عز جاشه ، وأبدله خشن التراب بعد لين فراشه ومزقه اللود في قبره كتمزيق قماشه ، وبقي في ضنك شديد من معاشه ، وبعد عن الصديق فكأنه لم يماشه . مانفعه والله الاحتراز ، ولا ردت عنه الركاز ، بل ضره من الزاد الإعواز ، وصار والله عبوة للمجتاز ، وقطع شاسعاً من السبل الأوفاز ، وبقي رهيناً لا يدرى أهلك أم فاز . وهذا لك بعد أيام ، وما أنت فيه الآن أحلام ، ودنياك لاتصلح وما سمعت ستره غدا على التمام ، ويقع لى ولك ، ويحك ! أما يؤثر فيك هذا الكلام ؟

[الكبيرة السابعة والعشرون : المكاس]

وهو داخل في قول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٣١٥) .

والمكاس من أكبر أعوان الظلمة ، بل هو من الظلمة أنفسهم . فإنه يأخذ مالا يستحق ويعطيه لمن لا يستحق ، ولهذا قال النبي ﷺ : « المكاس لا يدخل الجنة » (٣١٦) . وقال ﷺ : « لا يدخل الجنة صاحب مكس » رواه أبو داود ، وما ذاك إلا لأنه يتقلد مظالم العباد . ومن أين للمكاس يوم القيامة أن يؤدي للناس ما أخذ منهم ؟ إنما يأخذون من حسناته إن كان له حسنات ! وهو داخل في قول النبي ﷺ : « أتدرون من المفلس ؟ قالوا : يا رسول الله المفلس فينا من لادرهم له ولا متاع ، قال : إن المفلس من أمتى من يأتي بصلاة وزكاة وصيام وحج ، ويأتي وقد شتم هذا وضرب هذا وأخذ مال هذا ، فيؤخذ لهذا من حسناته وهذا من حسناته فإذا فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من شئائهم فطرح عليه ثم طرح في النار » (٣١٧) .

(٣١٥) الشورى : ٤٢ .

(٣١٦) أبو داود : إمارة ٧ . والدارمي : زكاة ٢٨ . وأحمد : الرابع ، ص ١٤٣ ، ١٥٠ .

(٣١٧) سبق تخريجه .

وفي حديث المرأة التي طهرت نفسها بالرجم ، لقد تابت توبة لو تايها صاحب مكس لغفر له أو لقبلت منه ، والمكاس من فيه شبه من قاطع الطريق وهو من اللصوص . وجأى المكس وكاتبه وشاهده وأخذه من جندى وشيخ . وصاحب رواية شركاء في الوزن آكلون للسحت والحرام ، وصح أن رسول الله ﷺ قال : « لا يدخل الجنة لحم نبت من السحت ، النار أولى به » (٣١٨) ، والسحت : كل حرام قبيح الذكر يلزم منه العار .

وذكره الواحدى رحمه الله في تفسير قول الله تعالى : ﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ ﴾ (٣١٩) . وعن جابر أن رجلا قال : يا رسول الله إن الخمر كانت تجارى ، وإنى جمعت من بيعها مالا . فهل ينفعنى ذلك المال إن عملت فيه بطاعة الله تعالى ؟ فقال رسول الله ﷺ : « إن أنفقتة فى حج أو جهاد أو صدقة لم يعدل عند الله جناح بعوضه . إن الله لا يقبل إلا الطيب » (٣٢٠) ، فأنزل الله تعالى تصديقا لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ﴾ .

قال عطاء والحسن : الحلال والحرام ، فنسأل الله العفو والعافية .

(موعظة) أين من : حصن الحصون المشيدة واحترس ، وعمر الخدائق فبالغ وغرس ونصب لنفسه سرير العز وجلوس ، وبلغ المنتهى ورأى الملتمس ، وظن فى نفسه البقاء ولكن خاب الظن فى النفس ، أزعجه والله هاذم اللذات واختلس ، ونازله بالقهر فأنزله عن الفرس ، ووجه به إلى دار البلى فانطمس ، وتركه فى ظلام ظلمة من الجهل والدنس فالعاقل من أباد أيامه فإن العواقب فى خلس . وقيل :

(٣١٨) أخرجه الدارمى وأحمد والترمذى ، عن جابر ، وسنده صحيح .

(٣١٩) المائدة : ١٠٠ .

(٣٢٠) أخرج مسلم قوله : « إن الله لا يقبل إلا الطيب » ، أما بقية الحديث فقد أخرجها الأصبهاني والواحدى .

تبنى وتجمع والآثار تندرس
 ذا اللب فكّر فما في العيش من طمع
 أين الملوك وأبناء الملوك ومن
 ومن سيوفهم في كل معترك
 أضحووا بمهلكة في وسط معركة
 وعملهم حدث وضمهم حدث
 كأنهم قط ما كانوا وما خلقوا
 والله لو عاينت عينك ما صنعت
 لعائنت منظرًا تشجى القلوب له
 ومن أوجه ناضرات حار ناظرها
 وأعظم باليات ما بها رفق
 وألسن ناطقات زانها أدب
 أحنانا إذا النهى لا ترعوى سفهاً
 وتأمل اللبث والأعمار تختلس
 لا بد ما ينتهى أمر وينعكس
 كانوا إذا الناس قاموا هيبة جلسوا
 تخشى ودونهم الحجاب والحرس
 صرعى وصاروا بطن الأرض وانطمسوا
 باتوا فهم جثث في الرمس قد حبسوا
 ومات ذكرهم بين الورى ونسوا
 أيدى البلى بهم والدود يفترس
 وأبصرت منكراً من دونه البلس
 في رونق الحسن منها كيف ينطمس
 وليس تبقى لهذا وهى تنتس
 ماشأنا شأنها بالآفة الخرس
 ودمع عينيك لايهمى وينبجس

(موعظة) : يا من يرحل في كل يوم مرحلة ، وكتابه قد حوى حتى
 الخردلة ما ينتفع بالنذير والنذر متصلة ، ولا يصغى إلى ناصح وقد عبّله ، ودروعه
 مخرقة والسهم مرسله . ونور الهدى قد بدا ولكن مارآه ولا تأمله وهو يؤمل
 البقاء . ويرى مصير من قد أمله قد انعكف بعد الشيب على العيب بصباة
 ووله . كن كيف شئت فبين يديك الحساب والزلزلة . ونعم جلدك فلا بد
 للديدان أن تأكله فياعجبا من فتور مؤمن موقن بالجزاء والمسألة استيقن منه غرور
 وبله . ويحك يا هذا من استدعاك وفتح منزله فقد أولاك لو علمت منزله . فبادر
 مابقى من عمرك واستدرك أوله ، فبقية عمر المؤمن جوهرة قيمة .

[الكبيرة الثامنة والعشرون : أكل الحرام وتناوله

على أى وجه كان ٢

قال الله عز وجل : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ﴾ (٣٢١) .

أى لا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل . قال ابن عباس رضى الله عنهما : يعنى باليمين الباطلة الكاذبة يقتطع بها الرجل مال أخيه بالباطل والأكل بالباطل على وجهين ، أحدهما أن يكون على جهة الظلم نحو الغصب والخيانة والسرقة . والثانى على جهة الهزل واللعب كالذى يؤخذ فى القمار والملاهى ونحو ذلك ، وفى صحيح البخارى : إن رسول الله ﷺ قال : « إن رجلاً يتخوضون فى مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة » . وفى صحيح مسلم حين ذكر النبى ﷺ : « الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده إلى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك » وعن أنس رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله : ادع الله أن يجعلنى مستجاب الدعوة فقال ﷺ : « يا أنس أطب كسبك تجب دعوتك ، فإن الرجل ليرفع اللقمة من الحرام إلى فيه فلا تستجاب له دعوة أربعين يوماً » (٣٢٢) ، وروى البيهقى بإسناده أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم ، وإن الله يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطى الدين إلا من يحب ، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه ولا يكسب عبد مالا حراماً فينفق منه فيبارك له فيه . ولا يتصدق منه فيقبل منه ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار . إن الله لا يمحو السيئ بالسيئ ولكن يمحو السيئ بالحسن » وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « الدنيا حلوة خضرة من اكتسب فيها مالا من حله وأنفقه فى حقه أثابه الله وأورثه جنته ، ومن اكتسب فيها مالا من غير حله وأنفقه فى غير حقه

(٣٢١) سورة البقرة : ١٨٨ .

(٣٢٢) أخرجه الطبرانى فى الصغير .

أدخله الله تعالى دار الهوان . ورب متخوض فيما اشتته نفسه من الحرام له النار يوم القيامة» (٣٢٣) . وجاء عنه عليه السلام أنه قال : « من لم يبال من أين اكتسب المال لم يبال الله من أى باب أدخله النار » (٣٢٤) . وعن أنى هريرة رضى الله عنه قال : « لأن يجعل أحدكم فى فيه تراباً خيراً من أن يجعل فى فيه حراماً » (٣٢٥) . وقد روى عن يوسف بن أسباط رحمه الله قال : إن الشاب إذا تعبد قال الشيطان لأعوانه انظروا من أين مطعمه ، فإن كان مطعمه سوء قال : دعوه يتعب ويجتهد فقد كفاكم أنفسه إن اجتهد مع أكل الحرام لا ينفعه ويؤيد ذلك ما ثبت فى الصحيح من قوله عليه السلام عن الرجل الذى مطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك ؟ وقد روى فى حديث أن ملكاً على بيت المقدس ينادى كل يوم وكل ليلة « من أكل حراماً لم يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً » (٣٢٦) الصرف النافله ، والعدل : الفريضة . وقال عبد الله بن المبارك : « لأن أرد درهما من شبهة أحب إلى من أن أتصدق بمائة ألف ومائة » . وجاء عن النبى عليه السلام أنه قال : « من جج بحال حرام فقال : ليك ، قال ملك : لاليك ولاسعديك حجتك مردود عليك » (٣٢٧) . وروى الإمام أحمد فى مسنده عن رسول الله عليه السلام أنه قال : « من اشترى ثوباً بعشرة دراهم وفى ثمنه درهم من حرام لم يقبل الله له صلاة مادام عليه » . وقال وهب بن الورد : لو قمت قيام السارية مانفعلك حتى تنظر ما يدخل بطنك أحلال أم حرام . وقال ابن عباس رضى الله عنهما : « لا يقبل الله صلاة امرئ وفى جوفه حرام حتى يتوب إلى الله تعالى منه » . وقال سفيان الثورى : من أنفق الحرام فى الطاعة كمن طهر الثوب بالبول ، والثوب لا يطهره إلا الماء ، والذنب لا يكفره إلا الحلال ، وقال

(٣٢٣) أخرجه البيهقى ، وسنده ضعيف .

(٣٢٤) لم نقف عليه فيما بين أيدينا من مصادر .

(٣٢٥) أخرجه أحمد ، وقامه : « والذى نفسى بيده لأن يأخذ أحدكم حبله فيذهب به إلى الجبل فيحطب ثم يأتي به فيحمله على ظهره فيأكل خير له من أن يسأل الناس ، ولأن يأخذ تراباً فيجعله .. » .

(٣٢٦) نقل الشوكاني عن الفيروز آبادى صاحب المختصر أنه لم يجد له أصلاً .

(٣٢٧) أخرجه الطبرانى فى الأوسط .

عمر رضى الله عنه « كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة الوقوع في الحرام » .
وعن كعب بن عُجرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يدخل الجنة جسد غذى بالحرام » (٣٢٨) . وعن زيد بن أرقم قال : كان لأبى بكر غلام يخرج له الخراج — أى قد كاتبه على مال — وكان يجيئه كل يوم بخراجه فيسأله : من أين أتيت بها ؟ فإن رضىه أكله وإلا تركه . قال : فجاءه ذات ليلة بطعام وكان أبو بكر صائماً فأكل منه لقمة ونسى أن يسأله ، ثم قال له : من أين جئت بهذا ؟ فقال : كنت تكهنت لأناس بالجاهلية وماكنت أحسن الكهانة ، إلا أنى خدعتهم ، فقال أبو بكر : أف لك كدت تهلكنى ! ثم أدخل يده في فيه فجعل يتقيأ ولا يخرج ، فقيل له : إنها لا تخرج إلا بالماء ، فدعا بماء فجعل يشرب ويتقيأ حتى قاء كل شيء في بطنه ، فقيل له : يرحمك الله كل هذا من أجل هذه اللقمة ؟ فقال رضى الله عنه لو لم تخرج إلا مع نفسى لأخرجتها . إلى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به » (٣٢٩) ، فخشيت أن ينبت بذلك في جسدى من هذه اللقمة . وقد تقدم قوله عليه السلام : « لا يدخل الجنة جسد غذى بحرام » (٣٣٠) وإسناده صحيح . قال العلماء رحمهم الله : ويدخل في هذا الباب : المكاس ؟ والخائن ، والزغلى ، والسارق والبطال ، وآكل الربا وموكله ، آكل مال اليتيم ، وشاهد الزور ، ومن استعار شيئاً فجحده ، وآكل الرشوة ، ومنقص الكيل والوزن ، ومن باع شيئاً فيه عيب فغطاه ، والمقامر . والساحر . والمنجم . والمصور ، والزانية . والنائحة والعشيرة ، والدلال ، إذا أخذ أجرته بغير إذن من البائع ، ونحبر المشتري بالزائد ومن باع حراً فأكل ثمنه .

(فصل) روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « يؤتى يوم القيامة بأناس معهم من الحسنات كأمثال جبل تهامة ، حتى إذا جرى بهم جعلها الله هباءً منثوراً ثم يقذف بهم في النار . فقيل يارسول الله : كيف ذلك ؟ قال : كانوا

(٣٢٨) وسنده ضعيف .

(٣٣٠) سبق .

(٣٢٩) أخرجه الدارمى وغيره عن جابر .

يصلون . ويصومون ، ويزكون ويحجون ، غير أنهم كانوا إذا عرض لهم شيء من الحرام أخذوه فأحبط الله أعمالهم» (٣٣١) . وعن بعض الصالحين أنه رأى بعد موته في المنام فقيل له : ما فعل الله بك ؟ قال : خيراً ، غير أني محبوس عن الجنة بإبرة استعرتها فلم أردّها . فتنسأل الله تعالى العفو والعافية والتوفيق لما يحب ويرضى ؛ إنه جواد كريم رؤوف رحيم .

(موعظة) عباد الله أما الليالي والأيام تهدم الآجال ؟ أما مآل المقيم في الدنيا إلى الزوال ، أما آخر الصحة يقول إلى الاعتلال ، أما غاية السلامة نقصان الكمال . أما بعد استقرار المنى هجوم الآجال ، أما أنيتم عن الرحيل وقد قرب الانتقال : أما بانت لكم العبر وضربت لكم الأمثال ؟

وعزير ناعم ذل له	كل صعب المرتقى وعمر المرام
فكساه بعد لين ملابس	خشناً بالرغم منه في الرغام
ووجوه ناضرات بدلت	بعد لون الحسن لوناً كالقتام
وشموس طالعات أفلت	بعد ذاك النور منها بالظلام
ومنيف شاخ بنيانه	لين الأعطاف مهتز القوام
أف للدينا فما شيمتها	غير نقبض العقد أو خفر الذمام
فاستعدوا الزاد تنجوا واعملوا	صالحاً من قبل تقويض الخيام (٣٣٢)

يامتعلقاً بزخرف يروق بقاءه كلمح البروق ، يامضيماً في الهوى واجبات الحقوق تبارز الخالق وتستحي من المخلوق ؟ يامؤثراً أعلى العلالى سائراً ذلك الفسوق ، ألا سترى ذلك الفسوق ! يامتولها مهاد الهوى وهو في سجن الردى مرموق ، ابلك على نفسك العليلة فإنك بالبكاء محقوق ، عجباً لمن رأى فعل الموت لصحيبه ، وأيقن بتلفه وماقضى نجه ، وسكن الإيمان بالآخرة في قلبه ، ونام

(٣٣١) أخرجه الطبراني ، وسنده فيه ضعف .
(٣٣٢) الرغام : التراب ، والقتام : الغبار ، وأفلت : غابت ، والأعطاف : الجوانب ، وشيمتها : خلقها وعادتها ، وخفر الذمام : خيانة العهد والذمة .

غافلا على جنبه ؛ ونسى جزاءه على جرمه وذنبه وأعرض إلى ربه من الهوى عن ربه ، كأنى به وقد سقى كأس حمام يستغيث من شربه ، وأفرده الموت عن أهله وسربه ، ونقله إلى قبره ذل فيه بعد عجبه . فياذا اللب جز على قبره وعج (٣٣٣) به . لقد حقرت المواعظ المسامع وما أراه انتفع به السامع ، لقد بدا نور المطالع لكنه أعمى المطالع ، ولقد بانت العبر بآثار الغير لمن اغتر بالمصارع . فما بالها لاتسكب المدامع ؟ يا عجباً لقلب عند ذكر الحق غير خاشع ، لقد نشبت فيه مخالب المطامع . يامن شبيه قد أتى هل ترى ماضى من العمر تراجع ؟ انتبه لما بقى وانته وراجع ، فالهول عظيم والحساب شديد والطريق شاسع ، إن عذاب ربك لواقع ماله من دافع .

[الكبيرة التاسعة والعشرون : أن يقتل الإنسان نفسه]

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا . وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُذْرًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ، وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ (٣٣٤) .

قال الواحدى فى تفسير هذه الآية : ولا تقتلوا أنفسكم ، أى لا يقتل بعضهم بعضاً لأنكم أهل دين واحد ، فأنتم كنفس واحدة . هذا قول ابن عباس والأكثرين وذهب قوم إلى أن هذا نهى عن قتل الإنسان نفسه ، ويدل على صحة هذا ما أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد المنصورى بإسناده عن عمرو بن العاص ، قال : احتلمت فى ليلة باردة وأنا فى غزوة ذات السلاسل ، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك ، فتيمنت فضليتي بأصحابى الصبح ، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال : « يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب ؟ » ، فأخبرته الذى منعنى من الاغتسال فقلت إني سمعت الله يقول : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنْ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ . فضحك رسول الله ﷺ ، ولم يقل شيئاً (٣٣٥) .

(٣٣٤) النساء : ٢٩ - ٣٠ .

(٣٣٣) المراد أهم به .

(٣٣٥) أخرجه أحمد فى المسند .

فدل هذا الحديث على أن عمرو تأول هذه الآية هلاك نفسه لا نفس غيره ولم ينكر ذلك عليه النبي ﷺ . قوله (ومن يفعل ذلك) كان ابن عباس يقول : الإشارة تعود إلى كل مانهى عنه من أول السورة إلى هذا الموضع وقال قوم : الوعيد راجع إلى أكل المال بالباطل ، وقتل النفس المحرمة ، وقوله تعالى : ﴿ عدواناً وظلماً ﴾ من العدوان أن يعدو ما أمر الله به (وكان ذلك على الله يسيراً) أى أنه قادر على إقاع ماتوعده به من إدخال النار . وعن جندب ابن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال : « كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع فأخذ سكيناً فحذ بها يده فما رقا الدم حتى مات . قال الله تعالى : بادرنى عبدى بنفسه حرمت عليه الجنة . مخرج فى الصحيحين . وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « من قتل نفسه بحديدة ، فحديدته فى يده يتوجأ بها فى بطنه فى نار جهنم خالداً فيها أبداً ، ومن قتل نفسه بسم فسمه فى يده يتحساه فى نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً ، ومن نزل من جبل فقتل نفسه فهو ينزل فى نار جهنم خالداً فيها أبداً » مخرج فى الصحيحين وفى حديث ثابت بن الضحاك قال : قال رسول الله ﷺ : « لعن المؤمن كقتله ، ومن قذف مؤمناً بكفر فهو كقتله ، من قتل نفسه بشئ عذب به يوم القيامة » (٣٣٦) . وفى الحديث الصحيح عن الرجل الذى آلمته الجراح فاستعجل الموت ، فقتل نفسه بذياب سيفه فقال رسول الله ﷺ : « هو من أهل النار » (٣٣٧) ، فنسأل الله أن يلهمنا رشدنا ، وأن يعيدنا من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ؛ إنه جواد كريم غفور رحيم .

(موعظة) ابن آدم كيف تظن أعمالك مشيدة ، وأنت تعلم أنها مكيدة ؟ وكيف تترك معاملة المولى وتعلم أنها مفيدة ؟ وكيف تقصّر فى زادك وقد تحققت أن الطريق بعيدة ؟ يامعرضاً عنا إلى متى هذا الجفا والإعراض ؟ ياغافلاً عن الموت والعمر لاشك فى انقراض . يامغتراً فى أمله وأيدى المنايا فى أجله

(٣٣٦) أخرجه الترمذى وغيره .

(٣٣٧) أخرجه الشيخان .

تقرضه بمقراض ، يامغروراً بصحته وبدنه كل يوم في انتقاض ، يامن يفنى كل يوم بعضه ستفنى والله الأبعاض . ياغافلاً عن الزاد وقد أنذره بعد السواد البياض ، ياقليل الاحتراس ونيل المنايا طوال عراض . يامن يساق إلى موارد التلف وقد نزحت الحياض ، ياضحكاً وعيون الفنا غير غماض لمن هذه الأوقات بين يديه كيف يقدر جفنه على الإغماض ؟

[الكبيرة الثلاثون : الكذب في غالب أقواله]

قال الله تعالى : ﴿ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ (٣٣٨) . وقال الله تعالى : ﴿ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ﴾ (٣٣٩) أى الكاذبون . وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ (٣٤٠) .

في الصحيحين عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً . وإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً » . وفي الصحيحين أيضاً أنه ﷺ قال : « آية المنافق ثلاث ، وإن ضلّ وصام وزعم أنه مسلم : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان » . وقال عليه الصلاة والسلام : « أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً . ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها . إذا أؤتمن خان ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر » . وفي صحيح البخارى فى حديث منام النبى ﷺ قال : « فأتينا على رجل مضطجع لقفاه ، وآخر قائم عليه بكلوب من حديد يشرشر شذقه إلى قفاه وعينه إلى قفاه ، ثم يذهب إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل فى

. ١٨ : (٣٣٨) هود :

. ١٠ : (٣٣٩) الداريات :

. ٢٨ : (٣٤٠) غافر :

الجنب الأول ، فما يرجع إليه حتى يصح مثل ماكان ، فيفعل به كذلك إلى يوم القيامة . فقلت لهما : « من هذا ؟ فقالا : إنه كان يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق » . وقال ﷺ : « يطبع المؤمن على كل شيء ليست الخيانة والكذب »^(٣٤١) . وفي الحديث : « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث »^(٣٤٢) . وقال ﷺ : « ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ، ولا يزكهم وهم عذاب أليم : شيخ زان ، وملك كذاب ، وعائل مستكبر »^(٣٤٣) . العائل : الفقير . وقال ﷺ : « ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك به الناس فيكذب . ويل له ، ويل له »^(٣٤٤) . وأعظم من ذلك الحلف كما أخبر الله تعالى عن المنافقين . بقوله : ﴿ ويحلفون على الكذب وهم يعلمون ﴾^(٣٤٥) . وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكهم وهم عذاب أليم : رجل على فضل مايمعنه ابن السبيل ، ورجل بايع رجلا سلعة ، فحلف بالله لأخذتها بكذا وكذا ، فصدقه وأخذها وهو على غير ذلك ، ورجل بايع إماماً لا يبايعه إلا للدنيا ، فإن أعطاه منها وفى له ، وإن لم يعطه لم يف له » . وقال ﷺ : « كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك به مصدق وأنت له به كاذب »^(٣٤٦) ، وفي الحديث أيضاً : « من تحلم بحلم لم يره كلف أن يعقد بين شعيرتين وليس بعاقده »^(٣٤٧) ، وقال رسول الله ﷺ : « أفرى الفرى على الله أن يرى الرجل عينيه ما لم تريا »^(٣٤٨) معناه أن يقول : رأيت في منامي كيت وكيت ولم يكن رأى شيئاً . وقال ابن مسعود رضى الله عنه : لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى ينكت في قلبه نكتة سوداء ، حتى يسود قلبه فيكتب عند الله من الكاذبين .

(٣٤٢) أخرجه الشيخان ومالك عن أبي هريرة .
(٣٤٤) أخرجه أبو داود والحاكم عن معاوية حيدة .
(٣٤٦) أخرجه البخاري في الأدب وغيره .
(٣٤٨) أخرجه أحمد عن ابن عمر .

(٣٤١) أخرجه أحمد عن أبي أمامة .
(٣٤٣) سبق خرجه .
(٣٤٥) المجادلة : ١٤ .
(٣٤٧) أخرجه الترمذي وأحمد .

فينبغي للمسلم أن يحفظ لسانه عن الكلام ، إلا كلاماً ظهرت فيه المصلحة . فإن في السكوت سلامة والسلامة لا يعدلها شيء . وفي صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت » . فهذا الحديث المتفق على صحته نص صريح فى أنه لاينبغي للإنسان أن يتكلم إلا إذا كان الكلام خيراً وهو الذى ظهرت مصلحته للمتكلم ، قال أبو موسى : قلت : يا رسول الله أى المسلمين أفضل ؟ قال : « من سلم المسلمون من لسانه ويده »^(٣٤٩) . وفى الصحيحين : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة مايتبين فيها — أى مايفكر فيها بأنها حرام — يزل بها فى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب » . وفى موطأ الإمام مالك من رواية بلال بن الحارث المزنى أن رسول الله ﷺ قال : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ماكان يظن أن تبلغ مابلغت يكتب الله تعالى بها له رضوانه إلى يوم يلقاه ، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ماكان يظن أن تبلغ مابلغت يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه » والأحاديث الصحيحة بنحو ماذكرنا كثيرة وفيما أشرنا إليه كفاية . وسئل بعضهم : كم وجدت فى ابن آدم من العيوب ؟ فقال : هى أكثر من أن تحصى ، والذي أحصيت ثمانية آلاف عيب ، ووجدت خصلة إن استعملها سترت العيوب كلها ، وهى حفظ اللسان ، جنبنا الله معاصيه واستعملناه فيما يرضيه ، إنه جواد كريم .

(موعظة) . أيها العبد : لاشيء أعز عليك من عمرك وأنت تضيعه ، ولاعدو لك كالشيطان وأنت تطيعه ، ولا أضر من موافقة نفسك وأنت تصافىها ، ولا بضاعة سوى ساعات السلامة وأنت تسرف فيها . لقد مضى من عمرك الأطايب فما بقى بعد شيب الذوائب ؟ يا حاضر البدن والقلب غائب ، اجتمع العيب والشيب من جملة المصائب . يمضى زمن الصبا وحب الحبايب . كفى

(٣٤٩) أخرجه أبو داود وأحمد .

زاجراً واعظاً تشيب منه الذوائب . يا غافلاً فإنه أفضل المناقب ، أين البكا لخوف
العظيم الطالب ؟ أين الزمان الذى ضاع فى الملاعب ؟ نظرت فيه آخر العواقب .
كم فى القيامة من دمع ساكب على ذنوب قد حواها كتاب الكاتب ! من لى إذا
قمت فى موقف المحاسب وقيل لى : ما صنعت فى كل واجب ؟

كيف ترجو النجاة وتلهو بأسر الملاعب ، إذا أتت الأمانى بظن
الكاذب . الموت صعب شديد مر المشارب ، يلقي شره بكأس صدور
الكتائب . فانظر لنفسك وانتظر قدوم الغائب ، يأتى بقهر ويرمى بسهم
صائب . يا آملاً أن تبقى سليماً من النوائب ، بنيت بيتاً كنسيج العناكب . أين
الذين علوا متون الركائب ، ضاقت بهم المنايا سبل المذاهب ، وأنت بعد قليل
حليف المصائب ، فانظر وتفكر وتدبر قبل العجائب .

[الكبيرة الحادية والثلاثون : القاضى السوء]

قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَخُكْ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْكَافِرُونَ ﴾ (٣٥٠) . وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَخُكْ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ
هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٣٥١) . وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَخُكْ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ
فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٣٥٢) .

روى الحاكم بإسناده وفى صحيحه عن طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه عن
النبي ﷺ أنه قال : « لا يقبل الله صلاة إمام حكم بغير ما أنزل الله » .

وصحح الحاكم أيضاً من حديث بريدة رضى الله عنه قال : قال رسول الله
ﷺ : « القضاة ثلاثة : قاض فى الجنة وقاضيان فى النار ، قاض عرف الحق
فقطى به فهو فى الجنة ، وقاض عرف الحق فجار متعمداً فهو فى النار ،
وقاض قضى بغير علم فهو فى النار » . قالوا فما ذنب الذى يجهل ؟ قال :

(٣٥١) المائدة : ٤٥ .

(٣٥٠) المائدة : ٤٤ .

(٣٥٢) المائدة : ٤٧ .

« ذنبه أن لا يكون قاضياً حتى يعلم » . وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من جعل قاضياً فقد ذبح بغير سكين » (٣٥٣) . وقال الفضيل بن عياض رحمه الله . ينبغي للقاضي أن يكون يوماً في القضاء ويوماً في البكاء على نفسه . وقال محمد بن واسع — رحمه الله — : أول من يدعى يوم القيامة إلى الحساب القضاة . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يؤتى بالقاضي العدل يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب ما يود أنه لم يقض بين اثنين في تمرة » (٣٥٤) . وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن القاضي ليزل في زلقة في جهنم أبعد من عدن » (٣٥٥) . وعن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ليس من وال ولا قاض إلا يؤتى به يوم القيامة حتى يوقف بين يدي الله عز وجل على الصراط ثم تنشر سريره فتقرأ على رؤوس الخلائق ، فإن كان عدلاً نجاه الله بعدله ، وإن كان غير ذلك انتفض به ذلك الجسر انتفاضاً ، فصار بين كل عضو من أعضائه مسيرة كذا وكذا ، ثم ينخرق به الجسر إلى جهنم » . وقال مكحول : لو خيرت بين القضاء وبين ضرب عنقي لاخترت ضرب عنقي على القضاء وقال أيوب السختياني : (إني وجدت أعلم الناس أشدهم هرباً منه) وقيل للثوري : إن شريحاً قد استقضى ، فقال : أي رجل قد أفسدوه ! ودعا مالك بن المنذر محمد بن واسع ليجمعه على قضاء البصرة فأبى ، فعاوده وقال : لتجلسن ؛ وإلا جلدتك . فقال : إن تفعل فإنك سلطان وإن دليل الدنيا خير من دليل الآخرة ! وقال وهب بن منبه : إذا هم الحاكم بالجور أو عمل به أدخل الله النقص على أهل مملكته حتى في الأسواق والأرزاق والزرع والضرع وكل شيء ، وإذا هم بالخير أو العدل أدخل الله البركة في أهل مملكته كذلك . وكتب عامل من عمال حمص إلى عمر بن العزيز رضى الله تعالى عنه : أما بعد فإن مدينة حمص قد تهدمت واحتاجت إلى إصلاح . فكتب إليه عمر :

(٣٥٤) أخرجه الطبراني عن عائشة .

(٣٥٣) أخرجه أحمد والحاكم عن أبي هريرة .
(٣٥٥) لم تلق عليه فيما بين أيدينا من مصادر .

حصنها بالعدل ونق طرقها من الجور ، والسلام . قال : ويحرم على القاضى أن يحكم وهو غضبان وإذا اجتمع فى القاضى قلة علم وسوء قصد وأخلاق زعرة^(٣٥٦) وقلة ورع فقد تم خسارته ، ووجب عليه أن يعزل نفسه ، ويبادر بالخلاص . فنسأل الله العفو والعافية والتوفيق لما يحب ويرضى ؛ إنه جواد كريم .

(موعظة) يامن عمره كلما زاد نقص ، يامن يامن ملك الموت وقد اقتص يامائلا إلى الدنيا هل سلمت من النقص ؟ يامفرطاً فى عمره هل بادرت الفرص ؟ يامن إذا ارتقى فى منهاج الهدى ثم لاح له الهوى نكص ، من لك يوم الحشر عند نشر القصص . عجباً لنفس أمست بالليل هاجعة ونسيت أهوال يوم الواقعة ، ولأن تفرعها المواعظ فتصفى لها سامعة ، ثم تعود الزواجر عنها ضائعة والنفوس غدت فى كرم الكريم طامعة ، وليست له فى حال من الأحوال طائعة ، والأقدام سعت فى الهوى فى طرق شاسعة ، بعد أن وضحت من الهدى سبل واسعة ، والهمم شرعت فى مشاريع الهوى متنازعة ، لم تكن مواعظ العقول لها نافعة ، وقلوب تضمر التوبة إذا فزعت بزواجر رادعة ، ثم تعود إلى مالا يحل مرارا متتابعة .

[الكبيرة الثانية والثلاثون : أخذ الرشوة على الحكم]

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْأَنفِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾^(٣٥٧) .

أى لاتدلو بأموالكم إلى الحكام ، أى لا تصانعوهم بها ولا ترشوهم ليقطعوا لكم حقاً لغيركم وأنتم تعلمون أنه لا يحل لكم . وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لعن الله الراشئ والمرتشئ فى الحكم » أخرجه الترمذى وقال : حديث حسن . وعن عبد الله بن عمرو : لعن رسول الله ﷺ الراشئ والمرتشئ^(٣٥٨) . قال العلماء : فالراشئ هو الذى يعطى الرشوة ، والمرتشئ هو

(٣٥٧) البقرة : ١٨٨ .

(٣٥٦) أخرج الطبرانى نحوه عن أبى ذر .

(٣٥٨) أخرجه ابن ماجه عن ابن عمر .

الذى يأخذ الرشوة ، وإنما تلحق اللعنة الراشئ إذا قصد بها أذية مسلم أو ينال بها مالا يستحق ، أما إذا أعطى ليتوصل إلى حق له ويدفع عن نفسه ظلماً فإنه داخل في اللعنة ، وأما الحاكم فالرشوة عليه حرام ، أبطل بها حقاً أو دفع بها ظلماً . وقد روى في حديث آخر : « إن اللعنة على الرائش أيضاً وهو الساعى بينهما ، وهو تابع للراشئ في قصده خيراً لم تلحقه اللعنة وإلا لحقته » (٣٥٩) .

(فصل) : ومن ذلك ما روى أبو داود في سننه عن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : « من شفع لرجل شفاعاً فأهدى له عليها هدية فقد أتى باباً كبيراً من أبواب الريا » . وعن ابن مسعود قال : السحت أن تطلب لأخيك الحاجة فتقضى فيهدى إليك هدية فتقبلها منه ، وعن مسروق أنه كلم ابن زياد في مظلمة فردها فأهدى إليه صاحب المظلمة وصيفاً فردها ولم يقبلها ، وقال سمعت ابن مسعود يقول : من رد عن مسلم مظلمة فأعطاه على ذلك قليلاً أو كثيراً فهو سحت فقال الرجل : يا أبا عبد الرحمن ما كنا نظن أن السحت إلا الرشوة في الحكم ، فقال : ذلك كفر ، نعوذ بالله منه ونسأل الله العفو والعافية من كل بلاء ومكروه .

(الحكاية) عن الإمام أبى عمر الأوزاعى رحمه الله — وكان يسكن بيروت — أن نصرانياً جاء إليه فقال : إن والى بعلبك ظلمنى بمظلمة ، وأريد أن تكتب إليه وأتاه بقلعة عسل ، فقال الأوزاعى رحمه الله : إن شئت رددت القلعة وكتبت لك إليه ، وإن شئت أخذت القلعة . فكتب له إلى والى أن يضع عن هذا النصرانى من خراجها . فأخذ القلعة والكتاب ومضى إلى والى فأعطاه الكتاب فوضع عنه ثلاثين درهماً بشفاعة الإمام رحمه الله وحشرنا في زمرة .

(موعظة) عباد الله : تدبروا العواقب ، واحذروا قوة المناقب ، واخشوا عقوبة المعاقب ، وخافوا سلب السالب ، فإنه والله طالب غالب . أين الذين

(٣٥٩) أخرجه البزار والطبراني عن ثوبان بلفظ « لعن الله الراشئ والمرئشئ والرئش » .

قعدوا في طلب المنى وقاموا ، وداروا على توطئة دار الرحيل وحاموا ؟ مأقل مالبثوا
وما أوفى مأقاموا ! لقد ونخوا في نفوسهم في قعر قبورهم على مأسلفوا ولاموا :
أما والله لو علم الأنام لما خلقوا لما هجعوا وناموا
لقد خلقوا لأمر لو رآته عيون قلوبهم تاهوا وهاموا
مات ثم قبر ثم حشر ، وتوبىخ ، وأهوال عظام
ليوم الحشر قد عملت رجال فصلوا من مخافه وصاموا
ونحن إذا أمرنا أو نهينا كأهل الكهف أيقاظ نيام
يامن بأقذار الخطايا قد تلتطخ ، وبآفات البلايا قد تضمخ ، يامن سمع
كلام من لام ووبخ ، يعقد عقد التوبة حتى إذا أمسى يفسخ ، يامطلقاً لسانه
والملك يحصى وينسخ ، يامن طير الهوى في صدره قد عشش وفرخ ، كم أباد الموت
ملوكا كالجبال الشمخ ، كم أزعج قواعد كانت في الكبر ترسخ ، وأسكنهم ظلم
اللحود ومن ورائهم برزخ ، يامن قلبه من بدنه بالذنوب أوسخ ، يامبارزاً بالعظام
أتأمن أن يخسف بك أو تمسخ ، يامن لازم العيب بعد اشتعال الشيب ففعله
يؤرخ . والحمد لله دائماً أبداً .

[الكبيرة الثالثة والثلاثون : تشبه النساء بالرجال

وتشبه الرجال بالنساء]

في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : « لعن الله المتشبهات من
النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء »^(٣٦٠) . وفي رواية : « لعن الله
الرجلة من النساء »^(٣٦١) . وفي رواية قال : « لعن الله الخنثين من الرجال
والمترجلات من النساء »^(٣٦٢) . يعنى اللاتي يتشبهن بالرجال في لبسهم
وحديثهم ، وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لعن الله
المرأة تلبس لبسة الرجل والرجل يلبس لبسة المرأة »^(٣٦٣) .

(٣٦٠) أخرجه أصحاب السنن إلا النسائي عن ابن عباس .

(٣٦١) أخرجه أبو داود عن عائشة .

(٣٦٢) أخرجه أحمد وغيره عن ابن عباس .

(٣٦٣) أخرجه الحاكم وابن حبان عن أبى هريرة .

فإذا لبست المرأة زى الرجال من المقابل والفرج والأكم الضيقة فقد شابهت الرجال في لبسهم فتلحقها لعنة الله ورسوله ولزوجها إذ أمكنها من ذلك أى رضى به ولم ينهها لأنه مأمور بتقويمها على طاعة الله ونهها عن المعصية ، لقول الله تعالى : ﴿ قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ (٣٦٤) أى أدبواهم وعلموهم ومروهم بطاعة الله وانهوهم عن معصية الله كما يجب ذلك عليكم فى حق أنفسكم ، ولقول النبي ﷺ « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته . الرجل راع فى أهله ومسئول عنهم يوم القيامة » (٣٦٥) . وجاء عن النبي ﷺ أنه قال : « ألا هلكت الرجال حين أطاعوا النساء » (٣٦٦) . وقال الحسن : والله ما أصبح اليوم رجل يطيع امرأته فيما تهوى إلا أكبه الله تعالى فى النار ، وقال ﷺ « صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا » أخرجه مسلم .

(قوله) كاسيات أى من نعم الله عاريات من شكرها وقيل هو أن تلبس المرأة ثوباً رقيقاً يصف لون بدنّها . ومعنى مائلات قيل عن طاعة الله وما يلزمهن حفظه ، مميلات أى يعلمن غيرهن الفعل المذموم ، وقيل : مائلات : متبخرات بميلات لأكتافهن- وقيل مائلات : يمتشطن المشطة الميلاء وهى مشطة البغايا ، ومميلات : يمشطن غيرهن تلك المشطة . رؤوسهن كأسنمة البخت أى يكبرنها ويعظمنها بلف عصاة أو عمامة أو نحوها . وعن نافع قال كان ابن عمر وعبد الله بن عمرو عند الزبير بن عبد المطلب إذ أقبلت امرأة تسوق غنماً متنكبة قوساً ، فقال عبد الله بن عمر : أرجل أنت أم امرأة ؟ فقالت : امرأة فالتفت إلى ابن عمر فقال : إن الله تعالى لعن على لسان نبيه ﷺ المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء .

(٣٦٤) التحريم : ٦ .

(٣٦٦) أخرجه الحاكم عن أبى بكر .

(٣٦٥) سبق تخريجه .

ومن الأفعال التي تلعن عليها المرأة : إظهار الزينة والذهب واللؤلؤ من تحت النقاب ، وتطييبها بالمسك والعنبر والطيب إذا خرجت ، ولبسها الصباغات والأزر والحرير والأقبية القصار مع تطويل الثوب وتوسعة الأكمام وتطويلها إلى غير ذلك إذا خرجت ، وكل ذلك من التبرج الذي يمقت الله عليه ويمقت فاعله في الدنيا والآخرة ، وهذه الأفعال التي قد غلبت على أكثر النساء «^(٣٦٧)» ، وقال عليه السلام : «^(٣٦٨)» ما تركت بعدي فتنة هي أضر على الرجال من النساء «^(٣٦٨)» . فنسأل الله أن يقينا فتنتهن ، وأن يصلحهن وإيانا بمنه وكرمه .

(موعظة) ابن آدم كأنك بالموت وقد فجأك وهجم وألحقك بمن سبقك من الأمم .. ونقلك إلى بيت الوحدة والظلم ، ومن ذلك إلى عسكر الموتى مخيمة بين الخيم . مفرقاً من مالك مااجتمع ومن شملك ماانتظم ، ولاتدفعه بكثرة الأموال ولابقوة الخدم ، وندمت على التفریط غاية الندم ، فيا عجباً لعين تنام وطالبها لم ينم ، متى تحذر مما توعده وتهدد ، ومتى تضمر نار الخوف في قلبك وتتوقد ، إلى متى حسناتك تضمحل وسيئاتك تجدد ، إلى متى لايهلك زجر الواعظ وإن شدد ، إلى متى أنت بين الفتور والتواني تتردد ، متى تحذر يوماً فيه الجلود تنطق وتشهد ، متى تترك مايفنى فيما لاينفد ، متى تهب بك في بحر الوجد ربح الخوف والرجا ، متى تكون في الليل قائماً إذا سجا ، أين الذين عاملوا مولاهم وانفردوا ، وقاموا في الدجى وركعوا وسجدوا ، وقدموا إلى بابهِ في الأسحار ووفدوا ، وصاموا هواجر النهار فصبروا واجتهدوا ، لقد ساروا وتحلفت وفاتك ماوجدوا . وبقيت في أعقابهم وإن لم تلحق بعدوا :

ياإنائم الليل . كم ترقد قم ياحييى قد دنا الموعد
من نام حتى ينقضى ليله لم يبلغ المنزل أو . . . يجهد
فقل لذوي الألباب أهل التقى قنطرة العرض لكم موعد

^(٣٦٧) أخرجه الترمذى وغيره عن ابن عباس .
^(٣٦٨) أخرجه أصحاب السنن إلا أبا داود عن أسامة .

[الكبيرة الرابعة والثلاثون : الديوث المستحسن على أهله

والقواد الساعى بين الأثنين بالفساد]

قال الله تعالى : ﴿ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ، وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٣٦٩) .

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « ثلاثة لا يدخلون الجنة : العاق لوالديه والديوث ورجلة النساء » (٣٧٠) وروى النسائي أن رسول الله ﷺ قال : « ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة : مدمن الخمر والعاق لوالديه والديوث الذى يقر الحُبث فى أهله » يعنى يستحسن على أهله . نعوذ بالله من ذلك .

قال المصنف رحمه الله تعالى : فمن كان يظن بأهله الفاحشة ويتغافل لمحبتة فيها أو لأن لها عليه ديناً وهو عاجز ، أو صداقاً ثقيلاً ، أو له أطفال صغار فترفعه إلى القاضى وتطلب فرضهم فهو دون من يعرض عنه ، ولا خير فيمن لا غيرة له . فنسأل الله العافية من كل بلاء ومحنة ، إنه جواد كريم .

(موعظة) أيها المشغول بالشهوات الفانيات متى تستعد لمات آت ، حتى متى لا تتجهت في إلحاق القوافل الماضيات ، أتطمع وأنت رهين الوساد (٣٧١) فى لاق السادات ؟ هيهات هيهات هيهات ! يا آملاً فى زعمه اللذات احذر هجوم هاذم اللذات ، احذر مكائده فهى كوامن فى عدة الأنفاس واللحظات .
تمضى حلاوة ما أخفيت وبعدها تبقى عليك مرارة التبعات
يا حسرة العاصين يوم معادهم لو أنهم سبقوا إلى الجنات
لو لم يكن إلا الحياء من الذى ستر العيوب لأكثروا الحسرات
يامن صحيفته بالذنوب قد حفت ، وموازينه بكثرة الذنوب قد خفت ،
أما رأيت أكفاء عن مطامعها كفت ، أما رأيت عرائس آحاد إلى اللحود قد

(٣٦٩) النور : ٣ .

(٣٧٠) سبق تخريجه .

(٣٧١) أى ملتصق بالوسادة نائماً .

زفت ، أما عاينت أبدان المترفين وقد أدرجت في الأكفان ولفت ، أما عاينت طور
الأجسام في الأرحام ومتى تنتبه لخلاص نفسك أيها الناعس ، متى تعتبر بربع غيرك
الدارس ؟ أين الأكاسرة الشجعان الفوارس ، وأين المنعمون بالجوارى والظباء الخنثى
الكوانس ، أين المتكبرون ذوو الوجوه العوايس ، أين من اعتاد سعة القصور !
حبس في القبور في أضيق الخابس ! أين الرافل في أثوابه عرى في تراه عن
الملابس ، أين الغافل في أملة وأهله عن أجله سلبته أكف الخالس ، أين جامع
الأموال سلب المحروس وهلك الحارس ! حق لمن علم مكر الدنيا أن يهجرها ، ولن
جهل نفسه أن يزجرها ، ولن تحقق نقلته أن يذكرها ، ولن غمر بالنعماء أن
يشكرها ، ولن دعى إلى دار السلام أن يقطع مفاوز الهوى ليحضرها .

[الكبيرة الخامسة والثلاثون : المحلل والمحلل له]

صح من حديث ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ لعن المحلل
والمحلل له . قال الترمذى : والعمل على ذلك عند أهل العلم منهم عمر بن
الخطاب وعثمان ابن عفان ، وعبد الله بن عمر ، وهو قول الفقهاء من التابعين
ورواه الإمام أحمد فى مسنده والنسائى فى سننه أيضاً بإسناد صحيح . وعن ابن
عباس رضى الله عنهما قال : سئل رسول الله ﷺ عن المحلل فقال : « لا ، إلا
نكاح رغبة ، لانكاح دلسة ولا استهزاء بكتاب الله عز وجل حق يذوق العسيلة »
ورواه أبو إسحاق الجوزجاني . وعن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ :
« ألا أخبركم بالتيس المستعار ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : هو المحلل ،
لعن الله المحلل والمحلل والمحلل له » . رواه ابن ماجه بإسناد صحيح . وعن ابن
عمر أن رجلاً سأل فقال : ماتقول فى امرأة تزوجتها أهلها لزوجها لم يأمرنى ولم
يعلم ؟ فقال له ابن عمر : لا ، إلا نكاح رغبة إن أعجبتك أمسكتها وإن كرهتها
فأرقتها ، وإنا كنا نعد هذا سفاحاً على عهد رسول الله ﷺ . وأما الآثار عن
الصحابه والتابعين فقد روى الأثرم وابن المنذر عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه
قال : « لأوتى بمحلل ولا محلل له إلا رجتهما » . وسئل عمر بن الخطاب عن

تحليل المرأة لزوجها فقال (ذلك السفاح) . وعن عبد الله بن شريك العامري قال : سمعت بن عمر رضي الله عنهما وقد سئل عن رجل طلق ابنة عم له ، ثم ندم ورغب فيها ، فأراد رجل أن يتزوجها ليحلها له . فقال ابن عمر : كلاهما زان وإن مكثا عشرين سنة أو نحو ذلك ، إذ كان يعلم أنه يريد أن يحللها . وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سأله رجل فقال : ابن عمي طلق امرأته ثلاثاً ثم ندم فقال : ابن عمك عصي ربه فأندمه ، وأطاع الشيطان فلم يجعل له مخرجاً . فقال : كيف ترى في رجل يحللها له ؟ فقال : من يخادع الله يخدعه ، وقال إبراهيم النخعي : إذا كان نية أحد الثلاثة الزوج الأول أو الزوج الآخر أو المرأة التحليل فنكاح الآخر باطل ولا تحل للأول . وقال الحسن البصري إذا هم أحد الثلاثة بالتحليل فقد أفسد . وقال سعيد بن المسيب لإمام التابعين ، في رجل تزوج امرأة ليحلها لزوجها الأول ، فقال لا تحل . ومن قال بذلك مالك بن أنس ، والليث بن سعد ، وسفيان الثوري ، والإمام أحمد . وقال إسماعيل بن سعيد : سألت الإمام أحمد عن الرجل يتزوج المرأة وفي نفسه أن يحللها لزوجها الأول ولم تعلم المرأة بذلك ؟ فقال : هو محلل . وإذا أراد بذلك الإحلال فهو ملعون ، ومذهب الشافعي رحمه الله إذا شرط التحليل في العقد بطل العقد ، لأنه عقد بشرط قطعه دون غايته فبطل كنكاح المتعة ، وإن وجد الشرط قبل العقد فالأصح الصحة ، وإن عقد كذلك ولم يشترط في العقد ولا قبله لم يفسد العقد ، وإن تزوجها على أنه إذا أحلها طلقها فقيه قولان : أصحهما أنه يبطل . ووجه البطلان أنه شرط يمنع صحته دوام النكاح فأشبهه التأقيت . وهذا هو الأصح في الرافعي . ووجه الثاني أنه شرط فاسد قارن العقد فلا يبطل كما لو تزوجها ، بشرط أن لا يتزوج عليها ولا يسافر بها . والله أعلم . فنسأل الله أن يوفقنا لما يرضيه ، ويجنبنا معاصيه ؛ إنه جواد كريم غفور رحيم .

(موعظة) لله در قوم تركوا الدنيا قبل تركها ، وأخرجوا قلوبهم بالنفر عن ظلام شكلها ، التقطوا أيام السلامة فغنموا . وتلذذوا بكلام مولاهم فاستسلموا

لأمره وسلموا ، وأخذوا مواهبه بالشكر وتسلموا ، هجروا في طاعته لذئذ الكرى
وهربوا إليه من جميع الورى ، وآثروا طاعته إيثار من علم ودرى . ورضوا فلم
يعترضوا على ماجرى ، وباعوا أنفسهم فيا نعم البيع ويانعم الشرا . أسلموا إليه لما
سلموا الروح ، وخدموه والصبر لخدمته مشروح ، وقرعوا بابيه وإذا الباب
مفتوح ، وواصلوا البكا فالجفن بالدمع مقروح ، وقاموا فى الأسحار قيام من
يبكى وينوح ، وصبروا على مقطعات الصوف وليس المسوح ، وراضوا أنفسهم
فاذا المذموم ممدوح . تعرفهم بسيماهم عليهم آثار الصدق تلوح ، قد عبقوا
بنشر أنسه رائحة ارتياحهم تفوح . من طيب الثنا . روائح لهم بكل مكان
تستنشق ، ممسكة النفحات إلا أنها وحشية لسواهم لاتعقب .

[الكبيرة السادسة والثلاثون : عدم التنزه من البول وهو شعار النصارى]

قال الله تعالى : ﴿ وثيابك فطهر ﴾ (٣٧٢) ، وعن ابن عباس رضى الله
عنهما قال : مر النبى ﷺ بقبرين فقال : « إنهما ليعذبان وما يعذبان فى
كبير ، أما أحدهما فكان يمشى بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستبرى من البول
أى لا يتحرز منه » . مخرج فى الصحيحين ، وقال رسول الله ﷺ : « استزهوا
من البول فإن عامة عذاب القبر منه » . رواه الدارقطنى .

ثم إن من لم يتحرز من البول فى بدنه وثيابه فصلاته غير مقبولة . وروى
الحافظ أبو نعيم فى « الحلية » عن شقى بن مائع الأصبهى عن رسول الله ﷺ
قال : « أربعة يؤدون أهل النار على ما بهم من الأذى ، يسعون ما بين الحميم
والجحيم ، ويدعون بالويل والثبور ، ويقول أهل النار لبعضهم البعض : ما بال
هؤلاء قد آذونا على ما بنا من الأذى . قال : فرجل مغلق عليه تابوت من حجر ،
ورجل يجر أمعاءه ، ورجل يسيل فمه قيحاً ودماً ، ورجل يأكل لحمه ، قال :
فيقال لصاحب التابوت : ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى ؟

فيقول : إن الأبعد مات وفي عنقه أموال الناس ، ثم يقال للذى يجبر أمعاءه : مابال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى ؟ فيقول : إن الأبعد كان لايمالى أين مأصاب البول منه « ولا يغسله » . ثم يقال للذى يسيل فمه قيحاً ودماً : مابال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى ؟ فيقول : إن الأبعد كان ينظر كل كلمة قيحة فيستلذها . وفي رواية : كان يأكل لحوم الناس ويمشى بالثيمة ، ثم يقال للذى يأكل لحمه : مابال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى ؟ فيقول : إن الأبعد كان يأكل لحوم الناس — يعنى بالغيبة .

فنسأل الله العفو والعافية بمه وكرمه ، إنه أرحم الراحمين .

(موعظة) أيها العبيد تذكروا في مصارع الذين سبقوا ، وتدبروا في عواقبهم أين انطلقوا ، واعلموا أنهم قد تقاسموا وافترقوا ، أما أهل الخير فسعدوا ؟ وأما أهل الشر فشقوا ، فانظر لنفسك قبل أن تلقى مالمقوا :

والمرء مثل هلال عند مطلعته	يبدو ضئيلاً لطيفاً ثم يتسق
يزداد حتى إذا ماتم أعقبه	كر الجديدين نقص ثم يمتحق
كان الشباب رداء قد بهجت به	فقد تطاير منه للبلا خرق
ومات مبتسم جد المشيب به	كالليل ينهض في أعجازه الأفق
عجبت والدهر لا تفنى عجائبه	من راكبين إلى الدنيا وقد صدقوا
وطالما نغصت بالفجع صاحبها	بطارق الفجع والتغيص قد طرقتوا
دار لعهد بها الآجال مهلكة	وذو التجارب فيها خائف فرق
يا للرجال تخدوع بباطلها	بعد البيان ومغرور بها يثقى
أقول والنفس تدغوى لخرقها	أين الملوك ، ملوك الناس والسوق
أين الذين إلى لذاتها جنحوا	قد كان قبلهم عيش ومرتقى
أمست مساكنهم قفراً معطلة	كأنهم لم يكونوا قبلها خلقوا
فيا أهل دار لابقاء لها	إن اغتراراً بظل زائل حق ^(٣٧٤)

(٣٧٣) يتسق : يكتمل ، وكر الجديدين : تعاقب الليل والنهار ، وامتحق : نقص وذهبت بركه ، وجد المشيب به : اشتد به ، والسوق : الرعية ، ومرتقى : كل ما يتفجع به .

[الكبيرة السابعة والثلاثون : الرياء]

قال الله تعالى مخبراً عن المنافقين : ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٣٧٤) . وقال الله تعالى : ﴿قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ (٣٧٥) . وقال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُتَّقَى مَالَهُ رِئَاءُ النَّاسِ﴾ (٣٧٦) الآية . وقال الله تعالى : ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أُخَذَ﴾ (٣٧٧) .

أى لا يرائى بعمله . وعن أنى هريرة رضى الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : « إن أول الناس يقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد في سبيل الله فأتى به فعرفه نعمه فعرفها ، قال فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت قال : كذبت ولكنك فعلت ليقال : هو جريء ، وقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار . ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال فأتى به فعرفه نعمه فعرفها . قال : فما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك ، قال : كذبت ولكنك فعلت ليقال : هو جواد فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ورجل تعلم العلم وعلمه ، وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها . قال : فما عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن . قال : كذبت لكنك تعلمت ليقال هو عالم . وقرأت ليقال : هو قارىء ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار » رواه مسلم . وقال ﷺ : « من سمع سمع الله به ، ومن رأى رأى الله به » (٣٧٨) . قال الخطابي معناه من عمل عملاً على غير إخلاص إنما يريد أن يراه الناس ويسمعه جوزى على ذلك بأنه يشهره ويفضحه ، فيبدو عليه ما كان يبطنه ويسره من ذلك ، والله أعلم . وقال عليه الصلاة والسلام : « اليسير من الرياء شرك » (٣٧٩) . وقال ﷺ : « أخوف

(٣٧٥) الماعون : ٤ - ٦ .

(٣٧٧) الكهف : ١١٠ .

(٣٧٩) أخرجه البيهقي وابن ماجه عن معاذ .

(٣٧٤) النساء : ١٤٢ .

(٣٧٦) البقرة : ٢٦٤ .

(٣٧٨) أخرجه ابن ماجه وأحمد .

ما أخاف عليكم الشرك الأصغر ، فقليل : وما هو يا رسول الله ؟ قال : الرياء .
يقول الله تعالى يوم يجازى العباد بأعمالهم : « اذهبوا إلى الذين كنتم تراوهم
بأعمالكم فانظروا هل تجدون عندهم جزاء »^(٣٨٠) . وقيل في قول الله تعالى :
﴿ ويدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ﴾^(٣٨١) قيل : كانوا عملوا أعمالا كانوا
يرونها في الدنيا حسنتا بدت لهم يوم القيامة سيئات ، وكان بعض السلف إذا قرأ
هذه الآية يقول : ويل لأهل الرياء وقيل : إن^(٣٨٢) المرأى ينادى به يوم القيامة
بأربعة أسماء : يامرأى ، ياغادر ، يافاجر ، ياخاسر ، اذهب فخذ أجرك ممن
عملت له فلا أجر لك عندنا . وقال الحسن : المرأى يريد أن يغلب قدر الله فيه
هو رجل سوء ، يريد أن يقول الناس هو صالح ، فكيف يقولون وقد حل من
ربه محل الإرداء ؟ فلا بد من قلوب المؤمنين أن تعرفه . وقال قتادة : إذا رأى العبد
يقول الله : انظروا إلى عبدى كيف يستهزئ بى . وروى أن عمر بن الخطاب
رضى الله عنه نظر إلى رجل وهو يطأ طيء رقيقته ، فقال : يا صاحب الرقبة ارفع
رقبتك ، ليس الخشوع في الرقاب إنما الخشوع في القلوب . وقيل : إن أبا أمامة
الباهلى رضى الله عنه أتى على رجل من المسجد وهو ساجد يبكى في سجوده
ويدعو ، فقال له أبو أمامة : أنت ، أنت ، لو كان هذا في بيتك ! وقال محمد
بن المبارك الصورى : أظهر السميت بالليل فإنه أشرف من إظهاره بالنهار ، لأن
السميت بالنهار للمخلوقين والسميت بالليل لرب العالمين . وقال على بن أبى طالب
رضى الله عنه : للمرأى ثلاث علامات : يكسل إذا كان وحده ، وينشط إذا كان
في الناس ، ويزيد في العمل إذا أثنى عليه ، وينقص إذا ذم به ، وقال الفضيل بن
عياض — رحمه الله — : ترك العمل لأجل الناس رياء . والعمل لأجل الناس
شرك ، والإخلاص أن يعافيك الله منهما .

نسأل الله المعونة والإخلاص في الأعمال والأقوال والحركات والسكنات ؛

إنه جواد كريم .

(٣٨٠) أخرجه ابن أبى الدنيا وأحمد عن ابن ليد .

(٣٨١) الزمر : ٤٧ .

(٣٨٢) ابن أبى الدنيا من رواية جلة يحيى عن صحابى لم يسم ، واسناده ضعيف . هـ عراق .

(موعظة) عباد الله ؛ إن أيامكم قلائل ومواعظكم قوائل . فليخبر
 الأواخر الأوائل ، وليستيقظ الغافل قبل سير القوافل ، يامن يوقن أنه لاشك
 راحل . وماله زاد ولا راحل ، يامن لجّ في لجة الهوى متى ترتقى إلى الساحل ؟
 هل انتهت من رقاد شامل ، وحضرت المواعظ بقلب غير غافل ، وقمت في الليل
 قيام عاقل ، وكتبت بالدموع سطور الرسائل ، تخفى بها زفرات الندم والرسائل ،
 ويعتتها في سفينة دمع سائل ، لعلها ترسى على الساحل . وأسفاً لمغرور جهول
 غافل . لقد أثقل بعد الكهولة بالذنب الكاهل وقد ضيع البطالة وبذل الجاهل ،
 وركن إلى ركوب الهوى ركة مائل ، يبنى البنيان ويشيد المعادل ، وهو عن ذكر
 قبره متشاغل ، ويدعى بعد هذا أنه عاقل . تالله لقد سبقه الأبطال إلى أعلى
 المنازل ، وهو يؤمل في بطالته فوز العامل ، وهيهات هيهات مافاز باطل بطائل :
 أيها المعجب فخراً بمقاصير اليوت
 إنما الدينى محل لقيام وقنوت
 فغداً تنزل بيتاً ضيقاً بعد النحوت
 بين أقواله سكوت ناطقات في الصموت
 فارض في الدنيا بشوب ومن العيش بقوت
 واتخذ بيتاً ضعيفاً مثل بيت العنكبوت
 ثم قل : يانفس هذا بيت مثواك فموتى (٣٨٣)

[الكبيرة الثامنة والثلاثون : التعلم للدنيا وكميان العلم]

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُخَشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (٣٨٤) يعنى
 العلماء بالله عز وجل ، قال ابن عباس : يريد إنما يخافنى من خلقى من علم
 جبروتى وعزى وسلطانى . وقال مجاهد والشعبى : العالم من خاف الله تعالى .
 وقال الربيع بن أنس : من لم يخش الله فليس بعالم . وقال الله تعالى :

(٣٨٣) النحوت : القصور المنحوتة ، وناطقات في الصموت : المراد أن صمتها معر عن كثير من الحقائق .
 (٣٨٤) فاطر : ٢٨ .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ (٣٨٥) .

نزلت هذه الآية في علماء اليهود وأراد (بالبينات) الرجم والحدود والأحكام ، وبألهدى أمر محمد عليه الصلاة والسلام ، ونعته (من بعد ما بيناه للناس) أى بنى إسرائيل (فى الكتاب) أى فى التوراة ، (أولئك) يعنى الذين يكتُمون (يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) قال ابن عباس : كل شىء إلا الجن والإنس ، وقال ابن مسعود : ماتلأعن اثنان من المسلمين إلا رجعت تلك اللعنة على اليهود والنصارى الذين يكتُمون أمر محمد ﷺ وصفته . وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَيَّسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ (٣٨٦) .

قال الواحدى : نزلت هذه الآية فى يهود المدينة ، أخذ الله ميثاقهم فى التوراة ليبين شأن محمد ﷺ ونعته ومبعثه ولا يخفونه ، وهو قوله تعالى : ﴿ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾ وقال الحسن : هذا ميثاق الله تعالى على علماء اليهود أن يبينوا للناس ما فى كتابهم ، وفيه ذكر رسول الله ﷺ وقوله ﴿ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ . قال ابن عباس : أى ألقوا ذلك الميثاق خلف ظهورهم ، ﴿ واشتروا به ثمنًا قليلًا ﴾ ، يعنى ماكانوا يأخذونه من سفلتهم برياستهم فى العلم ، وقوله : ﴿ فَبَيَّسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ . قال ابن عباس : قبح شراؤهم وخسروا وقال رسول الله ﷺ « من تعلم علماً مما يتفغى به وجه الله لا ياتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة » يعنى ربحها ، رواه أبو داود . وقد مر حديث أبى هريرة فى الثلاثة الذين يسحبون إلى النار ، أحدهم الذى يقال له : إنما تعلمت ليقال : عالم وقد قيل ، وقال ﷺ : « من ابتغى العلم ليباهى به العلماء أو ليمارى به السفهاء أو تقبل أفئدة الناس إليه ، فإلى النار » . وفى لفظ « أدخله الله النار » أخرجه الترمذى . وقال ﷺ : « من سئل عن علم

فكتمه أجمع يوم القيامة بلجام من نار» (٣٨٧)١. وكان من دعاء رسول الله ﷺ : « أعوذ بك من علم لا ينفع » (٣٨٨) . وقال ﷺ : « من تعلم علماً لم يعمل به لم يزد العلم إلا كبراً » (٣٨٩) . وعن أبي أمامة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يجاء بالعالم السوء يوم القيامة فيقذف في النار فيدور بقصبه كما يدور الحمار بالرحا فيقال له بم لقيت هذا وإنما اهتدينا بك ؟ فيقول : كنت أخالقكم إلى ما أنهاكم عنه » (٣٩٠) وقال هلال بن العلاء : طلب العلم شديد وحفظه أشد من طلبه ، والعمل به أشد من حفظه ، والسلامة منه أشد من العمل به ، فنسأل الله السلامة من كل بلاء والتوفيق لما يحب ويرضى ؛ إنه جواد كريم .

(موعظة) ابن آدم ! متى تذكر عواقب الأمور ؟ متى ترحل الرجال عن هذه القصور ؟ إلى متى أنت في جميع ماتبني تدور ؟ أين من كان من قبلكم في المنازل والدور ؟ أين من ظن بسوء تدييره أنه لايجور ؟ رحل والله الكل فاجتمعوا في القبور ؟ واستوطنوا أخشن المهاد إلى نفخ الصور ، فإذا قاموا إلى فصل القضاء والسماء تمور ، كشفوا الحجاب الخفى وهتك المستور ، وظهرت عجائب الأفعال وحُصِّل مافي الصدور ونصب الصراط فكم من قدم عثر ، ووضعت عليه كلاليب لخطف كل مغرور ، وأصبحت وجوه المتقين تشرق كالبدور ، وباءوا بتجارة لن تبور ، ودعا أهل الفجور بالويل والثبور ، وجيء بالنار تقاد بالأزمة وهى تفور ، إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقاً وهى تفور ، ليس في الدنيا لمن آمن بالبعث سرور ، إنما يفرح بالدنيا جهول أو كفور .

لنما الدنيا متاع كل ما فيها غرور
فتذكر هول يوم السما فيه تمور

(٣٨٧) أخرجه أصحاب السنن عن أبي هريرة ، وسنده صحيح .

(٣٨٨) أخرجه أحمد وغيره ، عن زيد بن أرقم . وسنده صحيح .

(٣٨٩) لم نقف عليه فيما بين أيدينا من مصادر .

(٣٩٠) أخرجه الشيخان عن أسامة بن زيد . ومعنى «قصبه» أمعاظه .

[الكبيرة التاسعة والثلاثون : الخيانة]

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٣٩١) .

قال الواحدى رحمه الله تعالى : نزلت هذه الآية فى أبى لبابة حين بعثه رسول الله ﷺ إلى بنى قريظة لما حاصروهم وكان أهله وولده فيهم ، فقالوا : يا أبى لبابة ماترى لنا إن نزلنا على حكم سعد فينا؟ فأشار أبو لبابة إلى حلقه أى أنه الذبح فلا تفعلوا ، فكانت تلك منه خيانة لله ورسوله . قال أبو لبابة : فما زالت قدماى من مكافى حتى عرفت أى خنت الله ورسوله ، وقوله : ﴿ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٣٩٢) عطف على النهى أى ولا تخونوا أماناتكم . قال ابن عباس : الأمانات : الأعمال التى ائتمن الله عليها العباد ، يعنى الفرائض يقول : لا تنقضوها . قال الكلبي : أما خيانة الله ورسوله فمعصيتهما ، وأما خيانة الأمانة : فكل واحد مؤتمن على ما افترضه الله عليه ، إن شاء خانها وإن شاء أداها لا يطلع عليه أحد إلا الله تعالى : وقوله (وأنتم تعلمون) أنها أمانة من غير شبهة ، وقال تعالى : ﴿ وَأَنْ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴾ (٣٩٣) ، أى لا يرشد كيد من خان أمانته يعنى أنه يفتضح فى العاقبة بحرمان الهداية ، وقال عليه الصلاة والسلام : « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان » (٣٩٤) وقال رسول الله ﷺ : « لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له » (٣٩٥) . والخيانة قبيحة فى كل شئ ، وبعضها شر من بعض ، وليس من خانك فى فلس كمن خانك فى أهلك ومالك وارتكب العظائم . وعن رسول الله ﷺ أنه قال : « أدّ الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك » (٣٩٦) . وفى الحديث أيضاً : « يطبع المؤمن على كل شئ ليس

(٣٩٢) الأنفال : ٢٧ .

(٣٩٤) سبق تخريجه .

(٣٩٥) أخرجه الطبرانى فى الأوسط ، وغيره عن أنس . وسنده صحيح .

(٣٩٦) أخرجه الحاكم وأبو داود عن أنس هروية . وسنده صحيح .

(٣٩١) الأنفال : ٢٧ .

(٣٩٣) يوسف : ٥٢ .

الخيانة والكذب» (٣٩٧) . وقال رسول الله ﷺ : « يقول الله أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه » (٣٩٨) ، وفيه أيضاً « أول ما يرفع من الناس الأمانة ، وآخرها ما يقى الصلاة ، ورب مصل لا خير فيه » (٣٩٩) وقال رسول الله ﷺ « إياكم والخيانة فإنها بثست البطانة » وقال عليه الصلاة والسلام « هكذا أهل النار وذكر منهم رجلا لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانه » (٤٠٠) . وقال ابن مسعود « يؤتى يوم القيامة بصاحب الأمانة الذى خان فيها فيقال له : أد أمانتك ، فيقول : أنى يارب وقد ذهبت الدنيا ؟ قال فتمثل له كهيتها يوم أخذها فى قعر جهنم ، ثم يقال له انزل إليها فأخرجها ، قال فينزل إليها فيحملها على عاتقه فهي عليه أثقل من جبال الدنيا ، حتى إذا ظن أنه ناجى هوت وهوى فى أثرها أبد الآبدين . ثم قال : الصلاة أمانة ، والوضوء أمانة والغسل أمانة ، والوزن أمانة ، والكيل أمانة ، وأعظم ذلك الودائع » .

اللهم عاملنا بلطفك وتداركنا بعفوك .

(موعظة) عباد الله ! ما أشرف الأوقات وقد ضيعتموها ، وما أجهل النفوس وقد أطعمتموها ، وما أدق السؤال عن الأموال فانظروا كيف جمعتموها . وما أحفظ الصباحف بالأعمال فتدبروا ما أودعتموها ، قبل الرحيل عن القليل والمناقشة عن النقيير والفتيل (٤٠١) ، قبل أن تنزلوا بطون اللحد ، وتصيروا طعاماً للددود فى بيت بابة مسدود ، ولو قيل فيه للعاصى : ماتتخار لقال أعود ولا أعود . أين أهل الديار من قوم نوح ثم عاد من بعدهم وثمود بينما القوم فى الثمارق والاستب رق أفضت إلى التراب الخدود وصحيح أضحى يعود مريضاً وهو أدنى للموت ممن يعود

(٣٩٧) أخرجه البيهقى فى الشعب عن أبى أمامة .

(٣٩٨) أخرجه الترمذى عن أبى هريرة ، وسنده ضعيف .

(٣٩٩) أخرجه الحكيم الترمذى عن زيد بن ثابت . وسنده حسن .

(٤٠٠) أخرجه أحمد عن عياض بن حمار . وسنده صحيح .

(٤٠١) النقيير : النقرة فى ظهر نواة النخلة . والفتيل : الخيط الذى فى شق النواة .

[الكثيرة الأربعون : المتان]

قال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ (٤٠٢) .

قال الواحدى : هو أن يمن بما أعطى ، وقال الكلبي بالمن على الله فى صدقته والأذى لصاحبها ، وفى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : « ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكهم ولهم عذاب أليم : المسبل ، والمنان ، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب » . المسبل : هو الذى يسبل إزاره أو ثيابه أو قميصه أو سراويله حتى تكون إلى القدمين ؛ لأنه ﷺ قال : « ما أسفل من الكعبين من الإزار فهو فى النار » (٤٠٣) وفى الحديث أيضاً : « ثلاثة لا يدخلون الجنة : العاق لوالديه ، والمدمن الخمر ، المنان » رواه النسائي . وفيه أيضاً : « لا يدخل الجنة خب ولا بخيل لا منان » (٤٠٤) والخب هو المكر والخديعة ، والمنان هو الذى يعطى شيئاً أو يتصدق به ثم يمن به . وجاء عن النبى ﷺ أنه قال : « إياكم والمن بالمعروف ، فإنه يطل الشكر ويمحق الأجر » (٤٠٥) ، ثم تلا رسول الله ﷺ قول الله عز وجل ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ (٤٠٦) . وسمع ابن سيرين رجلاً يقول لآخر أحسنت إليك وفعلت وفعلت . فقال له ابن سيرين اسكت فلا خير فى المعروف إذا أحصى . وكان بعضهم يقول من من بمعرفه سقط شكره ، من أعجب بعمله حبط أجره . وأنشد الشافعى رحمه الله تعالى :

لا تحملن من الأنعام . بأن يمنوا عليك منه
واختر لنفسك حظها . واصبر فإن الصبر جنة
منن الرجال على القلوب . أشد من وقع الأسنة (٤٠٧)

(٤٠٣) أخرجه البخارى عن أبى هريرة .

(٤٠٢) البقرة : ٢٦٤ .

(٤٠٤) أخرجه أحمد عن أبى بكر . والخب : هو الخادع .

(٤٠٥) لم تقف عليه فيما بين أيدينا من مصادر .

(٤٠٧) جنة : وقاية ، والأسنة : جمع سنان وهو الرمح .

(٤٠٦) البقرة : ٢٦٥ .

وأنشد أيضاً بعضهم فقال :

وصاحب سلفت منه إلى يد أبطأ عليه مكافاتي فعاداني
لما تيقن أن الدهر حاربنى أبدى الندامة مما كان أولاني
أفسدت بالمن ما قدمت من حسن ليس الكريم إذا أعط بمنان

(موعظة) يامبادراً بالخطايا ما أجهلك ! إلى متى تغتر بالذى أمهلك ،
كأنه قد أهملك ؟ فكأنك بالموت وقد جاء بك وأنهلك ، وإذا الرحيل وقد أفرعك
الملك ، وأسرك البلاء بعد الهوى وعقلك ، وندمت على وزر عظيم قد أثقلك .
يامطمئناً بالفاني ما أكثر ذلك ، ويا معرضاً عن النصيح كأن النصيح ما قيل لك ،
أين حبيبك الذى كان وأين انتقل ؟ أما وعظك التلف فى جسده والمقل ، أين
كثير المال ، أين طويل الأمل ، أما خلا وحده فى لحده بالعمل . أين من جر ثوبه
الخيلاء غافلاً ورغل ؟ أما سافر به وإلى الآن ما وصل ، أين من تنعم فى قصره
فكأنه فى الدنيا ما كان وفى قبره لم يزل أين من تفوق واحتفل ! غاب والله نجم
سعوده وأفل . أين الأكاسرة والجبابرة العتاة الأول ، ملك أموالهم سواهم والدنيا
دول .

[الكيرة الحادية والأربعون : التكذيب بالقدر]

قال الله تعالى : ﴿ إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴾^(٤٠٨) . قال ابن الجوزى
فى تفسيره : فى سبب نزولها قولان : أحدهما أن مشركى مكة أتوا رسول الله صلى
الله تعالى عليه وآله وسلم يخاصمونهم فى القدر فنزلت هذه الآية . انفرد بإخراجه
مسلم وروى أبو أمامة أن هذه الآية فى القدرية . والقول الثانى أن أسقف نجران
جاء إلى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد تزعم أن المعاصي بقدر وليس كذلك
فقال ﷺ : « أنتم خصماء الله »^(٤٠٩) فنزلت هذه الآية :

(٤٠٨) القمر : ٤٩ .

(٤٠٩) عزاه السيوطى لابن مردويه .

﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسَّعٍ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى
وُجُوهِهِمْ ذُقُوا مَسَّ سَقَرٍ . إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ (٤١٠) .

وروى عمر بن الخطاب عن رسول الله ﷺ قال : « إذا جمع الله الأولين
والآخرين يوم القيامة أمر منادياً فنادى نداء يسمعه الأولون والآخرون : أين
خصماء الله ؟ فتقوم القدرية فيؤمر بهم إلى النار » (٤١١) . يقول الله ﷻ ذوقوا
مس سقر إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴾ (٤١٢) ، وإنما قيل لهم خصماء الله لأنهم
يخاصمون في أنه لا يجوز أن يقدر المعصية على العبد ثم يعذبه عليها . وروى هشام
بن حسام عن الحسن قال : والله لو أن قدري صام حتى يصير كاللؤلؤ ، ثم صلى
حتى يصير كالوتر لكبه الله على وجهه في سقر ، ثم قيل له ذق مس سقر إنا كل
شيء خلقناه بقدر .

وروى مسلم في صحيحه من حديث ابن عمر قال ، قال رسول الله
ﷺ : « كل شيء بقدر حتى العجز والكيس » . وقال ابن عباس كل شيء
خلقناه بقدر مكتوب في اللوح المحفوظ قبل وقوعه ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ
خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (٤١٣) قال ابن جرير : فيها وجهان ، أحدهما : أن تكون
بمعنى المصدر فيكون المعنى : والله خلقكم وعملكم والثاني : أن تكون بمعنى
الذي فيكون المعنى : والله خلقكم وخلق الذي تعملونه بأيديكم من الأصنام ،
وفي هذه الآية دليل على أن أفعال العباد مخلوقة . والله أعلم . وقال الله تعالى :
﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ (٤١٤) ، الإلهام : إيقاع الشيء في النفس قال سعيد
بن جبير : ألزمها فجورها وتقواها . وقال ابن زايد : جعل ذلك فيها بتوقيفه إياها
للتقوى وخذلانه إياها للفجور . والله أعلم . وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه
قال : « إن الله من على قوم فألهمهم الخير فأدخلهم في رحمته ، وابتلى قوما
فدخلهم وذمهم على أفعالهم ولم يستطيعوا غير ما ابتلاهم فعذبهم وهو

(٤١١) أخرجه الطبراني في الأوسط ، وسنده ضعيف .

(٤١٣) الصافات : ٩٦ .

(٤١٠) القمر : ٤٧ - ٤٩ .

(٤١٢) القمر : ٤٩ .

(٤١٤) الشمس : ٨ .

عادل» (٤١٥) ﴿لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ (٤١٦). وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : « مابعث الله نبياً قط وفي أمته قدرية ومرجئة ، إن الله لعن القدرية والمرجئة على لسان سبعين نبياً » (٤١٧). وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « القدرية مجوس هذه الأمة » (٤١٨) ، وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال ، قال رسول الله ﷺ : « لكل أمة مجوس ومجوس هذه الأمة الذين يزعمون أن لا قدر ، وأن الأمر أنف قال : فإذا لقيتهم فأخبرهم ألى منهم برىء وأنهم برآء منى » ثم قال : « والذى نفسى بيده لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه فى سبيل الله ما قبل حتى يؤمن بالقدر خيره وشره » ثم ذكر حديث جبريل وسؤاله النبى ﷺ قال : ما الإيمان ؟ قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن بالقدر خيره وشره » (٤١٩).

قوله : « أن تؤمن بالله » الإيمان بالله هو التصديق بأنه سبحانه وتعالى موجود موصوف بصفات الجلال والكمال ، منزه عن صفات النقص ، وأنه فرد صمد خالق جميع المخلوقات ، متصرف فيها بما يشاء فى ملكه ما يريد . والإيمان بالملائكة هو التصديق بعبوديتهم لله :

﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ . يَعْلَمُ مَا تَدِينُ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ (٤٢٠).

والإيمان بالرسول هو التصديق بأنهم صادقون فيما أخبروا به عن الله تعالى أيدهم الله بالمعجزات الدالة على صدقهم ، وأنهم بلغوا عن الله تعالى رسالاته

(٤١٥) لم نقف عليه فيما بين أيدينا من مصادر .

(٤١٦) الأنبياء : ٢٣ .

(٤١٧) حديث ضعيف .

(٤١٨) أخرجه الحاكم وأبو داود .

(٤١٩) أخرجه مسلم ، والترمذى ، عن ابن عمر ، مع اختلاف فى اللفظ .

(٤٢٠) الأنبياء : ٢٦ - ٢٨ .

ويعتبرون للمكلفين ما أمرهم الله به ، وأنه يجب احترامهم ، وأن لا يفرق بين أحد منهم .

والإيمان باليوم الآخر هو التصديق بيوم القيامة وما اشتمل عليه من الإعادة بعد الموت والنشر والحشر والحساب والميزان والصراف والجنة والنار ، وأنهما دار ثوابه وعقابه للمحسنين والمسيئين إلى غير ذلك مما صح به النقل . والإيمان بالقدر : هو التصديق بما تقدم ذكره ، وحاصله ما دل عليه قوله سبحانه ﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾ وقوله ﴿ إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴾ ، ومن ذلك قوله ﷺ في حديث ابن عباس : « واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف » (٤٢١) .

ومذهب السلف وأئمة الخلف أن من صدق بهذه الأمور تصديقاً جازماً لا ريب فيه ولا تردد كان مؤمناً حقاً ، سواء كان ذلك عن براهين قاطعة أو اعتقادات جازمة والله أعلم .

(فصل) أجمع سبعون رجلاً من التابعين وأئمة المسلمين والسلف وفقهاء الأمصار على أن السنة التي توفي عليها رسول الله ﷺ أولها : الرضا بقضا الله وقدره ، والتسليم لأمره ، والصبر تحت حكمه والأخذ بما أمر الله به ، والنهي عما نهى الله عنه ، وإخلاص العمل لله ، والإيمان بالقدر خيره وشره ، وترك المراء والجدال والخصومات في الدين ، والمسح على الخفين ، والجهاد مع كل خليفة برا وفاجراً ، والصلاة على من مات من أهل القبلة .

والإيمان : قول وعمل ونية ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، والقرآن كلام الله ، نزل به جبريل على نبيه محمد ﷺ غير مخلوق ، والصبر تحت لواء السلطان على ما كان منه من عدل أو جور ، ولا نخرج على الأمراء بالسيف وإن جاروا ، ولا

(٤٢١) أخرجه الحاكم عن ابن عباس ، وسنده صحيح .

نكفر أحداً من أهل القبلة وإن عمل بالكبائر إلا إن استحلوها ؛ ولا نشهد لأحد من أهل القبلة بالجنة لخير أتي به إلا من شهد له النبي ﷺ ، والكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ . وأفضل الخلق بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم على رضى الله عنهم أجمعين وترحم على جميع أزواج النبي ﷺ وأولاده وأصحابه رضى الله عنهم أجمعين .

(فائدة) فيها من كلام الناس ما هو كفر صرحت به العلماء منها : مالو سخر باسم من أسماء الله أو بأمره أو وعده أو وعيده ، كفر ، ولو قال : لو أمرني الله بكذا ما فعلت كفر ، ولو صارت القبلة في هذه الجهة ماصليت إليها ، كفر . ولو قيل له : لا ترك الصلاة فإن الله يؤاخذك فقال لو أخذني بها مع ما في من المرض والشدة لظلمني كفر . ولو قال : لو شهدت عندى الأنبياء والملائكة بكذا ما صدقت كفر . لو قيل له : قلم أظافرك فإنها سنة ، فقال : لا أفعل وإن كانت سنة ، كفر . ولو قال : فلان في عيني كاليهودى كفر . ولو قال : إن الله جلس للإنصاف أو قام للإنصاف ، كفر . وجاء في وجه : من قال لمسلم : لا ختم الله لك بخير أو سلبك الإيمان ، كفر . وجاء أيضا أن من طلب يمين إنسان فأراد أن يحلف بالله فقال أريد أن تحلف بالطلاق كفر . واختلفوا في من قال : رؤيتى لك كروية الموت فقال بعضهم ، يكفر . ولو قال لو كان فلان نبياً ما آمنت به ، كفر . ولو قال : إن كان ما قاله صدقاً نجونا ، كفر : ولو صلى بغير وضوء استهزاء أو استحلالاً ، كفر . ولو تنازع رجلان فقال أحدهما : لاحول ولا قوة إلا بالله فقال له الآخر : لاحول ولا قوة إلا بالله لا تغنى من جوع ، كفر . ولو سمع أذان المؤذن فقال : إنه يكذب ، كفر : ولو قال : لأخاف القيامة ، كفر . ولو وضع متاعه فقال : سلمته إلى الله فقال له رجل : سلمته إلى من لا يتبع السارق ، كفر . ولو جلس رجل على مكان مرتفع تشبهاً بالخطيب ، فسألوه المسائل وهم يضحكون أو قال أحدهم : قصعة ثريد خير من العلم ، كفر . ولو ابتلى بمصائب فقال : أخذت مالى وولدى وماذا نفعل ، كفر . ولو

ضرب ولده أو غلامه فقال له رجل : ألسنت بمسلم ؟ فقال : لا — متعمداً — كفر . ولو تمنى أن لا يحرم الله الزنا أو القتل أو الظلم ، كفر . ولو شد على وسطه حبلاً فسئل عنه فقال : هذا زنا فالأكثر على أنه يكفر . ولو قال معلم الصبيان : اليهود خير من المسلمين ، لأنهم يعطون معلمى صبيانهم ، كفر ولو قال : النصراني خير من المجوسى ، كفر . ولو قيل لرجل : ما الإيمان ؟ فقال : لا أدري ، كفر . ومن ذلك ألفاظ مستكرهة مستنكرة وهى : لادين لك ، لا إيمان لك ، لايقين لك ، أنت فاجر ، أنت منافق ، أنت زنديق . أنت فاسق ، ومن ذا وأشباهه كله حرام ويخشى على العبد بها سلب الإيمان والخلود فى النار .

فسأل الله المنان بلطفه أن يتوفانا مسلمين على الكتاب والسنة ، إنه أرحم الراحمين .

(موعظة) عباد الله ! أين الذين كنزوا الكنوز وجمعوا ؛ وثملوا من الشهوات وشبعوا ، وأملوا البقاء فما نالوا فيها ماطمعوا ، وفنيت أعمارهم بما غروا به وخدعوا ؟ نصب لهم شيطانهم أشراك الهوى فوقعوا ، وجاءهم ملك الموت فذلوا وخضعوا ، وأخرجهم من ديارهم فلا والله مارجعوا ، فهم مفترقون فى القبور فإذا نفخ فى الصور اجتمعوا .

وكيف قرت لأهل العلم أعينهم	أو استلذوا لذيد العيش أو هجعوا
والموت ينذرهم جهراً علانية	لو كان للقوم أسمع لقد سمعوا
والنار ضاحية لا بد مورد لهم	وليس يدرون من ينجو ومن يقع
قد أمست الطير والأنعام آمنة	والنون فى البحر لا يخشى لها فرع
والآدمى بهذا الكسب مرتين	له رقيب على الأسرار يطلع
حتى يرى فيه يوم الجمع منفرداً	وخصمه الجلد والأبصار والسمع
وإذ يقومون والأشهاد قائمة	والجن والإنس والأملأك قد خشعوا
وطارت الصحف فى الأيدى منشرة	فيها السرائر والأخبار تطلع
فكيف بالناس والأنباء واقفة	عما قليل وماتدرى بما تقع

أفى الجنان وفوز لا انقطاع له أم فى الجحيم فلا تبقى ولا تدع
تهوى بسكانها طوراً وترفعهم إذا رجوا مخرجاً من غمها قمعوا
طال البكاء فلم ينفع تضرعهم هيات لأرقية تغنى ولا جزع

[الكيرة الثانية والأربعون : التسمع على الناس وما يسرون]

قال الله تعالى : ﴿ ولا تجسسوا ﴾ قال ابن الجوزى — رحمه الله — قرأ
أبو زيد والحسن والضحاك وابن سيرين بالحاء . قال أبو عبيدة : التجسس
والتجسس واحد — وهو البحث — ومنه الجاسوس . وقال يحيى بن أبى كثير :
التجسس — بالجيم — عن غورات الناس ، وبالحاء : الاستماع لحديث القوم .
قال المفسرون : التجسس البحث عن عيب المسلمين وغوراتهم . فالمعنى : لا
يبحث أحدكم عن عيب أخيه ليطلع عليه إذ ستره الله . وقيل لابن مسعود : هذا
الوليد بن عتبة تقطر لحيته خمراً . قال : إنا نهينا عن التجسس ، فإن يظهر لنا
شئ نأخذ به .

وقال رسول الله ﷺ : « من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون
صب فى أذنيه الآنك يوم القيامة » . أخرجه البخارى . والآتك : الرصاص
المذاب . نعوذ بالله منه ، ونسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى ؛ إنه جواد كريم .

(موعظة) عباد الله ! إن المنايا قد دقت واقتربت ، فالنفوس رهينة قد
جمعت وتعبت كأنكم بأكف الردى قد أخذت ونسلبت ، رب شمس طالعة على
القبر قد غربت ، يافراخ الفنا ! فحاخ البلى قد نصبت ، عباد الله : كل المعاصى
قد سطرت وكتبت ، والنفوس رهينة ، بما جنت واكتسبت ، لها ما كسبت وعليها
ما اكتسبت : يامن يغتر بالأمانى والآمال الكواذب ، ومبارز بالقبايح وما يدرى من
يحارب ، يا حاضر البدن غير أن القلب غائب ، أرضيت أن تفوتك الخيرات
والرغائب ؟ يامن عمره يفنى فى عمره ويسرى كالنجائب ، يامن شاب وما تاب
هذا من العجائب ، ياعجباً كيف نام المطلوب وما غفل الطالب ؟!

[الكيرة الثالثة والأربعون : التمام]

وهو من ينقل الحديث بين الناس على جهة الإفساد بينهم . هذا بيانها :
وأما أحكامها فهي حرام بإجماع المسلمين ، وقد تظاهرت على تحريمها
الدلائل الشرعية من الكتاب والسنة ، قال الله تعالى :
﴿ وَلَا تُطِيعُ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ هَمَّا زِمَ شَاءَ بَنِيمٍ ﴾ (٤٢٢) .

وفى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « لا يدخل الجنة غمام » وفى
الحديث أن رسول الله ﷺ مر بقبرين قال : « إنهما ليعذبان يوماً وما يعذبان
فى كبير ، أما أنه كبير . أما أحدهما فكان لا يستبرئ من بوله ، وأما الآخر
فكان يمشى بالثيمة ، ثم أخذ جريدة رطبة فشطبها اثنتين وغرز فى كل قبر
واحدة ، وقال : لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا » (٤٢٣) .

وقوله : وما يعذبان فى كبير أى ليس بكبير تركه عليهما ، أو ليس بكبير فى
زعمهما ولهذا قال فى رواية أخرى : « بلى إنه كبير » وعن أبى هريرة رضى الله عنه .
قال ، قال رسول الله ﷺ : « تجدون شر الناس ذا الوجهين الذى يأتى هؤلاء
بوجه وهؤلاء بوجه ومن كان ذا لسانين فى الدنيا فإن الله يجعل له لسانين من
نار يوم القيامة » (٤٢٤) . ومعنى كان ذا لسانين أى يتكلم مع هؤلاء بكلام
وهؤلاء بكلام وهو بمعنى صاحب الوجهين قال الإمام أبو حامد الغزالي — رحمه
الله — : إنما تطلق فى الغالب على من ينم قول الغير إلى المقول فيه بقوله : فلان
يقول فىك كذا . وليست الثيمة مخصوصة بذلك بل حدها كشف ما يكره
كشفه ، سواء كره المنقول عنه أو المنقول إليه أو ثالث ، وسواء أكان الكشف
بالقول أو الكتابة أو الرمز أو الإيماء أو نحوها ، وسواء كان من الأقوال أو
الأعمال ، وسواء كان عيباً أو غيره . فحقيقة الثيمة إفشاء السر وهتك الستر
عما يكره كشفه وينبغي للإنسان أن يسكت عن كل ما رآه من أحوال الناس إلا

(٤٢٣) سبق تحريمه .

(٤٢٢) القلم : ١٠ — ١١ .

(٤٢٤) أخرجه الشيخان وغيرهما .

ما في حكايته فائدة للمسلمين أو دفع معصية . قال : وكل من حملت إليه نعمة وقيل له : قال فيك فلان كذا وكذا لزمه ستة أحوال : (الأول) : أن لا يصدقها لأنه « نمام » فاسق وهو مردود الخبر . (الثاني) : أن ينهيه عن ذلك وينصحه ويقبح فعله . (الثالث) : أن يبغضه في الله عز وجل ، فإنه يبغض عند الله والبغض في الله واجب . (الرابع) : أن لا يظن في المنقول عنه السوء ، لقوله تعالى : ﴿ اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ﴾ . (الخامس) : أن لا يحمله ما حكى له على التجسس والبحث عن تحقق ذلك ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ ولا تجسسوا ﴾ . (السادس) : أن لا يرضى لنفسه ما نهى العمام عنه فلا يحكى نميمته . وقد جاء أن رجلاً ذكر لعمر بن عبد العزيز رجلاً بشيء فقال عمر : يا هذا إن شئت نظرنا في أمرك . فإن كنت صادقاً فأنت من أهل هذه الآية ﴿ إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ﴾ ، وإن كنت كاذباً فأنت من أهل هذه الآية ﴿ هماز مشاء بنميم ﴾ ، وإن شئت عفونا عنك . فقال : العفو يأمر المؤمنين ، لأعود إليه أبداً .

ورفع إنسان رقعة إلى صاحب بن عباد — رحمه الله — يخفه فيها على أخذ مال اليتيم ، وكان له مال كثير ، فكتب على ظهر الرقعة : التهمة قبيحة وإن كانت صحيحة ، والميت رحمه الله ، واليتيم جبره الله ، والمال ثمره الله ، والساعي لعنه الله .

وقال الحسن البصري : من نقل إليك حديثاً فاعلم أنه ينقل إلى غيرك حديثك وهذا مثل قول الناس : من نقل إليك نقل عنك فاحذره . وقال ابن المبارك : ولد الزنا لا يكتفم الحديث أشار به إلى أن كل من لا يكتفم الحديث ومشى بالتهمة دل على أنه ولد الزنا ، استنباطاً من قول الله تعالى : ﴿ عتق بعد ذلك زينم ﴾ ، والزينم هو الدعي .

وروى أن بعض السلف الصالحين زار أخاً له ، وذكر له عن بعض إخوانه شيئاً يكرهه ، فقال له : يا أخي أطلت الغيبة وأتيتني بثلاث جنائيات : بغضت

إلى أخى ، وشغلت قلبى بسببه ، واتهمت نفسك الأمانة . كان بعضهم يقول : من أخبك بشتم عن أخيك فهو الشاتم لك . وجاء رجل إلى على بن الحسين رضى الله عنهما فقال : إن فلاناً شتمك وقال عنك كذا وكذا ، فقال : اذهب بنا إليه ، فذهب معه وهو يرى أنه ينتصر لنفسه ، فلما وصل إليه قال ، يا أخى إن كان ماقلت فى حقاً فغفر الله لى ، وإن كان ماقلت فى باطلا فغفر الله لك . وقيل فى قوله الله تعالى : ﴿ حمالة الحطب ﴾ يعنى امرأة أوى لهب ، لأنها كانت تنقل الحديد بالثيمة . سمى الثيمة حطباً لأنها سبب العداوة ، كما أن الحطب سبب لاشتعال النار . ويقال عمل التمام أضر من عمل الشيطان لأن عمل الشيطان بالوسوسة وعمل التمام بالمواجهة . .

(حكاية) روى أن رجلاً رأى غلاماً يباع وهو ينادى عليه : ليس به عيب إلا أنه تمام فقط ، فاستخف بالعب واشتراه ، فمكث عنده أياماً ثم قال لزوجته سيده : إن سيدى يريد أن يتزوج عليك أو يتسرى ، وقال : إنه لايجبك فإن أردت أن يعطف عليك ويترك ما عزم عليه فإذا نام فخذى موسى واحلقى شعرات من تحت لحيته وتركى الشعرات معك ، فقالت فى نفسها : نعم . واشتغل قلب المرأة ، وعزمت على ذلك إذا نام زوجها ، ثم جاء إلى زوجها وقال سيدى : إن سيدتى زوجتك قد اتخذت لها صديقاً ومحباً غيرك ومالت إليه ، وتريد أن تخلص منك ، وقد عزمت على ذبحك الليلة ، وإن لم تصدقنى فتناوم لها الليلة وانظر كيف تحبى إليك وفى يدها شئ تريد أن تذبحك به ، وصدقه سيده . فلما كان الليل جاءت المرأة بالموسى لتحلق الشعرات من تحت لحيته والرجل يتناوم لها فقال فى نفسه : والله صدق الغلام بما قال : فلما وضعت المرأة الموسى وأهوت إلى حلقه قام وأخذ الموسى منها وذبحها به ، فجاء أهلها فرأوها مقتولة فقتلوه ، فوقع القتال بين الفريقين بشؤم ذلك العبد المشؤم . فلذلك سمى الله التمام فاسقاً فى قوله تعالى :

﴿ إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا

فَعَلَّمْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٤٢٥﴾ .

(موعظة) يامن أسرو الهوى فما يستطيع له فكاكاً ، ياغافلا عن التلف
وقد أدركه إدراكاً ، يامغروراً بسلامته وقد نصب له الموت أشراكاً ، تفكر في
ارتحالك وأنت على حالك ؛ فإن لم تبك فتباكى .

بكيت فما تبكى شباب صباكا	كفاك نذير الشيب فيك كفاكا
ألم تر أن الشيب قد قام ناعياً	مكان الشباب الغض ثم نعاكا
ألم تر يوماً مر إلا كأنه	بإهلاكه للهاكين عناكا
ألا أيها الفانى وقد حان حينه	أتطمع أن تبقى فلست هناكا
ستمضى ويبقى ماتراه كما ترى	فينساك ماخلفته ، هو ذاكا
تموت كما مات الذين نسيتم	وتنسى ويهوى الحى بعد هواكا
كأنك قد أقصيت بعد تقرب	إليك وإن بك عليك بكاكا
كأن الذى يحشو عليك من الثرى	يريد بما يحشو عليك رضاكا
كأن خطوط الدهر لم تجر ساعة	عليك إذا الخطب الجليل أتاكا
ترى الأرض كم فيها رهون دفيئة	غلغن فلم يقبل لهن فكاكا

[الكبيرة الرابعة والأربعون : اللعان]

قال النبى ﷺ : « سياب المسلم فسوق وقاتله كفر »^(٤٢٦) . وقال
ﷺ : « لعن المؤمن كقتله » أخرجه البخارى . وفى صحيح مسلم عن رسول
الله ﷺ أنه قال « لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة » . وقال
عليه الصلاة والسلام : « لا ينبغي لصديق أن يكون لعاناً »^(٤٢٧) . وفى الحديث
« ليس المؤمن بطعان ولا بلعان ولا بالفاحش ولا بالبذىء »^(٤٢٨) والبذىء :

(٤٢٥) الحجرات : ٦ .

(٤٢٦) أخرجه الشيخان عن ابن مسعود .

(٤٢٧) به البخارى فى الأدب ، ومسلم ، عن أبى هريرة .

(٨) أخرجه البخارى فى الأدب عن ابن مسعود .

هو الذى يتكلم بالفحش وردىء الكلام . وعن رسول الله ﷺ قال : « إن العبد إذا لعن شيئاً صعدت اللعنة إلى السماء فتغلق أبواب السماء دونها ، ثم تهبط إلى الأرض فتغلق أبوابها دونها ، ثم تأخذ يميناً وشمالاً ، فإذا لم تجد مسأغاً رجعت إلى الذى لعن إن كان أهلاً لذلك ، وإلا رجعت إلى قائلها » (٤٢٩) وقد عاقب النبى ﷺ من لعنت ناقته بأن سلبها إياها ، قال عمران بن حصين : بينما رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره وامرأة من الأنصار على ناقة فضجت فلعتها ، فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال « خذوا ما عليها ودعوها فإنها ملعونة » قال عمران : فكأنى أنظر إليها الآن تمشى فى الناس ما يعرض لها أحد . أخرجه مسلم . وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « إن أرى الربا استطالة المرء فى عرض أخيه المسلم » (٤٣٠) ، وعن عمرو بن قيس قال : إذا ركب الرجل دابته قالت : اللهم اجعله بى رفيقاً رحيماً ، فإذا لعنها قالت على أعصائها الله ورسوله لعنة الله عز وجل .

(فصل) فى جواز لعن أصحاب المعاصى غير المعينين المعروفين قال الله تعالى : ﴿ أَلَا لعنة الله على الظالمين ﴾ (٤٣١) . وقال ﴿ ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ﴾ (٤٣٢) ، وثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لعن الله آكل الربا وموكله وشاهده وكاتبه » (٤٣٣) . وأنه قال : « لعن الله المحلل والمحلل له » (٤٣٤) وأنه قال : « لعن الله الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة » (٤٣٥) فالواصلة هى التى تصل شعرها ، والمستوصلة هى التى يوصل لها ، والنامصة : هى التى تنتف الشعر من الحاجبين ، والمتنمصة التى يفعل بها ذلك . وأنه ﷺ لعن الصالقة والحالقة والشاقة . فالصالقة : هى التى ترفع صوتها عند المصيبة ، والحالقة هى التى تحلق شعرها عند المصيبة ،

(٤٢٩) أخرجه الترمذى عن أبى الدرداء ، وسنده حسن .

(٤٣٠) أخرجه أبو داود عن سعيد بن زيد .

(٤٣١) هود : ١٨ .

(٤٣٢) أخرجه مسلم عن جابر .

(٤٣٣) أخرجه البخارى .

(٤٣٤) أخرجه أبو داود عن علي ، وسنده صحيح .

(٤٣٥) أخرجه البخارى .

والشاقة هي التي تشق ثيابها عند المصيبة وأنه ﷺ لعن المصورين ، وأنه لعن من غير منار الأرض أى حدودها ، وأنه قال « لعن الله من لعن والديه ، ولعن من سب أمه » وفي السنن أنه قال « لعن الله من أضل أعمى عن الطريق ولعن الله من أتى بهيمة ، ولعن من عمل عمل قوم لوط » وأنه لعن من أتى كاهناً ، أو أتى امرأة في دبرها ، ولعن النائحة ومن حولها ، ولعن من أمّ قوماً وهم له كارهون ، ولعن الله امرأة باتت وزوجها عليها ساخط ، ولعن رجلاً سمع حى على الصلاة ، حى على الفلاح ثم لم يجب ، ولعن من ذبح لغير الله ، ولعن السارق ، ولعن من سب الصحابة ، ولعن الخثثين من الرجال والمترجلات من النساء . ولعن المشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال ولعن المرأة تلبس لبسة الرجل والرجل يلبس لبسة المرأة ، ولعن من سل سخيمته على الطريق ، يعنى تغوط على طريق الناس ، ولعن من خبّب امرأة على زوجها أو مملوكاً على سيده — يعنى أفسدها أو أفسده — ولعن من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها ، ولعن من أشار إلى أخيه بحديدة ولعن مانع الصدقة يعنى الزكاة ، ولعن من انتسب إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه ، ولعن من كوى دابة في وجهها ، ولعن الشافع والمشفع في حد من حدود الله ، إذا بلغ الحاكم ، ولعن المرأة إذا خرجت من دارها بغير إذن زوجها ، ولعن إذا باتت هاجرة فراش زوجها حتى ترجع ، ولعن تارك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا أمكنه ولعن الفاعل والمفعول به — يعنى اللواط — ولعن الخمرة وشاربها وساقيا ومستقيا وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وأكل ثمنها والدال عليها . وقال ﷺ : « ستة لعنتهم لعنهم الله وكل نبي مجاب الدعوة : المكذب بقدر الله ، والزائد في كتاب الله ، والمتسلط بالجبروت ليعز من أذل الله ويذل من أعزه الله ، والمستحل لحرم الله ، والمستحل من عترتي محرم الله ، والتارك لستى »^(٢٣٦) . ولعن الزاني بامرأة جاره ، ولعن ناكح يده ، ولعن ناكح الأم وبتها ، ولعن الراشئ والمرثئ في

(٤٣٦) أخرجه الحاكم عن عائشة ، وسنده ضعيف .

الحكم والرائش يعنى الساعى بينهما ، ولعن من كتم العلم ، ولعن المحتكر ، ولعن من أخفر مسلماً يعنى خذله ولم ينصره ، ولعن الوالى إذا لم يكن فيه رحمة ، ولعن المتبتلين من الرجال الذين يقولون لانتزوج ، والمتبتلات من النساء ، ولعن راكب الفلاة وحده ، ولعن من أتى بهيمة . نعوذ بالله من لعنته ولعنة رسوله .

(فصل) اعلم أن لعن المسلم المصون حرام بإجماع المسلمين ، ويجوز لعن أصحاب الأوصاف المذمومة كقولك : لعن الله الظالمين ، لعن الله الكافرين ، لعن الله اليهود والنصارى ، لعن الله الفاسقين ، لعن الله المصورين ، ونحو ذلك كما تقدم ، وأما لعن إنسان بعينه ممن اتصف بشيء من المعاصى ، كيهودى أو نصرانى أو ظالم أو زان أو سارق أو آكل ربا ، فظواهر الأحاديث أنه ليس بحرام ، وأشار الغزالى — رحمه الله — إلى تحريمه إلا فى حق من علمنا أنه مات على الكفر ، كأبى لهب وأبى جهل وفرعون وهامان وأشباههم ، قال : لأن اللعن هو الإبعاد عن رحمة الله وما ندرى ما يجتم به لهذا الفاسق والكافر . قال : وأما الذين لعنهم رسول الله ﷺ بأعيانهم كما قال « اللهم العن رجلاً وذكوان وعصية عصوا الله ورسوله »^(٤٣٧) وهذه ثلاث قبائل من العرب ، فيجوز أنه ﷺ علم موتهم على الكفر ، قال : ويقرب من اللعن الدعاء على الإنسان بالشر حتى الدعاء على الظالم كقول الإنسان : لا أصح الله جسمه ولا سلمه الله ، وما جرى مجراه وكل ذلك مذموم ، وكذلك لعن جميع الحيوانات والجمادات فهذا كله مذموم ، قال بعض العلماء : من لعن من لا يستحق اللعن فليبادر بقوله : إلا أن يكون لا يستحق .

(فصل) ويجوز للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وكل مؤدب أن يقول لمن يخاطبه فى ذلك : ويلك ، أو يا ضعيف الحال ، أو يا قليل النظر لنفسه ، أو يا ظالم نفسه ، أو ما أشبه ذلك ، بحيث لا يتجاوز إلى الكذب ، ولا يكون فيه لفظ قذف صريح أو كناية أو تعريض ولو كان صادقاً فى ذلك . وإنما يجوز

(٤٣٧) أخرجه مسلم عن خلف بن أسماء .

مأقدمناه ويكون الغرض من ذلك التأديب والزجر ، ويكون الكلام أوقع في النفس والله أعلم .

اللهم نزه قلوبنا عن التعلق بمن دونك ، واجعلنا من قوم تحبهم ويحبونك ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين .

(موعظة) يا قليل الزاد والطريق بعيد ، يا مقبلا على ما يضر تاركاً لما يفيد أترك يخفى عليك الأمر الرشيد ، إلى متى تضيّع الزمان وهو يحصى بريقب وعتيدي :

مضى أمسك شهيداً معدلاً وأعقبه يوم عليك شهيد
فإن كنت بالأمس اقترفت إساءة فبادر بإحسان وأنت حميد
ولا تبق فضل الصالحات إلى غد فرب غد يأتي وأنت فقيد
إذا ما المنايا أخطأتك وصادفت حميك فاعلم أنها ستعود

[الكبيرة الخامسة والأربعون : الغدر وعلم الوفاء بالعهد]

قال الله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ (٤٣٨) .

قال الزجاج : كل ما أمر الله به أو نهى عنه فهو من العهد . وقال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ (٤٣٩) .

قال الواحدي : قال ابن عباس في رواية الوالبي : (العهد) يعنى ما أحل وما حرم وما فرض وما حد في القرآن . وقال الضحاك بالعهود التي أخذ الله على هذه الأمة أن يوفوا بها مما أحل وحرم وما فرض من الصلاة وسائر الفرائض والعهود ، وكذا العهود جمع عهد ، والعقد بمعنى المعقود وهو الذي أحكم ما فرض الله علينا فقد أحكم ذلك ولا سبيل إلى نقضه بحال وقال مقاتل بن حيان : (أوفوا بالعقود) التي عهد الله إليكم في القرآن ، مما أمركم به من طاعته أن تعملوا بها

ونبيه الذي نهاكم عنه وبالعهود التي بينكم وبين المشركين وفيما يكون من العهد بين الناس ، والله أعلم . وقال النبي ﷺ : « أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا حدث كذب ، وإذا أوثق خان ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر » مخرج في الصحيحين . وقال رسول الله ﷺ : « لكل غادر لواء يوم القيامة . يقال : هذه غدرة فلان ابن فلان » (٤٤٠) ، وقال رسول الله ﷺ : « يقول الله عز وجل : ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة : رجل أعطى بي ثم غدر ، ورجل باع حراً فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه العمل ولم يعطه أجره » : أخرجه البخاري وقال رسول الله ﷺ : « من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له ، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية » أخرجه مسلم . وقال رسول الله ﷺ : « من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه . ومن بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع ، فإن جاء أحد ينازعه فاضربوا عنق الآخر » (٤٤١) .

[الكبيرة السادسة والأربعون : تصديق الكاهن والمنجم]

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ (٤٤٢)

قال الواحدي في تفسير قوله تعالى : (ولا تقف ما ليس لك به علم) قال الكلبي : لا تقل ما ليس لك به علم . وقال قتادة : لا تقل سمعت ولم تسمع ورأيت ولم تر وعلمت ولم تعلم . والمعنى : لا تقولن في شيء بما لا تعلم . (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) قال الوالبي عن ابن عباس :

(٤٤٠) أخرجه الشيخان عن أنس .
(٤٤١) أخرجه النسائي وأحمد عن ابن عمرو .
(٤٤٢) الإسراء : ٣٦ .

يسأل الله العباد فيم استعملوها ؟ وفي هذا زجر عن النظر إلى مالا يحل والاستماع إلى ما يحرم وإرادة مالا يجوز، والله أعلم. وقال الله تعالى : ﴿عَالَمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهَرُ عَلَيْهِ غَيْبُهُ أَحَدًا إِلَّا مَنْ أَرْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾^(٤٤٦)، قال ابن الجوزي : عالم الغيب هو الله عز وجل وحده لا شريك له في ملكه (فلا يظهر) : أى فلا يطلع على غيبه الذى لا يعلمه أحد من الناس إلا من ارتضى من رسول ، لأن الدليل على صدق الرسل إخبارهم بالغيب . والمعنى : إن من ارتضاه للرسالة أطلعه على ما شاء من الغيب ففي هذا دليل على أن من زعم أن النجوم تدل على الغيب فهو كافر . والله أعلم .

وقال رسول الله ﷺ : « من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ »^(٤٤٧) . وروينا في الصحيحين عن زيد بن خالد الجهنى رضى الله عنه قال : صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح في أثر سماء كانت من الليل ، فلما انصرف أقبل على الناس بوجهه فقال : « هل تدرون ماذا قال ربكم » ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : « أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر . فأما من قال : مطربنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكواكب ، وأما من قال : مطربنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب » .

قال العلماء : إن قال مسلم مطربنا بنوء كذا ، يريد أن النوء هو الموجد والفاعل المحدث للمطر ، صار كافراً مرتدّاً بلا شك ، وإن قال مريداً أنه علامة نزول المطر ، وينزل المطر عند هذه العلامة ، ونزوله بفعل الله خلقه لم يكفر . واحتلفوا في كراهته ، واختار أنه مكروه ، لأنه من ألفاظ الكفار . وهذا ظاهر الحديث .

(وقوله) : في أثر سماء — السماء هنا : المطر ، والله أعلم . وقال رسول الله ﷺ : « من أتى عرافاً فصدقه بما يقول لم تقبل له صلاة أربعين يوماً » رواه

(٤٤٣) الجن : ٢٦ — ٢٧ .

(٤٤٤) أخرجه الحاكم وأحمد عن أبى هريرة .

مسلم . وعن عائشة رضي الله عنها قالت : سأل رسول الله ﷺ أناس عن الكهان فقال : « ليس بشيء » . قالوا : يا رسول الله أليس قد قال كذا وكذا ؟ فقال رسول الله ﷺ : « تلك الكلمة من الحق يحفظها الجنى فيقرها في أذن وليه (أى يلقبها) فيخلط معها مائة كذبة » . مخرج في الصحيحين . وعن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الملائكة تنزل في العنان — وهو السحاب — فتذكر الأمر قضي في السماء ، فيسترق الشيطان السمع فيسمعه فيوحيه إلى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم » رواه البخارى .

وعن قبيصة بن أبى الخارق رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « العيافة والطيرة والطرق من الجبت » رواه أبو داود وقال : الطرق : الزجر ، أى زجر الطير ، وهو أن يتنامن أو يتشاءم بطيرانه . فإن طار إلى جهة اليمين ثيامن ، وإن طار إلى جهة اليسار تشاءم . قال أبو داود : العيافة الحظ قال الجوهري : الجبت : كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك . وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد » (٤٤٥) ، وقال على بن أبى طالب : الكاهن ساحر والساحر كافر . فنسأل الله العافية والعصمة في الدنيا والآخرة .

(موعظة) : عباد الله تفكروا في سلفكم قبل تلفكم ، وانظروا في أموركم قبل حلول قبوركم ، فتأهبوا للرحيل قبل فوت تحويلكم ، أين الأقرن الأخوان ، أين من شيد الإيوان ، رحلوا والله عن الأوطان ومزقت في اللحود تلك الأكفان هتف نذيرهم بأهل العرفان ﴿ كل من عليها فان ﴾ (٤٤٦) تقلبت بهم الأحوال ، ولعب بهم في أيدي الليالى . وشغلوا عن الأولاد والأموال ، ونسيهم أحباؤهم بعد ليال . عانقوا التراب وفارقوا الأموال فلو أذن لأحدهم في المقال لقال :

(٤٤٥) أخرجه ابن ماجه وأبو داود عن ابن عباس .

(٤٤٦) الرحمن : ٢٦ .

من رآنا فليحدث نفسه أنه وقف على قرب زوال
وصروف الدهر لا يبقى لها ولما تأتى به صم الجبال
رب ركب قد أناخوا حولنا يشربون الخمر بالماء الزلال
والأباريقى عليهم قدمت وعناق الخيل تردى بالجلال
عمروا دهرأ بعيش ناعم ابيض دهرهم غير محال
ثم أضحو لعب الدهر بهم وكذلك الدهر يودى بالرجال^(٤٤٧)

[الكبيرة السابعة والأربعون : نشوز المرأة على زوجها]

قال الله تعالى : ﴿ وَاللَّائِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا . إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَثِيرًا ۝٤٤٨﴾ .

قال الواحدى — رحمه الله تعالى — : النشوز هاهنا : معصية الزوج ، وهو الترفع عليه بالخلاف : وقال عطاء : هو أن تتعطر له وتمنعه نفسها وتتغير عما كانت تفعله من الطوعية . (فعظوهن) بكتاب الله ، وذكرهن مأمرهن الله به ، (واهجروهن فى المضاجع) . قال ابن عباس : هو أن يوليها ظهره على الفراش ولا يكلمها . وقال الشعبي ومجاهد : هو أن يهجر مضاجعتها فلا يضاجعها ، (واضربوهن) ضربا غير مبرح . وقال ابن عباس : أدبا مثل اللكزة ، وللزوج أن يتلاقى نشوز امرأته بما أذن الله له ، مما ذكره الله فى هذه الآية (فإن أطعنكم) فيما يلتمس منهم (فلا تبغوا عليهن) .

قال ابن عباس : فلا تتجنوا عليهن العلل . وفى الصحيحين : أن رسول الله ﷺ قال : « إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأت لعنتها الملائكة حتى تصبح » وفى لفظ — فبات وهو عليها غضبان لعنتها الملائكة حتى تصبح —

(٤٤٧) عناق الخيل : أجراؤها ، وتردى : تكسى والجلال : مفردة الجمل وهو يوضع على ظهر الدابة ، ويرود : يملك .

(٤٤٨) النساء : ٣٤ .

ولفظ الصحيحين أيضاً : « إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها فتأبى عليه إلا كان الذى فى السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها زوجها » .

وعن جابر رضى الله عنه عن النبى ﷺ : « ثلاثة لا يقبل الله لهم صلاة ، ولا ترفع لهم إلى السماء حسنة : العبد الآبق حتى يرجع إلى مواليه ، فيضع يده فى أيديهم ، والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى عنها ، والسكران حتى يصحو » (٤٢٦) .

وعن الحسن قال حدثنى من سمع النبى ﷺ يقول : « أول ما يسأل عنه المرأة يوم القيامة عن صلاتها وعن بعلها » (٤٢٧) . وفى الحديث : إن رسول الله ﷺ قال : « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه ولا تأذن فى بيته إلا بإذنه » أخرجه البخارى . ومعنى شاهد أى حاضر غير غائب . وذلك فى صوم التطوع ، فلا تصوم حتى تستأذنه لأجل وجوب حقه وطاعته . وقال ﷺ : « لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها » رواه الترمذى . وقالت عمة حصين بن محصن وذكرت زوجها للنبي ﷺ فقال : « انظرى من أين أنت منه ؛ فإنه جنتك ونارك » أخرجه النسائى . وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال ، قال رسول الله ﷺ : « لا ينظر الله إلى امرأة لا تشكر لزوجها وهى لا تستغنى عنه » (٤٢٨) . وجاء عنه ﷺ أنه قال : « إذا خرجت المرأة من بيت زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع أو تتوب » (٤٢٩) ، وقال رسول الله ﷺ : « أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة » (٤٣٠) .

فالأوجب على المرأة أن تطلب رضا زوجها وتجتنب سخطه ولا تمتنع منه متى أرادها ، لقول النبى ﷺ : « إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلتأته وإن كانت على التور » (٤٣١) . قال العلماء : إلا أن يكون لها عذر من حيض أو

- | | |
|--|--|
| (٤٤٩) أخرجه البيهقى فى الشعب عن جابر . | (٤٥٠) أخرجه أبو الشيخ عن أنس . |
| (٤٥١) أخرجه الحاكم والنسائى . | (٤٥٢) أخرجه الطبرانى بنحوه عن ابن عباس . |
| (٤٥٣) أخرجه الحاكم وصححه عن أم سلمة . | (٤٥٤) أخرجه ابن حبان وأحمد عن طلق بن على . |

نفاس فلا يحل لها أن تحببته ، ولا يحل للرجل أيضا أن يطلب ذلك منها ، في حال الحيض والنفاس ، ولا يجامعها حتى تغتسل ، لقول الله تعالى : ﴿ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ ﴾^(٤٥٥) أى لا تقربوا جماعهن حتى يطهرن .

قال ابن قتيبة : يطهرن ينقطع عنهن الدم ، فإذا تطهرن أى اغتسلن بالماء ، والله أعلم . ولما تقدم من قول النبي ﷺ : « من أتى حائضاً أو امرأة من دبرها فقد كفر بما أنزل على محمد » وفي حديث آخر : « ملعون من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها »^(٤٥٦) . والنفاس مثل الحيض إلى الأربعين ، فلا يحل للمرأة أن تطيع زوجها إذا أراد إتيانها في حال الحيض والنفاس ، وتطيعه فيما عدا ذلك ، وينبغي للمرأة أن تعرف أنها كالمملوك للزوج فلا تتصرف في نفسها ولا في ماله إلا بإذنه ، وتقدم حقه على حقها ، وحقوق أقاربه على حقوق أقاربها ، وتكون مستعدة لتمتعها بها بجميع أسباب النظافة ، ولا تتفخر عليه بجمالها ، ولا تعيبه بقبح إن كان فيه .

قال الأصمعي : دخلت البادية فإذا امرأة حسناء لها بعل قبيح . فقلت لها : كيف ترضين لنفسك أن تكوني تحت مثل هذا ؟ فقالت : اسمع ، يا هذا لعله أحسن فيما بينه وبين الله خالقه فجعلني ثوابه ولعلي أسأت فجعله عقوبتي .

وقالت عائشة رضى الله عنها : يامعشر النساء لو تعلمن بحق أزواجكن عليكن لجلعت المرأة منكن تمسح الغبار عن قدمي زوجها بخد وجهها .

وقال ﷺ : « نساؤكم من أهل الجنة الودود التي إذا آذت أو أُوذيت أتت زوجها حتى تضع يدها في كفه فتقول : لأذوق غمضاً حتى ترضى »^(٤٥٧) .

ويجب على المرأة أيضاً دوام الحياء من زوجها ، وغض طرفها ، والطاعة لأمره ، والسكوت عند كلامه ، والقيام عند قدومه ، والابتعاد عن جميع

(٤٥٥) البقرة : ٢٢٢ .

(٤٥٦) أخرجه أبو داود عن أبي هريرة .

(٤٥٧) أخرجه الدارقطني في الأفراد عن كعب بن عجرة .

مايسخطة ، والقيام معه عند خروجه ، وعرض نفسها عليه عند نومه ، وترك
الخيانة له في غيبته في فراشه وماله وبيته ، وطيب الرائحة وتعاهد الفم بالسواك
وبالمسك والطيب ، ودوام الزينة بحضرتة ، وتركها الغيبة ، وإكرام أهله وأقاربه وترى
القليل منه كثيراً .

(فصل) في فضل المرأة الطائعة لزوجها وشدة عذاب العاصية ، ينبغي
للمرأة الخائفة من الله تعالى أن تجتهد لطاعة الله وطاعة زوجها ، وتطلب رضاه
جهدها ؛ فهو جنتها ونارها . لقول النبي ﷺ : « أيما امرأة ماتت وزوجها
راض عنها دخلت الجنة » (٤٥٨) . وفي الحديث أيضاً : « إذا صلت المرأة
خمساً ، وصامت شهرها ، وأطاعت بعلمها ، فلتدخل من أى أبواب الجنة
شاءت » (٤٥٩)

وروى عنه ﷺ أنه قال : « يستغفر للمرأة المطيعة لزوجها الطير في
الهواء ، والحيتان في الماء ، والملائكة في السماء ، والشمس والقمر مادامت
في رضا زوجها . وأيما امرأة عصت زوجها فعليها لعنة الله والملائكة والناس
أجمعين . وأيما امرأة كلحت في وجه زوجها فهي في سخط الله إلى أن
تضاحكه وتسترضيه . وأيما امرأة خرجت من دارها بغير إذن زوجها لعنتها
الملائكة حتى ترجع » (٤٦٠) .

وجاء عن رسول الله ﷺ أيضاً قال : « أربع من النساء في الجنة ،
وأربع في النار فأما الأربع اللواتي في الجنة ، فامرأة عفيفة طائعة لله ولزوجها ،
ولود صابرة قانعة باليسير مع زوجها ، ذات حياء . إن غاب عنها حفظت
نفسها وماله ، وإن حضر أمسكت لسانها عنه ، والرابعة امرأة مات عنها
زوجها ، ولها أولاد صغار ، فحبست نفسها على أولادها ورثتهم وأحسن

(٤٥٨) سبق ترجمته .

(٤٥٩) أخرجه ابن حبان عن أبي هريرة .

(٤٦٠) لم نقل عليه فيما بين أيدينا من مصادر .

إليهم ، ولم تتزوج خشية أن يضيّعوا . وأما الأربع اللاتي في النار من النساء ، فامرأة بذينة اللسان على زوجها أى طويلة اللسان فاحشة الكلام إن غاب عنها زوجها لم تصن نفسها ، وإن حضر آذته بلسانها . والثانية : امرأة تكلف زوجها ما لا يطيق . والثالثة : امرأة لا تستر نفسها من الرجال ، وتخرج من بيتها متبرجة . والرابعة : امرأة ليس لها هم إلا الأكل والشرب والنوم ، وليس لها رغبة في الصلاة ولا في طاعة الله ولا طاعة رسوله ولا في طاعة زوجها^(٤٦١) . فالمرأة إذا كانت بهذه الصفة ، وتخرج من بيتها بغير إذن زوجها كانت ملعونة من أهل النار ، إلا أن تتوب إلى الله ، وقال النبي ﷺ : « اطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء »^(٤٦٢) وذلك بسبب قلة طاعتهن لله ورسوله ولأزواجهن وكثرة تبرجهن ، والتبرج إذا أرادت الخروج لبست أوفر ثيابها وتجملت وتحسنت وخرجت تفتن الناس بنفسها ، فإن سلمت هي بنفسها لم يسلم الناس منها . ولهذا قال النبي ﷺ : « المرأة عورة فإذا خرجت من بيتها استشرفها الشيطان »^(٤٦٣) .

وأعظم ماتكون المرأة من الله ما كانت في بيتها ، وفي الحديث أيضاً المرأة عورة فاحبسوها في البيوت ، فإن المرأة إذا خرجت إلى الطريق قال لها أهلها : أين تريدان ؟ قالت : أعود مريضاً ، أشيع جنازة ، فلا يزال بها الشيطان حتى تخرج عن دارها ، وما التحست المرأة رضا الله بمثل أن تقعد في بيتها وتعبد ربه وتطيع بعلمها . وقال على رضي الله عنه لزوجته فاطمة رضي الله عنها يا فاطمة ما خير للمرأة ؟ قالت : أن لا ترى الرجال ولا يروها . وكان على رضي الله عنه يقول : ألا تستحون . ألا تغارون ؟ يترك أحدكم امرأته تخرج بين الرجال تنظر إليهم وينظرون إليها ! وكانت عائشة وحفصة رضي الله عنهما يوماً عند النبي ﷺ جالستين ، فدخل ابن أم مكتوم وكان أعمى فقال النبي ﷺ : احتجبا منه ، فقالتا :

(٤٦١) لم تلق عليه فيما بين أيدينا من مصادر .

(٤٦٢) سبق تخريجه .

(٤٦٣) أخرجه الطبراني في الأوسط عن ابن عمر .

يارسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا ؟ فقال ﷺ : أفعميا وان أنتما ألستما تبصرانه ؟ » (٤٦٤) .

فكما أنه ينبغي للرجل أن يغض طرفه عن النساء . فكذلك ينبغي للمرأة أن تغض طرفها عن الرجال ، كما تقدم من قول فاطمة رضى الله عنها : إن خير ما للمرأة أن لا ترى الرجال ولا يروها . فإن اضطرت للخروج لزيارة والديها وأقاربها ولأجل حمام ونحوه مما لا بد لها منه ، فلتخرج بإذن زوجها غير متبرجة في ملحفة وسخة في ثياب بيتها ، وتغض طرفها في مشيتها ، وتنظر إلى الأرض لا يمينا ولا شمالا ، فإن لم تفعل ذلك وإلا كانت عاصية . وقد حكى أن امرأة كانت من المتبرجات في الدنيا ، وكانت تخرج من بيتها متبرجة فماتت فرآها بعض أهلها في المنام ، وقد عرضت على الله عز وجل في ثياب رفاق فهبت ريح فكشفتها فأعرض الله عنها ، وقال : خذوها ذات الشمال إلى النار فإنها كانت من المتبرجات في الدنيا .

قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : دخلت على النبی ﷺ أنا وفاطمة رضى الله عنها ووجدناه يبكى بكاء شديداً ، فقلت له : فداك أبى وأمى يارسول الله ، ما الذى أبكاك ؟ قال : « يا على ليلة أسرى نى إلى السماء رأيت نساء من أمتى يعذبن بأنواع العذاب فبكيت لما رأيت من شدة عذابهن ، ورأيت امرأة معلقة بشعرها يغلى دماغها . ورأيت امرأة معلقة بلسانها والحميم يُصب في حلقها ، ورأيت امرأة قد شدت رجلاها إلى ثديها ويدها إلى ناصيتها ، ورأيت امرأة معلقة بثديها ، ورأيت امرأة رأسها رأس خنزير وبدنها بدن حمار عليها ألف لون من العذاب ، ورأيت امرأة على صورة الكلب والنار تدخل من فيها وتخرج من دبرها والملائكة يضربون رأسها بمقامع من نار » .

فقامت فاطمة رضى الله عنها وقالت : حبسنى ورقة عيني ، ما كان أعمال هؤلاء حتى وضع عليهن العذاب ؟ فقال ﷺ : « يا بنىة أما المعلقة بشعرها » (٤٦٤) أخرجه أحمد عن أم سلمة .

فإنها كانت لا تغطي شعرها من الرجال ، وأما التي كانت معلقة بلسانها فإنها كانت تؤذى زوجها ، وأما المعلقة بثديها فإنها كانت تفسد فراش زوجها ، وأما التي تشد رجلاها إلى ثديها ويدها إلى ناصيتها وقد سلبت عليها الحيات والعقارب فإنها كانت لا تنظف بدننها من الجنابة والحيض وتستعزى بالصلاة . وأما التي رأسها رأس خنزير وبدنها بدن حمار فإنها كانت غامة كذابة . وأما التي على صورة الكلب والنار تدخل من فيها وتخرج من دبرها فإنها كانت منانة حسادة « (٤٦٥) » .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : « لا تؤذى المرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله . وبابنية الليل لامرأة تعصى زوجها » (٤٦٦) .

٣ (فصل) : وإذا كانت المرأة مأمورة بطاعة زوجها وبطلب رضاه ، فالزوج أيضاً مأمور بالإحسان إليها واللفظ بها ، والصبر على ما يبدو منها من سوء خلق وغيره ، وإيصالها حقها من النفقة والكسوة والعشرة الجميلة ، لقول الله تعالى : ﴿ وعاشروهن بالمعروف ﴾ ولقول النبي ﷺ : « استوصوا بالنساء ، ألا إن لكم على نسائكم حقاً ولنسائكم عليكم حقاً . فحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن ، وحقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم من تكرهون . ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون » (٤٦٧) .

وقوله ﷺ : « عوان » أى أسيرات جمع عانية وهى الأسيرة ، شبه رسول الله ﷺ المرأة فى دخولها تحت حكم الرجل بالأسير .

وقال : « خيركم خيركم لأهله » (٤٦٨) ، وفى رواية « خيركم أطفلكم بأهله » وكان رسول الله ﷺ شديد اللطف بالنساء . وقال ﷺ : « أيا رجل

(٤٦٦) أخرجه أحمد وابن ماجه عن معاذ .

(٤٦٨) أخرجه الطبراني عن ابن عباس .

(٤٦٥) لم يلق عليه .

(٤٦٧) أخرجه مسلم عن جابر .

صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب عليه السلام على بلائه ، وأيما امرأة صبرت على سوء خلق زوجها أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى آسية بنت مزاحم امرأة فرعون «(٤٦٩)» .

وقد روى أن رجلاً جاء إلى عمر — رضى الله عنه — يشكو خلق زوجته ، فوقف على باب عمر ينتظر خروجه ، فسمع امرأة عمر تستطيل عليه بلسانها وتخاصمه وعمر ساكت لا يرد عليها ، فانصرف الرجل راجعاً وقال : إن كان هذا حال عمر مع شدته وصلابته — وهو أمير المؤمنين — فكيف حالى ؟ فخرج عمر فرآه مالياً عن بابه فناداه وقال : ما حاجتك يارجل ؟ فقال يا أمير المؤمنين جئت أشكو إليك سوء خلق امرأتى واستطالتها على فسمعت زوجتك كذلك ، فرجعت وقلت : إذا كان حال أمير المؤمنين مع زوجته فكيف حالى ؟ فقال عمر : يا أخى إلى احتملتها لحقوق لها على . إنها طباحة لطعامى ، خبازة لخبزى ، غسالة لثيائى ، مرضعة لولدى . وليس ذلك كله بواجب عليها ويسكن قلبى بها عن الحرام فأنا أحتملها لذلك . فقال الرجل : يا أمير المؤمنين وكذلك زوجتى قال عمر : فاحتملها يا أخى فإنما هى مدة يسيرة .

وحكى أن بعض الصالحين كان له أخ فى الله وكان من الصالحين ، يزوره فى كل سنة مرة ، فجاء لزيارته فطرق الباب ، فقالت امرأته : من ؟ فقال : أخو زوجك فى الله جئت لزيارته ، فقالت : راح يحطّب لارده الله ولا سلمه وفعل به وفعل ، وجعلت تذمّم عليه فيبينها هو واقف على الباب ، وإذا بأخيه قد أقبل من نحو الجبل وقد حمل حزمة الحطّب على ظهر أسد وهو يسوقه بين يديه ، فجاء فسلم على أخيه ورحب به ، ودخل المنزل وأدخل الحطّب وقال للأسد : اذهب بارك الله فيك ، ثم أدخل أخاه والمرأة على حالها تذمّم وتأخذ بلسانها ، وزوجها لا يرد عليها ، فأكل مع أخيه شيئاً ثم ودعه وانصرف وهو متعجب من صبر أخيه على تلك المرأة . قال : فلما كان العام الثانى جاء أخوه لزيارته على عادته فطرق

(٤٦٩) لم نقف عليه .

الباب فقالت امرأته : من بالباب ؟ قال : أخو زوجك فلان في الله ، فقالت مرحباً بك وأهلاً وسهلاً ، اجلس فإنه سيأتي — إن شاء الله — بخير وعافية قال فتعجب من لطف كلامها وأدبها ، إذ جاء أخوه وهو يحمل الخطب على ظهره فتعجب أيضاً لذلك ، فجاء فسلم عليه ودخل الدار وأدخله وأحضرت المرأة طعاماً لهما وجعلت تدعو لهما بكلام لطيف ، فلما أراد أن يفارقه قال : يا أخي أخبرني عما أريد أن أسألك عنه . قال : وما هو يا أخي ؟ قال : عام أول أتيتك فسمعت كلام امرأة بذيئة اللسان قليلة الأدب تدم كثيراً ، ورأيتك قد أتيت من نحو الجبل والخطب على ظهر الأسد ، وهو مسخر بين يديك ، ورأيت العام كلام المرأة لطيفاً لا تدمم ، ورأيتك قد أتيت بالخطب على ظهرك فما السبب ؟ قال يا أخي : توفيت تلك المرأة الشرسة وكنت صابراً على خلقها وما يبدو منها . كنت معها في تعب وأنا أحمّلها ، فكان الله قد سخر لي الأسد الذي رأيت يحمل عنى الخطب بصبري عليها واحتاملي لها ، فلما توفيت تزوجت هذه المرأة الصالحة ، وأنا في راحة معها ، فانقطع عنى الأسد ، فاحتجت أن أحمل الخطب على ظهري لأجل راحتي مع هذه المرأة المباركة الطائعة . فنسأل الله أن يرزقنا الصبر على ما يحب ويرضى ؛ إنه جواد كريم .

[الكبيرة الثامنة والأربعون : التصوير في الشيا

والحيطان والحجر واللراهم]

· الأشياء سواء كانت من شمع أو عجين أو حديد أو نحاس أو صوف أو وسائر غير ذلك ، والأمر بإتلافها

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً ﴾ (٤٧) .

قال عكرمة : هم الذين يصنعون الصور ، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال ، قال رسول الله ﷺ : « إن الذين يصنعون الصور يعذبون يوم القيامة ،

(٤٧٠) الأحزاب : ٥٧ .

يقال لهم (أحيوا ما خلقتم)» مخرج في الصحيحين . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قدم رسول الله ﷺ من سفر وقد سترت سهوة لى بقرام فيه تماثيل فلما رآه رسول الله ﷺ تلون وجهه وقال : « يا عائشة ، أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله عز وجل » . قالت عائشة رضى الله عنها : فقطعته فجعلت منه وسادتين . مخرج في الصحيحين . القرام بكسر القاف وهو الستر ، والسهوة كالصفة تكون بين يدى البيت . وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كل مصور فى النار ، يجعل له بكل صورة صورها نفس يعذب فى نار جهنم » مخرج فى الصحيحين ، وعنه رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من صور صورة فى الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح يوم القيامة وليس بنافخ فيها أبداً » (٤٧١) ، وعنه ﷺ أنه قال : « يقول الله عز وجل : ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى ، فليخلقوا حبة ، أو ليخلقوا شعيرة ، أو ليخلقوا ذرة » مخرج فى الصحيحين .

وقال ﷺ : « يخرج عنق من النار يوم القيامة فيقول : إني وكلت بثلاثة : بكل من دعا مع الله إلهاً آخر ، وبكل جبار عنيد ، وبالمصورين » (٤٧٢) .

وقال رسول الله ﷺ : « لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة » مخرج فى الصحيحين .

وفى سنن أبى داود عن على بن أبى طالب قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة ولا جنب » وقال الخطائى — رحمه الله تعالى — قوله ﷺ : « لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة ولا جنب » يريد الملائكة الذين ينزلون بالرحمة والبركة دون الملائكة الذين هم

(٤٧١) أخرجه الشيخان .

(٤٧٢) أخرجه الطبرانى عن أبى هريرة .

الحفظة ، فإنهم لا يفارقون الجنب وغير الجنب ، وقد قيل : إنه لم يرد الجنب الذى أصابته الجنابة فأخر الاغتسال إلى أوان حضور الصلاة ، ولكنه الذى يجنب ولا يغتسل ويتهاون بالغسل ويتخذ عادة ؛ فإن النبى ﷺ كان يطوف على نسائه بغسل واحد ، وفى هذا تأخير الاغتسال عن أول وقت وجوبه .

وقالت عائشة رضى الله عنها : « كان رسول الله ﷺ ينام وهو جنب ولا يمس ماء » (٤٧٣) .

وأما الكلب فهو أن يقتنى كلباً لا لزرع ولا لضرع ولا صيد ، فاما إذا اضطر إليه فلا حرج للحاجة إليه فى بعض الأمور ، أو لحراسة داره إذا اضطر إليه ، فلا حرج عليه إن شاء الله .

وأما الصور فهى كل مصور من ذوات الأرواح ، سواء كانت لها أشخاص منتصبة أو كانت منقوشة فى سقف أو جدار أو موضوعة فى غط ، أو منسوخة فى ثوب أو مكان ، فإن قضية العموم تأتى عليه فليجتنب ، وبالله التوفيق .

ويجب إتلاف الصور لمن قدر على إتلافها وإزالتها روى مسلم فى صحيحه عن حيان بن حصين قال : قال لى على بن أبى طالب رضى الله عنه : ألا أبغثك على ما بعثنى عليه رسول الله ﷺ ؟ أن لاتدع صورة إلا طمستها ، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته .

فنسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى ؛ إنه جواد كريم .

[الكبيرة التاسعة والأربعون : اللطم والنياحة وشق الثوب]

وحلق الرأس ونتفه والدعاء بالويل والثبور عند المصيبة

رُوى فى صحيح البخارى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ليس منا من لطم الحدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية » .

(٤٧٣) أخرجه أصحاب السنن .

ورؤى فى الصحيحين عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ « برىء من الصالقة والحالقة والشاقة » الصالقة : التى ترفع صوتها بالنياحة ، والحالقة ، التى تخلق شعرها وتنتفه عند المصيبة ، والشاقة ، التى تشق ثيابها عند المصيبة ، وكل هذا حرام باتفاق العلماء ، وكذلك يحرم نشر الشعر ، ولطم الخدود ، وخمش الوجه ، والدعاء بالويل والثبور .

وعن أم عطية رضى الله عنها قالت : أخذ علينا رسول الله ﷺ فى البيعة أن لا نتروح . رواه البخارى ، وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اثنان فى الناس هما بهم كفر : الطعن فى الأنساب ، والنياحة على الميت » رواه مسلم .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : لعن رسول الله ﷺ النائحة والمستمعة . رواه أبو داود . وعن أبى بردة قال : وجع أبو موسى الأشعرى فغشى عليه ورأسه فى حجر امرأة من أهله فأقبلت تصيح برثة ، فلم يستطع أن يرد عليها ، فلما أفاق قال أنا برىء مما برىء منه رسول الله ﷺ ؛ إن رسول الله ﷺ برىء من الصالقة والحالقة والشاقة (٤٧٤) .

وعن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال : أغمى على عبد الله بن رواحة فجعلت أخته تعدد عليه فتقول واكذا واكذا ، فقال حين أفاق : ما قلت شيئاً إلا قيل لى : أنت كذا أنت كذا ، أخرجه البخارى .

وفى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « الميت يعذب فى قبره بما نيح عليه » .

وعن أبى موسى رضى الله عنه قال : ما من ميت يموت فيقوم باكرهم فيقول : واسيداه واجبلاه ، واكذا واكذا ، ونحو ذلك إلا وكل به ملكان يلهزانه أهكذا أنت ؟ أخرجه الترمذى .

(٤٧٤) أخرجه الشيخان .

وقال ﷺ : « النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب »^(٤٧٥) . وقال ﷺ : « إنما نبيت عن صوتين أحقين فاجرين . صوت عند نغمة وهو ولعب ومزامير شيطان ، وصوت عند مصيبة خمش في وجوه وشق في جيوب ورنه شيطان »^(٤٧٦) ، وقال الحسن : صوتان ملعونان : مزار عند نغمة ، ورنه عند مصيبة .

وقال رسول الله ﷺ : « إن هذه التوائح يجعلن صفين في النار فينبحن في أهل النار كما تنبح الكلاب »^(٤٧٧) . وعن الأوزاعي أن عمر بن الخطاب سمع صوت بكاء فدخل ومعه غيره ، فمال عليهن ضرباً حتى بلغ النائحة ، فضرها حتى سقط خمارها ، وقال « اضرب فإنها نائحة ولا حرمة لها ، إنها تبكي بشجوكم ، إنها تهريق دموعها لأخذ دراهمكم ، وإنها تؤذى موتاكم في قبورهم ، وأحياءكم في دورهم ؛ لأنها تنهى عن الصبر ، وقد أمر الله به ، وتأمر بالجزع »^(٤٧٨) . نهى الله عنه .

واعلم أن النياحة رفع صوت بالنذب وتعيد النائحة بصوتها محاسن الميت وقيل : هو البكاء عليه مع ذكر محاسنه .

قال العلماء : ومحرم رفع الصوت بإفراط بالبكاء ، وأما البكاء على الميت من غير ندب ولا نياحة ، فليس حرام ، وروى في صحيح البخارى ومسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ عاد سعد بن عبادة ومعه عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص ، وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهم ، فبكى رسول الله ﷺ فلما رأى القوم بكاء رسول الله ﷺ بكوا . فقال « ألا تسمعون أن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا أو يرحم » وأشار إلى لسانه . وروى في صحيحيهما عن أسامة بن زيد أن رسول الله ﷺ ، قال له

(٤٧٥) أحمد وابن ماجه عن أبى مالك .

(٤٧٦) أخرجه الترمذى عن جابر .

(٤٧٧) أخرجه الطبرانى فى الأوسط ، وسنده ضعيف .

سعد : ماهذا يارسول الله ؟ قال « هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده ، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء » . ورؤينا في صحيح البخارى عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ دخل على ابنة إبراهيم وهو يجود بنفسه فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان ، فقال له عبد الرحمن بن عوف . وأنت يارسول الله ؟ قال : يا ابن عوف « إنها رحمة » ، ثم أتبعها بأخرى فقال « إن العين لتدمع والقلب يحزن ، ولانقول إلا مايرضى ربنا وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون » . وأما الأحاديث الصحيحة : « إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه » فليست على ظاهرها وإطلاقها بل هى مؤولة ، واختلف العلماء في تأويلها ، على أقوام : أظهرها والله أعلم أنها محمولة على أن يكون له سبب فى البكاء إما أن يكون قد أوصاهم به أو غير ذلك .

قال أصحاب الشافعى : ويجوز قبل الموت وبعده ولكن قبله أولى للحديث الصحيح « فإذا وجبت فلا تبكين باكية » ، وقد نص الشافعى والأصحاب أنه يكره البكاء بعد الموت كراهة تنزيه ولايجرم ، وتأولوا حديث « فلا تبكين باكية » على الكراهة والله أعلم .

(فصل) وإنما كان للنائحة هذا العذاب واللعنة لأنها تأمر بالجزع وتنبى عن الصبر ، والله ورسوله قد أمر بالصبر والاحتساب ، ونهى عن الجزع والسخط . قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين ﴾ (٤٧٨) قال عطاء عن ابن عباس يقول إني معكم أنصركم ولا أخذلكم قال الله تعالى : ﴿ ولنبلونكم ﴾ أى لنعاملنكم معاملة المبتلى ، لأن الله يعلم عاقبة الأمور فلا يحتاج إلى الابتلاء ليعلم العاقبة ولكنه يعاملهم معاملة من يتلى ، فمن صبر أثابه على صبره ومن لم يصبر لم يستحق الثواب ، وقول الله : ﴿ بشيء من الخوف والجوع ﴾ قال ابن عباس : يعنى خوف العدو ، والجوع يعنى الجاعة والقحط ، ﴿ ونقص من الأموال ﴾ يعنى الخسران والنقصان فى المال

وهلاك المواشى، ﴿والأنفس﴾ بالموت والقتل والمرض والشيب، ﴿والثمرات﴾ يعنى الجوائح، وأن لا تخرج الثمرة كما كانت تخرج، ثم ختم الآية بتبشير الصابرين ليدل على أن من صبر على هذه المصائب كان على وعد الثواب من الله تعالى فقال تعالى: ﴿وبشر الصابرين﴾، ثم نعتهم فقال: ﴿الذين إذا أصابهم مصيبة﴾ أى نالتهم نكبة مما ذكر، ولا يقال فيما أصيب بخير مصيبة ﴿قالوا إنا لله﴾ عبيد الله فيصنع بنا ما يشاء ﴿وإنا إليه راجعون﴾^(٤٧٩) بالهلاك وبالفناء، ومعنى الرجوع إلى الله الرجوع إلى انفراده بالحكم، إذ قد ملك في الدنيا قوماً الحكم، فإذا زال حكم العباد رجع الأمر إلى الله عز وجل.

وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «ما من مصيبة يصاب بها المؤمن إلا كفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها» رواه مسلم. وعن علقمة ابن مرثد بن سابط عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أصيب بمصيبة فليذكر مصيبته بى فإنها أعظم المصائب»^(٤٨٠). وقال رسول الله ﷺ: «إذا مات ولد العبد يقول الله للملائكة قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع فيقول الله تعالى: ابنوا لعبدي بيتاً فى الجنة وسموه بيت الحمد»^(٤٨١)، وعن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله تعالى مالعبدي عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسب إلا الجنة» رواه البخارى.

وقال عليه الصلاة والسلام: «من سعادة بنى آدم رضاه بما قضى الله، ومن شقاوة ابن آدم سخطه بما قضى الله تعالى»^(٤٨٢). وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: إذا قبض ملك الموت عليه السلام روح المؤمن قام على الباب ولأهل البيت ضجة، فمنهم الصاكة وجهها، ومنهم الناشرة شعرها، ومنهم الداعية بويلها. فيقول ملك الموت عليه السلام: «م هذا الجزع وم هذا

(٤٧٩) البقرة: ١٥٦.

(٤٨٠) أخرجه الطبرانى عن سابط.

(٤٨١) أخرجه ابن حبان عن أبى موسى.

(٤٨٢) أخرجه الحاكم وأحمد عن سعد بن أبى وقاص، وسنده ضعيف.

الفرع ؟ فوالله ما انتقصت لأحد منكم عمراً ، ولا ذهبت لأحد منكم برزق ، ولا ظلمت لأحد منكم شيئاً فإن كانت شكايكم وسخطكم علىّ فأني والله مأمور ، وإن كان على ميتكم فإنه مقهور ، وإن كان على ريكم فأنتم به كافرون ، وإن لي بكم عودة بعد عودة حتى لأبقى منكم أحدا . قال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده لو يرون مكانه ويسمعون كلامه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على أنفسهم » .

(فصل في التعزية) عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال « من عزى مصاباً فله مثل أجره » رواه الترمذی .

وعن أبي بردة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال لفاطمة رضي الله عنها : « من عزى ثكلى كسى برداً من الجنة » رواه الترمذی .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال لفاطمة رضي الله عنها : « ما أخرجك يا فاطمة من بيتك ؟ قالت : أتيت أهل البيت فترجعت إليهم ميتهم وعزيتهم به » (٤٨٣) .

وعن عمرو بن حزم عن النبي ﷺ : « مامن مؤمن يعزى أخاه بمصيبة إلا كساه الله من حلل الكرامة يوم القيامة » (٤٨٤) .

واعلم — رحمك الله — أن التعزية هي التصيير ، وذكر ما يسلى صاحب الميت ويخفف حزنه ويهون مصيبته ، وهي مستحبة ؛ لأنها مشتملة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهي أيضاً داخلة في قول الله تعالى : ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ﴾ (٤٨٥) وهذا من أحسن ما يستدل به في التعزية .

واعلم أن التعزية « هي الأمر بالصبر » مستحبة قبل الدفن وبعده . قال أصحاب الشافعي : من حين يموت الميت ، وتبقى بعد الدفن إلى ثلاثة أيام قال

(٤٨٣) أخرجه الساقى وغيره .

(٤٨٥) المائدة : ٢ .

(٤٨٤) أخرجه ابن ماجه ، وسنده حسن .

أصحابنا : وتكره التعزية بعد ثلاثة أيام ، لأن التعزية تسكن قلب المصاب ، والغالب سكون قلبه بعد الثلاثة ، فلا يجدد له الحزن ، هكذا قاله الجماهير من أصحابنا . وقال أبو العباس من أصحابنا : لا بأس بالتعزية بعد ثلاثة أيام بل تبقى أبداً وإن طال الزمان . قال النووي رحمه الله : واختار أنها لاتفعل بعد ثلاثة أيام إلا في صورتين استثناهما أصحابنا ، وهما إذا كان المعزى أو صاحب المصيبة غائبا حال الدفن ، واتفق رجوعه بعد ثلاثة أيام ، والتعزية بعد الدفن أفضل منها قبله ، لأن أهل البيت مشغولون بتجهيزه ، ولأن وحشتهم بعد دفنه لفرقه أكثر هذا إذا لم ير منهم جزءاً ، فإن رآه قدم التعزية ليسكنهم ، والله أعلم .

ويكره الجلوس للتعزية ، يعنى أن يجتمع أهل الميت في بيت ليقصدهم من أراد التعزية ، ولفظ التعزية مشهور وأحسن ما يعزى به ماروينا في الصحيحين عن أسامة بن زيد رضى الله عنه قال : أرسلت إحدى بنات رسول الله ﷺ للرسول تدعوه وتخبره أن ابناً لها في الموت فقال عليه الصلاة والسلام للرسول : « ارجع إليها فأخبرها أن الله ماأخذ وله ماأعطى ، وكل شيء عنده بأجل مسمى ، فمرها فلتصبر ولتحتسب » ، وذكر تمام الحديث . قال النووي رحمه الله : فهذا الحديث من أعظم قواعد الإسلام المشتملة على مهمات كثيرة من أصول الدين وفروعه والآداب ، والصبر على النوازل كلها ، والهموم والأسقام ، وغير ذلك ، من الأغراض .

ومعنى قوله ﷺ : « إن لله ماأخذ » أن العالم كله ملك لله ، لم يأخذ ماهو لكم بل هو أخذ ماهو له عندكم في معنى العارية . وقوله : « وله ماأعطى » ما وهبه لكم ليس خارجاً عن ملكه ، بل هو له سبحانه يفعل فيه مايشاء « وكل شيء عنده بأجل مسمى » ، فلا تجزعوا فإن من قبضه فقد انقضى أجله المسمى فمحال تأخيره أو تقديمه عنه فإذا علمتم هذا كله فاصبروا واحتسبوا ما نزل بكم . والله أعلم .

وعن معاوية بن إياس عن أبيه رضى الله عنه عن النبي ﷺ : أنه فقد رجلاً من أصحابه فسأل عنه ، فقالوا : يا رسول الله ابنه الذى رأيته هلك ، فلقبه النبي ﷺ فسأله عن ابنه فأخبره أنه هلك ، فعزاه عليه ثم قال : يا فلان « أيما كان أحب إليك أن تمتع به عمرك أو لا تأتى غداً باباً من أبواب الجنة إلا وجدته قد سبقك إليه يفتحه لك ؟ فقال : يا نبي الله يسبقني إلى الجنة يفتحها لي وهو أحب إليّ . قال : فذلك لك . فقيل : يا رسول الله هذا له خاصة أم للمسلمين عامة ؟ قال « بل للمسلمين عامة »^(٤٨٦) وعن أبي موسى عن النبي ﷺ أنه خرج إلى البقيع فأتى امرأة جاثية على قبر تبكى فقال لها : « يا أمة الله اتقي الله واصبري » قالت : يا عبد الله إني أنا الحرة الثكلى . قال : « يا أمة الله اتقي الله واصبري » قالت : يا عبد الله لو كنت مصاباً عذرتني قال : « يا أمة الله اتقي الله واصبري » قالت يا عبد الله قد أسمعني فانصرف . قال : فانصرف عنها رسول الله ﷺ وبصر بها رجل من المسلمين فأتاها فسأها : ما قال لك الرجل ؟ فأخبرته بما قال وبما ردت عليه ، فقال لها : أتعرفينه ؟ قالت : لا والله . قال : ويحك ذلك رسول الله ﷺ ، فبادرت تسعى حتى أدركته ، فقالت : يا رسول الله أصبر . قال : « إنما الصبر عند الصدمة الأولى »^(٤٨٧) أى إنما يجمل الصبر عند مفاجأة المصيبة ، وأما فيما بعد فيقع السلو طبعاً . وفي صحيح مسلم : مات ابن لأبى طلحة من أم سليم ، فقالت لأهلها : لا تحدثوا أباً طلحة حتى أكون أنا أحدثه ، فجاء أبو طلحة فقربت إليه عشاء فأكل وشرب ثم تصنعت له أحسن ما كانت تصنع قبل ذلك فوقع بها ، فلما رأت أنه قد شبع وأصاب منها قالت : يا أبا طلحة أرايت لو أن قوماً أعاروا عاريتم أهل بيت فطلبوا عاريتم ألهم أن يمنعوهم ؟ قال : لا ، قالت أم سليم : فاحتسب ابنك . قال : فغضب أبو طلحة ، فقال : تركتني حتى إذا تلطخت أخبرتني بابني ، والله لا تغلبيني على الصبر ، فانطلق حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره بما كان ، فقال

(٤٨٦) أخرجه الحاكم ، وسنده صحيح .

(٤٨٧) أخرجه أصحاب السنن عن أنس .

رسول الله ﷺ : « بارك الله لكما في ليلتكما » فذكر الحديث (٤٨٨) . وفي الحديث : « ما أعطى أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر » (٤٨٩) . وقال على رضي الله عنه للأشعث بن قيس : إنك إن صبرت إيماناً واحتساباً وإلا سلوت كما تسلو البهائم . وكتب حكيم إلى رجل قد أصيب بمصيبة : إنك قد ذهب منك مارزئت به فلا يذهبن عنك ما عرضت عنه وهو الأجر . وقال آخر : العاقل يصنع أول يوم من أيام المصيبة ما يفعله الجاهل بعد خمسة أيام ، قلت : قد علم أن ممر الزمان يسلى المصاب ، فلذلك أمر الشارع بالصبر عند الصدمة الأولى ، وبلغ الشافعي رضي الله عنه أن عبد الرحمن ابن مهدي — رحمه الله — مات له ابن فجزع عليه عبد الرحمن جزعاً شديداً ، فبعث إليه الشافعي رحمه الله يقول : يا أخى عز نفسك بما تعزى به غيرك واستقبح من فعلك ماتستقبحه من فعل غيرك ، واعلم أن أمضى المصائب فقد سرور وحرمان أجر ، فكيف إذا اجتمعتا مع اكتساب وزر ؟ فتناول حظك يا أخى إذا قرب منك قبل أن تطلبه وقد نأى عنك ، ألهمك الله عند المصائب صبراً وأحرز لنا ولك بالصبر أجراً ، وكتب إليه يقول :

إني معزيك لا أنى على ثقة من الحياة ولكن سنة الدين
فما المعزى بياق بعد ميتة ولا المعزى ولو عاشا إلى حين
وكتب رجل إلى بعض إخوانه يعزيه بأبنة : أما بعد فإن الولد على والده
معايش حزن وفتنة ، فإذا قدمه فصلاة ورحمة ، فلا تحزن على ما فاتك من حزنه
وفتنه ، ولا تضيع ما عوضك الله تعالى من صلاته ورحمته .

وقال موسى بن المهدي لإبراهيم بن سلمة وعزاه بأبنة : أسرك وهو بلية وفتنة
وأحزنك وهو صلاة ورحمة ؟

وعزى رجل رجلاً فقال : إن من كان لك في الآخرة أجراً خيراً ممن كان في
الدنيا سروراً وفرحاً .

(٤٨٨) أخرجه الشيخان عن أنس .

(٤٨٩) أخرجه النسائي عن أبي سعيد الخدري .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه دفن ابناً له ثم ضحكك عند القبر ، فقليل له : أتضحك عند القبر ؟ فقال أردت أن أرغم الشيطان . وعن ابن جريج — رحمه الله — قال : من لم يتعرض مصيئته بالأجر والاحتساب سلا كما تسلو البهائم ، وعن حميد الأعرج قال : رأيت سعيد بن جبير — رحمه الله — يقول في ابنه ونظر إليه : إني أعلم خير خلة فيك ، قيل : وماهى ؟ قال : يموت فأحتسبه .

وعن الحسن البصرى رحمه الله : أن رجلاً حزن على ولد له وشكا ذلك إليه فقال الحسن : كان ابنك يغيب عنك ؟ قال : نعم كانت غيبته أكثر من حضوره ، قال : فاتركه غائباً فإنه لم يغب عنك غيبة إلا لك فيها أجر أعظم من هذه . فقال : ياأبا سعيد هونت على وجدى على ابنى .

ودخل عمر بن عبد العزيز على ابنه في وجعه فقال : يابنى كيف تجدك ؟ قال : أجدنى في الحق . قال : يابنى لأن تكون في ميزانى أحب إليّ من أن أكون في ميزانك . قال : يأبى لأن يكون ماتحب أحب إليّ من أن يكون مأحب .

ومات ابن الإمام الشافعى فأنشد يقول :

وما الدهر إلا هجداً فاصطبر له رزية مال أو فراق حبيب

ووقعت في رجل عروة الآكلة فقطعها من الساق ولم يسكه أحد وهو شيخ كبير ولم يدع ورده تلك الليلة . إلا أنه قال : (لقد لقينا من سفرنا هذا نصيباً) وتمثل بهذه الآيات :

لعمري ما أهويت كفى لرية ولا نقلتني نحو فاحشة رجلى
ولا قادنى سمعى ولا بصرى لها ولا دلنى رأى عليها ولا عقلى
وأعلم أنى لم تصبنى مصيبة من الدهر إلا قد أصابت فتى قبلى

وقال رضى الله عنه : اللهم إن كنت ابتليت فقد عافيت ، وإن كنت أخذت فقد أبقيت ، أخذت عضواً وأبقيت أعضاء وأخذت ابناً وأبقيت أبناء .

وقدم على الوليد في تلك الليلة رجل أعمى من بنى عبس فسأله عن عينيه فقال : بت ليلة في بطن واد ولم أعلم في الأرض عبسياً يزيد ماله على مالى ، فطرقنا سيل فذهب ما كان لى من مال وأهل وولد غير بعير وصبنى ، وكان البعير صعباً فنذ (أى شرد) فاتبعته ، فما جاوزت الصبى إلا ييسير حتى سمعت صوته فرجعت فإذا رأس الصبى في بطنه فقتله ، ثم اتبعت البعير لأخذه فنفحنى برجله فأصاب وجهى فحطمه وأذهب عيني ، فأصبحت لا أهل لى ولا مال ولا ولد ولا بعير .

فقال الوليد : انطلقوا به إلى عروة ليعلم أن في الأرض من هو أشد منه بلاء .

وذكر أن عثمان رضى الله عنه لما ضرب جعل يقول والدماء تسيل على لحيته : لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، اللهم إني أستعين بك عليهم ، وأستعينك على جميع أمورى ، وأسألك الصبر على ما ابتليتني .

وقال المدائنى : رأيت بالبادية امرأة لم أر جلدأ أنضر منها ولأحسن وجهأ منها ، فقلت : تالله إما فعل هذا بك إلا الاعتدال والسرور ، فقالت : كلا والله إني لبدع أحزان وخلف هموم ، وسأخبرك : كان لى زوج ، وكان لى منه ابنان ، فذبح أبوهما شاة في يوم الأضحى والصبيان يلعبان ، فقال الأكبر للأصغر : اتريد أن أريك كيف ذبح أبى الشاة قال : نعم . فذبحه ، فلما نظر إلى الدم جزع ففزع نحو الجبل فأكله الذئب فخرج أبوه في طلبه فتاه أبوه فمات عطشاً فأفردنى الدهر . فقلت لها : وكيف أنت والصبر ؟ فقالت : لو دام لى لدمت ، ولكنه كان جرحاً فاندمل .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من كان له قَوطان من أمتى دخل الجنة » يعنى ولدين .

قالت عائشة رضى الله عنها : بأى أنت وأمى فمن كان له فرط ؟ قال

عليه السلام : « ومن كان له فرط ياموفة » قلت : فمن لم يكن فرط من أمتك ؟ قال : « أنا فرط أمتي لم يصابوا بمثل » (٤٩٠).

وعن أبي عبيدة رضى الله عنه عن أبيه قال : قال رسول الله عليه السلام : « من قَدَّم ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث ، كانوا له حصناً من النار » فقال أبو الدرداء : قدمت اثنين ، قال : (واثنين) قال أبي بن كعب سيد الفراء قَدِّمت واحداً . قال عليه السلام : « وواحداً ولكن ذلك في أول صدمة » (٤٩١) . وعن وكيع قال : كان لإبراهيم الحرثي ابن وكان له عشر سنين ، قد حفظ القرآن وتفقه من الفقه والحديث شيئاً كثيراً ، فمات فجئت أعزيه قال لى : كنت أشتى موت ابني هذا . قلت : يا أبا إسحاق أنت عالم الدنيا تقول مثل هذا ؟ قد أنجب وحفظ القرآن وتفقه الفقه والحديث ! قال : نعم رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت وكأن صبيانا في أيديهم قلال ماء يستقبلون الناس يسقونهم ، وكان اليوم يوماً حاراً شديداً حره ، قال فقلت لأحدهم : اسقنى من هذا الماء . قال : فنظر إلى ، وقال لى : ليس أنت أبى ، فقلت : ومن أنتم ؟ قال : نحن الصبيان الذين متنا في الإسلام وخلفنا آباءنا نستقبلهم فنسقيهم الماء ، قال : فلهذا تمنيت موته .

وروى مسلم عن أبي حسان قال : قلت لأبي هريرة رضى الله عنه حدثنا بحديث تطيب به أنفسنا عن موتانا ، قال : نعم ، صغارهم دعاميص (٤٩٢) الجنة يتلقى أحدهم أباه أو قال أبويه ، فيأخذ بثوبه أو قال بيده فلا ينتهى حتى يدخله الجنة .

وعن مالك بن دينار — رحمه الله تعالى — قال كنت في أول أمرى مكبا على البلهو وشرب الخمر ، فاشتريت جارية وتسريت بها وولدت لى بنتاً فأحببتها حبا شديداً إلى أن دبت ومشيت فكنت إذا جلست لشرب الخمر جاءت وجذبتنى عليه ، فأهرقته بين يدي فلما بلغت من العمر سنتين ماتت فأكمدنى

(٤٩١) أخرجه ابن ماجه واحد .

(٤٩٠) أخرجه أحمد .

(٤٩٢) دعاميص : مفردا ديموص ، وهو اسم دوية صغيرة تكون لى مستقع الماء .

حزنها . قال ، فلما كان ليلة النصف من شعبان بت وأنا ثمل من الخمر ، فرأيت في النوم كأن القيامة قد قامت وخرجت من قـي ، وإذا بتنين قد تبعنى يريد أكلـي — والتنين الحية العظيمة — قال : فهربت منه فتبعنى ، وصار كلما أسرع يهرع خلفى وأنا خائف منه ، فمررت في طريقى على شيخ نقى الثياب ضعيف ، فقلت ، يا شيخ بالله أجزئى من هذا التنين الذى يريد أكلـي وإهلاكـي . فقال : يا ولدى أنا شيخ كبير وهذا أقوى منى ولا طاقة لى به ، ولكن مر وأسرع فلعل الله أن ينجيك منه . قال : فأسرعت فى الهرب وهو ورائى ، فأشرفت على طبقات النار وهى تفور ، فكدت أن أهوى فيها ، وإذا قائل يقول : لست من أهلى فرجعت هارباً ، والتنين فى أثرى ، فأشرفت على جبل مستدير وفيه طاقات وعليها أبواب وستور وإذا بقائل يقول : أدركوا هذا البائس قبل أن يدركه عدوه فتحت الأبواب ورفعت الستور وأشرفت على منها أطفال بوجوه كالآقمار وإذا ابنتى معهم ، فلما رأتنى نزلت إلى كفة من نور ، وضربت بيدها اليمنى إلى التنين فولى هارباً ، وجلست فى حجرى وقالت يا أبت ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾^(١٣) . فقلت : يا بنية وأنت تعرفون القرآن ؟ قالت : نحن أعرف به منكم . قلت : يا بنية ماتصنعون هاهنا ؟ قالت : نحن من مات من أطفال المسلمين أسكننا هاهنا إلى يوم القيامة نتنظركم تقدمون علينا . فقلت : يا بنية ماهذا التنين الذى يطاردنى ويريد إهلاكـي ؟ قالت : يا أبت ذلك عملك السوء قوته فأراد إهلاكك ، فقلت : ومن ذلك الشيخ الضعيف الذى رأيته ؟ قالت : ذلك عملك الصالح أضعفته حتى لم يكن له طاقة بعملك السوء فتب إلى الله ولا تكن من الهالكين ، قال : ثم ارتفعت عنى واستيقظت فتبت إلى الله من ساعتى .

فانظر — رحمك الله — إلى بركة الذرية إذا ماتوا صغاراً ذكوراً كانوا أو إناثاً ، وإنما يحصل للوالدين النفع بهما فى الآخرة : إذا صبروا واحتسبوا وقالوا :

الحمد لله إن الله وإنا إليه راجعون ، فيحصل لهم ما وعد الله تعالى بقوله : ﴿ الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله ﴾ أى نحن وأموالنا يصنع بنا ما يشاء ﴿ وإنا إليه راجعون ﴾^(٤٩٤) إقرار بالهلاك والفناء .

وعن ثوبان رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما أصاب عبداً مصيبة إلا بإحدى خلتين ، إما بذنب لم يكن الله ليغفر له إلا بتلك المصيبة . أو بدرجة لم يكن الله يبلغه إياها إلا بتلك المصيبة »^(٤٩٥) .

وقال سعيد بن جبير : لقد أعطيت هذه الأمة عند المصيبة ما لم تعط الأنبياء قبلهم : ﴿ إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾ ، ولو أعطيته الأنبياء عليهم السلام لأعطيه يعقوب عليه السلام إذ يقول (يا أسفى على يوسف) .

وعن أم سلمة رضى الله عنهما قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من قال عند المصيبة (إنا لله وإنا إليه راجعون) اللهم أوجرنى فى مصيبتى واخلف لى خيراً منها إلا آجره الله وأخلف له خيراً منها » قالت : فلما توفى أبو سلمة قالت : من خير من أبى سلمة ؟ ثم قلت فأخلفنى الله رسول الله ﷺ . رواه مسلم .

وعن الشعبي أن شريحاً قال : إنى لأصاب المصيبة فأحمد الله عليها أربع مرات : أحمده إذ لم يكن أعظم منها ، وأحمده إذ رزقنى الصبر عليها ، وأحمده إذ وفقنى للاسترجاع لما أرجو من الثواب ، وأحمده إذ لم يجعلها فى بيتى . وقوله ﴿ أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ﴾ الصلوات من الله الرحمة والمغفرة ﴿ وأولئك هم المهتدون ﴾^(٤٩٦) يريد الذين اهتموا للترجيع وقيل : إلى الجنة والثواب .

وعن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : نعم العبدان ونعم العلاوة (أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة) نعم العبدان (وأولئك هم المهتدون) نعم العلاوة .

(٤٩٥) أخرجه ابن أبى الدنيا ، وسنده ضعيف .

(٤٩٤) البقرة : ١٥٦ .

(٤٩٦) البقرة : ١٥٧ .

وأما إذا سخط صاحب المصيبة ودعا بالويل والثبور ، أو لطم خدا ، أو شق جيباً ، أو نشر شعراً أو حلقة ، أو قطعه أو نتفه ، فله السخط من الله تعالى وعليه اللعنة رجلاً كان أو امرأة .

وقد روى أيضاً أن الضرب على الفخذ عند المصيبة يحبط الأجر ، وقد روى أن من أصابته مصيبة فخرق عليها ثوباً أو لطم خدا أو شق جيباً أو نتف شعراً فكأنما رحماً يريد أن يحارب ربه . وقد تقدم أن الله عز وجل لا يعذب بيبكاء العين ولا يحزن القلب ، ولكن يعذب بهذا — يعنى مايقوله صاحب المصيبة بلسانه ، يعنى من الندب والنياحة . وقد تقدم أن الميت يعذب في قبره بما نوح عليه إذا قالت النائحة : واعضداه ، واناصراه واكاسياه ، جبذ الميت وقيل له : أنت عضدها ؟ أنت ناصرها ؟ أنت كاسيها ؟ فالنواح حرام ، لأنه مهيج للحزن ودافع عن الصبر ، وفيه مخالفة التسليم للقضاء والإذعان لأمر الله تعالى :

حكاية : قال صالح المري : كنت ذات ليلة جمعة بين المقابر فتمت ، وإذا بالقبور قد شققت وخرج الأموات منها وجلسوا حلقاتاً حلقاتاً ، ونزلت عليهم أطباق مغطاة ، وإذا فيهم شاب يعذب بأنواع العذاب من بينهم . قال : فتقدمت إليه وقلت : يا شاب ماشأئك تعذب من هؤلاء القوم ؟ فقال : يا صالح بالله عليك بلغ ماأمرك به ، وأد الأمانة ، وارحم غربتى ، لعل الله عز وجل أن يجعل لى على يديك مخرجاً : إني لما مت ولى والده جمعت النوادب والنوائح يندبن على وينحن كل يوم ، فأنا معذب بذلك ، النار عن يميني وعن شمالي وخلفي وأمامي لسوء مقال أُمى ، فلا جزاها الله عنى خيراً ، ثم بكى حتى بكيت لبكائه ثم قال : يا صالح بالله اذهب إليها فهي فى المكان الفلانى ، وعلم لى المكان ، وقل لها : لم تعذبين ولدك يأمماه ، ربيتني ومن الأسوء وقيتني ، فلما مت فى العذاب ربيتني .

يأأمماه لو رأيتيني : الأغلال فى عنقى ، والقيد فى قدمي ، وملائكة العذاب تضربني وتهزني ، فلو رأيت سوء حالى لرحمتيني ، وإن لم تتركى ماأنت عليه من الندب والنياحة الله بيني وبينك يوم تشقق نعاء عن سماء ، ويبرز الخلائق

لفصل القضاء . قال صالح : فاستيقظت فزعاً ، ومكثت في مكاني قلقاً إلى الفجر . فلما أصبحت دخلت البلد ولم يكن لي هم إلا الدار التي لأم الصبي الشاب ، فاستدللت عليها فأتيتها ، فإذا بالباب مسدود ، وصوت النوادب والنوائح خارج من الدار . فطرقت الباب فخرجت إلى عجوز ، فقالت : ماتريد يا هذا ؟ فقلت : أريد أم الشاب الذي مات فقالت : وماتصنع بها هي مشغولة بحزنها فقلت : أرسلها إليّ ، معي رسالة من ولدها . فدخلت فأخبرتها ، فخرجت أم وعليها ثياب سود ، ووجهها قد أسود من كثرة البكاء واللطم ، فقالت لي : من أنت ؟ قلت : أنا صالح المرى جرى لي البارحة في المقابر مع ولدك كذا وكذا ، رأيته في العذاب وهو يقول : يا أمي ربيّيني ومن الأسوء وقيّيني ، فلما مت في العذاب رميتيني ، وإن لم تتركي مأنّت عليه الله بيني وبينك يوم تشقق سماء عن سماء . فلما سمعت ذلك غشي عليها وسقطت إلى الأرض ، فلما أفاقت بككت بكاء شديداً ، وقالت : يا ولدي يعز عليّ ، ولو علمت ذلك بحالك ما فعلت ، وأنا تائبة إلى الله تعالى من ذلك ، ثم دخلت وصرفت النوائح وليست غير تلك الثياب ، وأخرجت إليّ كيساً فيه دراهم كثيرة ، وقالت : يا صالح تصدق بهذه عن ولدي . قال صالح : فودعتها ودعوت لها وانصرفت وتصدقت عن ولدها بتلك الدراهم ، فلما كان ليلة الجمعة الأخرى أتيت المقابر على عادتي فنمت . فرأيت أهل القبور قد خرجوا من قبورهم وجلسوا على عادتهم . وأتهم الأطباق ، وإذا ذاك الشاب ضاحك فرح مسرور فجاءه أيضاً طبق فأخذه ، فلما رآني جاء إليّ فقال : يا صالح جزاك الله عنى خيراً ، خفف الله عنى العذاب ، وذلك بترك أمي ما كانت تفعل ، وجاءني ما تصدقت به عنى . قال صالح : فقلت : وما هذه الأطباق ؟ فقال : هذه هدايا الأحياء لأمواتهم من الصدقة والقراءة والدعاء ينزل عليهم كل ليلة جمعة يقال له : هذه هدية فلان إليك فارجع إلى أمي وأقرئها مني السلام . وقل لها جزاها الله عنى خيراً . قد وصل إليّ ما تصدقت به عنى وأنت عندى عن قريب فاستعدى . قال صالح : ثم استيقظت وأتيت بعد أيام إلى دار أم الشاب . وإذا بنعش موضوع

على الباب ، فقلت : لمن هذا ؟ فقالوا : لأم الشاب ، فحضرت الصلاة عليها ودفنت إلى جانب ولدها بتلك المقبرة فدعوت لهما وانصرفت .

فنسأل الله أن يتوفانا مسلمين ، ويلحقنا بالصالحين ، ويعصمنا من النار ؛ إنه جواد كريم ، رؤوف رحيم .

[الكبيرة الخمسون : البغى]

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلَ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَتْلُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أَوْلِيكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٤٩٧) .

وقال النبي ﷺ : « إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يغى أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد » رواه مسلم .

وفي الأثر : لو بغى جبل على جبل لجعل الله الباغي منهما دكاً .

وقال ﷺ : « مامن ذنب أجدر أن يجعل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخره له في الآخرة من البغى وقطيعة الرحم » (٤٩٨) .

وقد خسف الله بقارون الأرض حين بغى على قومه ، فقد أخبر الله تعالى عنه بقوله : ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ ﴾ (٤٩) إلى قوله : ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ ﴾ (٤٩٩) الآية . قال ابن الجوزي رحمه الله : في بغى قارون أقوال (أحدها) أنه جعل للبغيه جعلاً على أن تقذف موسى عليه السلام بنفسها ففعلت ، فاستحلفها موسى ما قالت فأخبرته بقصتها مع قارون . وكان هذا غبه قاله ابن عباس ، (والثاني) أنه بغى بالكفر بالله عز وجل قاله الضحاك . (والثالث) بالكفر قاله قتادة . (والرابع) أنه أطال ثيابه شبراً قاله عطية الخراساني ، أنه كان يخدم فرعون فاعتدى على بني إسرائيل فظلمهم حكاها الماوردي .

(د) القصص : ٧٦ .

(٤٩٧) الشورى : ٤٢ .

(٤٩٩) القصص : ٨١ .

(٤٩٨) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ، عن أبي بكر ، وسنده صحيح .

قوله : ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارَهُ الْأَرْضَ ﴾ الآية ، لما أمر قارون البغية بقذف موسى على ما سبق شرحه غضب موسى فدعا عليه فأوحى الله إليه إني قد أمرت الأرض أن تطيعك فمرها ، فقال موسى : يا أرض خذيه ، فأخذته حتى غيبت سريره فلما رأى قارون ذلك ناشد موسى بالرحم ، فقال : يا أرض خذيه فأخذته حتى غيبت قدميه ، فمازال يقول يا أرض خذيه حتى غيبتته . فأوحى الله إليه يا موسى بعزقي وجلالي لو استغاثت بي لأغثته ! قال ابن عباس فخسفت به الأرض إلى الأرض السفلى . قال سمرة بن جندب : إنه كل يوم يخسف به قامة . قال مقاتل : فلما هلك قارون قال بنو إسرائيل إنما أهلكه موبى ليأخذ ماله وداره فخسف الله بداره وماله بعد ثلاثة أيام .

﴿ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ أى يمنعونه من الله .
﴿ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴾ أى من الممتنعين مما أنزل به ، والله أعلم .

اللهم إنك إذا قبلت سلمت ، وإذا أعرضت أسلمت ، وإذا وفقت أخست وإذا خذلت اتهمت .

اللهم أذهب ظلمة ذنوبنا بنور معرفتك وهداك ، واجعلنا ممن أقبلت عليه فأعرض عمن سواك ، واغفر لنا ولوالدينا وسائر المسلمين آمين .

[الكبيرة الحادية والخمسون : الاستطالة]

على الضعيف والمملوك والجارية والزوجة والدرب

لأن الله تعالى قد أمر بالإحسان إليهم بقوله تعالى :

﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ (٥٠٠) .

(٥٠٠) النساء : ٣٦ .

قال الواحدى فى قوله تعالى ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً﴾ أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم المهرجاني بإسناده عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : كنت رديف النبي ﷺ على حمار ، فقال يامعاذ ، قلت ، لييك وسعديك يارسول الله . قال : « هل تدري ماحق الله على العباد وماحق العباد على الله ؟ » قلت الله ورسوله أعلم ، قال « فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولايشركوا به شيئاً ، وحق العباد على الله أن لايعذب من لايشرك به شيئاً » (٥٠١) .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : أتى النبي ﷺ أعرابي فقال ، يابى الله أوصنى ، قال « لا تشرك بالله شيئاً وإن قطعت وحرقت ، ولا تدع الصلاة لوقتها ، فإنها ذمة الله ، ولا تشرب الخمر ؛ فإنها مفتاح كل شر » (٥٠٢) .

قوله : ﴿وبالوالدين إحساناً﴾ يريد البر بهما مع اللطف ولين الجانب ، ولا يغلظ لهما الجواب ، ولا يحد النظر إليهما ، ولا يرفع صوته عليهما ، بل يكد بين أيديهما مثل العبد بين يدي السيد تذلاً لهما . قوله ﴿وبذى القرى﴾ قال : يصلهم ويلعطف عليهم ، ﴿واليتامى﴾ يرفق بهم ويدنهم ويمسح رؤوسهم ، ﴿والمساكين﴾ ببذل يسير ورد جميل ، ﴿والجار ذى القرى﴾ يعنى الذى بينك وبينه قرابة فله حق القرابة وحق الجوار وحق الإسلام ، ﴿والجار الجنب﴾ هو الذى ليس بينك وبينه قرابة يقال : رجل جنب إذا كان غريباً متباعداً أهله ، وقوم أجانب . والجنابة : البعد . عن عائشة رضى الله عنها أن النبي ﷺ قال : «مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورته» وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الجار ليتعلق بالجار يوم القيامة يقول يارب أوسع على أخى هذا وأقترت على أمسى طاوياً ويمسى هذا شعبان ، لِمَ أغلق بابي عنى وحرمنى ماقد أوسعت به عليه » (٥٠٣)

(٥٠١) أخرجه الشيخان عن أبى هريرة .

(٥٠٢) أخرجه عن أبى الدرداء ، وسنده صحيح .

(٥٠٣) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد عن ابن عمر .

﴿ والصاحب بالجانب ﴾ قال ابن عباس ومجاهد هو الرفيق في السفر له حق الجوار وحق الصحبة . ﴿ وابن السبيل ﴾ هو الضعيف يجب إقراؤه إلى أن يبلغ حيث يريد ، وقال ابن عباس هو عابر السبيل تؤويه وتطعمه حتى يرحل عنك ﴿ وما ملكت أيمانكم ﴾ يريد المملوك يحسن رزقه ويعفو عنه فيما يخطيء وقوله : ﴿ إن الله لا يحب من كان مختالا فخوراً ﴾ ، قال ابن عباس : يريد بالمختال العظيم في نفسه الذي لا يقوم بحقوق الله ، والفخور هو الذي يفخر على عباد الله بما خوله الله من كرامته وما أعطاه من نعمه . عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « بينا رجل شاب ممن كان قبلكم يمشي في حلة مختالا فخوراً إذ ابتلعت الأرض فهو يتجلجل فيها حتى تقوم الساعة » (٥٠٤) وعن أسامة قال : سمعت ابن عمر يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة » (٥٠٥) . هذا ما ذكره الواحدى .

وكان رسول الله ﷺ عند خروجه من الدنيا في آخر مرضه يوصي بالصلاة ، وبالإحسان إلى المملوك ، ويقول : « الله الله الصلاة وما ملكت أيمانكم » (٥٠٦) .

وفي الحديث : « حسن الملكة بمن وسوء الملكة شؤم » (٥٠٧) وقال رسول الله ﷺ : « لا يدخل الجنة سيء الملكة » (٥٠٨) .

قال ابن مسعود رضي الله عنه : كنت أضرب مملوكاً لي بالسوط فسمعت صوتاً من وراءى « اعلم يا ابن مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام » قال ، قلت : يا رسول الله لا أضرب مملوكاً لي بعده أبداً . وفي رواية : سقط السوط من يدي من هيبة رسول الله ﷺ ، وفي رواية : فقلت هو حر لوجه

(٥٠٤) أخرجه الشيخان والدارمى عن أبى هريرة .

(٥٠٥) أخرجه أصحاب السنن .

(٥٠٦) أخرجه ابن حبان وأحمد عن أنس .

(٥٠٧) أخرجه أبو داود عن رافع ، وسنده ضعيف .

(٥٠٨) أخرجه ابن ماجه والترمذى عن أبى بكر .

الله، فقال: «أما إنك لو لم تفعل للفحتك النار يوم القيامة»، رواه مسلم .
وروى مسلم أيضاً من حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « من ضرب غلاماً له حذاً لم يأت به أو لطمه فكفارته أن يعتقه » ، ومن حديث حكيم بن حزام قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا » .

وفي الحديث : « من ضرب بسوط ظملاً اقتص منه يوم القيامة »^(٥٠٩) ،
وقيل لرسول الله ﷺ : كم نعو عن الخادم ؟ قال : « في اليوم سبعين مرة »^(٥١٠) .

وكان في يد النبي ﷺ يوماً سواك فدعا خادماً له فأبطأ عليه فقال :
« لولا القصاص لضربتك بهذا السواك »^(٥١١) ، وكان لأبي هريرة رضى الله عنه
جارية زنجية فرفع يوماً عليها السوط فقال : لولا القصاص لأغشيتك ولكن
سأبيعك لمن يوفيني ثمنك ، اذهبي فأنث حرة لوجه الله .

وجاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت يا رسول الله إني قلت لأمتي :
يا زانية ، قال : وهل رأيت عليها ذلك ؟ قالت : لا . أما أنها ستستقيد منك يوم
القيامة فرجعت إلى جارتها فأعطتها سوطاً ، وقالت : اجلديني^(٥١٢) . فأبت
الجارية فأعتقتها ثم رجعت إلى النبي ﷺ فأخبرته بعقبتها فقال : « عسى » أى
عسى أن يكفر عتقك لها ما قذفتها به .

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « من قذف مملوكه وهو برىء
مما قاله جلد يوم القيامة حذاً إلا أن يكون كما قال » . وفي الحديث « للمملوك
طعامه وكسوته ولا يكلف ما لا يطيق »^(٥١٣) ، وكان ﷺ يوصيهم عند خروجه

(٥٠٩) أخرجه البخارى في الأدب المفرد عن أبي هريرة .

(٥١٠) أخرجه الترمذى عن ابن عمر .

(٥١١) أخرجه الطبرانى عن أم سلمة ، وسنده صحيح .

(٥١٢) أخرجه الحاكم بنحوه عن عمرو بن العاص .

(٥١٣) أخرجه البيهقى وأحمد عن أبي هريرة .

من الدنيا ويقول : « الله الله في الصلاة وماملكت أيمانكم ، أطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تكتسون ، ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون ، فإن كلفتموهم فأعينوهم ولا تعذبوا خلق الله ، فإنه ملككم إياهم ولو شاء لملكهم إياكم » (٥١٤) .

ودخل جماعة على سلمان الفارسي رضي الله عنه وهو أمير على المدائن فوجدوه يعجن عجين أهله ، فقالوا له : ألا تترك الجارية تعجن ؟ فقال رضي الله عنه : إنا أرسلناها في عمل فكرهنا أن تجمع عليها عملاً آخر . وقال بعض السلف : لا تضرب المملوك في كل ذنب ولكن احفظ له ذلك ، فإذا عصي الله فاضربه على معصية الله ، وذكره الذنوب التي بينك وبينه .

(فصل) ومن أعظم الإساءة إلى المملوك والجارية التفريق بينه وبين ولده ، أو بينه وبين أخيه ؛ لما جاء عن النبي ﷺ أنه قال : « من فرق بين والدته وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة » (٥١٥) . قال على كرم الله وجهه : وهب لي رسول الله ﷺ غلامين أخوين فبعث أحدهما ، فقال رسول الله ﷺ : « رده رده » (٥١٦) . ومن ذلك أن يجوع المملوك والجارية والدابة يقول رسول الله ﷺ : « كفى بالمرء إثماً أن يحبس عمن يملك قوته » (٥١٧) ، ومن ذلك أن يضرب الدابة ضرباً جليلاً أو يجلسها ولا يقوم بكفايتها ، أو يحملها فوق طاقتها ؛ فقد روى في تفسير قول الله تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ (٥١٨) الآية . قيل : يؤتى بهم والناس وقوف يوم القيامة فيقضى بينها ، حتى إنه ليؤخذ للشاة الجلحاء من الشاة القرناء ، حتى يقاد للنوة من الدرة ، ثم يقال لهم : كونوا تراباً ، فهناك يقول الكافر : يا ليتني كنت تراباً وهذا من الدليل على القضاء بين البهائم وبين بني آدم ، حتى إن الإنسان لو ضرب دابة

(٥١٤) أخرجه الطبراني وأحمد بن حنبل عن زيد بن حارثة .

(٥١٥) أخرجه الحاكم وأحمد عن أبي أيوب .

(٥١٦) أخرجه الدارمي ، وسنده صحيح .

(٥١٧) أخرجه مسلم عن ابن عمرو .

(٥١٨) الامام : ٣٨ .

بغير حق أو جوعها أو عطشها أو كلفها فوق طاقتها فإنها تقتص منه يوم القيامة بقدر باظلمها أو جوعها . والدليل على ذلك ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « عذبت امرأة في هرة ربطتها حتى ماتت جوعاً . لاهى أطعمتها وسقتها إذ حبستها ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض » أى من حشراتنا .

وفي الصحيح أنه ﷺ رأى امرأة معلقة في النار والهرة تخدشها في وجهها وصدرها وهي تعذبها كما عذبتها في الدنيا بالحبس والجوع ، وهذا عام في سائر الحيوان وكذلك إذا حملها فوق طاقتها تقتص منه يوم القيامة لما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « بينا رجل يسوق بقرة إذ ركبها فضرها ، فقالت : إنا لم نخلق لهذا إنما خلقنا للحرث » . فهذه بقرة أنطقها الله في الدنيا تدافع عن نفسها بأنها لا تؤذى ولا تستعمل في غير ما خلقت له ، فمن كلفها غير طاقتها أو ضرها بغير حق فيوم القيامة تقتص منه بقدر ضره وتعذبه .

قال أبو سليمان الداراني : ركب مرة حمراً فضربه مرتين أو ثلاثاً ، ورفع رأسه ونظر إلى وقال : يا أبا سليمان هو القصاص يوم القيامة ، فإن شئت فأقتل ، وإن شئت فأكثر . قال : فقلت لا أضرب شيئاً بعده أبداً . ومروا ابن عمر بصبيان من قريش قد نصبوا طيراً وهم يرمونه وقد جعلوا لصاحبه كل خاطئة من نبلهم ، فلما رأوا ابن عمر تفرقوا فقال : من فعل هذا ؟ لعن الله من فعل هذا ؛ إن رسول الله ﷺ لعن من اتخذ شيئاً فيه الروح غرضاً ، والغرض كالهذف وما يرمى إليه ، نهى رسول الله ﷺ أن تصبر البهائم يعنى أن تحبس للقتل ، وإن كان مما أذن الشرع بقتله كالحية والعقرب والفأرة والكنب العقور ، قتله بأول دفعة ولا يعذبه ، لقوله عليه الصلاة والسلام : « إذا قتلتم فأحسنوا القتل وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته » (٥١٩) .

(٥١٩) أخرجه أصحاب السنن عن شداد بن أوس .

وكذلك لا يجرقه بالنار لما ثبت في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : « إني كنت أمرتكم أن تحرقوا فلاناً وفلاناً بالنار ، وإن النار لا يعذب بها إلا الله ، فإن وجدتموها فاقتلوهما » .

قال ابن مسعود : كنا مع رسول الله ﷺ في سفرة فانطلق لحاجته فرأينا حمرة^(٥٢٠) معها فرخان فأخذنا فرخيهما ، فجاءت الحمرة فجعلت ترفرف ، فجاء النبي ﷺ وقال : « من فجع هذه بولدها ؟ ردوا عليها ولديها ، ورأى رسول الله ﷺ قرية غل — أى مكان غل — قد أحرقتها فقال : من حرق هذه ؟ قلنا : نحن ، فقال عليه الصلاة والسلام : « إنه لا ينبغي لأحد أن يعذب بالنار إلا ربها »^(٥٢١) . وفيه من النهي عن القتل والتعذيب بالنار حتى في القملة والبرغوث وغيرها .

(فصل) ويكره قتل الحيوان عبثاً لما روى عن النبي ﷺ أنه قال : « من قتل عصفوراً عبثاً عجز إلى الله يوم القيامة ، وقال : يارب سل هذا لِمَ قتلني عبثاً ولم يقتلني لمنفعة ؟ »^(٥٢٢) .

ويكره صيد الطيور أيام فراخه ، لما روى ذلك في الأثر ، ويكره ذبح الحيوان بين يدي أمه ؛ لما روى عن إبراهيم بن أدهم رحمه الله ، قال : ذبح رجل عجلاً بين يدي أمه فأبى الله يده .

(فصل) في فضل عتق المملوك . عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو من أعضائه عضواً من أعضائه من النار حتى يعتق فرجه بفرجه » أخرجه البخاري .

وعن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ : « أيما امرئ مسلم أعتق امرأ مسلماً كان فكاً كالأل من النار يجزي كل عضو منه عضواً منه ، وأيما

^(٥٢٠) نوع من العصفور .

^(٥٢١) أخرجه الحاكم عن ابن مسعود .

^(٥٢٢) أخرجه الدارمي والنسائي عن ابن عمرو .

امرىء مسلم أعتق امرأتين مسلمتين كانتا فكاكه من النار يجزى كل عضوين منهما عضواً منه ، وأما امرأة مسلمة أعتقت امرأة مسلمة إلا كانت فكاكها من النار يجزى كل عضو منها عضواً منها » رواه الترمذى وصححه .
 اللهم اجعلنا من حزبك المفلحين وعبادك الصالحين .

[الكبيرة الثانية والخمسون : أذى الجار]

ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « والله لا يؤمن والله لا يؤمن قيل : من يارسول الله ؟ قال : من لا يأمن جاره بوائقه » أى غوائله وشروبه . وفى رواية : « لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه » وسئل رسول الله ﷺ عن أعظم الذنب عند الله فذكر ثلاث خلال : « أن تجعل لله نداً وهو خلقك ، وأن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك ، وأن تزنى بحليلة جارك » (٥٢٣) وفى الحديث : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره » (٥٢٤) . والجيران ثلاثة : جار مسلم قريب ، له حق الجوار ، وحق الإسلام ، وحق القرابة ، وجار مسلم ، له حق الجوار ، وحق الإسلام ، والجار الكافر له حق الجوار .

وكان ابن عمر رضى الله عنهما له جار يهودى ، فكان إذا ذبح الشاة يقول : احملا إلى جارنا اليهودى منها . وروى أن الجار الفقير يتعلق بالجار الغنى يوم القيامة ويقول : يارب سل هذا لِمَ منعنى معروفه وأغلق عنى بابه .

ينبغى للجار أن يحمل أذى الجار ، فهو من جملة الإحسان إليه . جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال يارسول الله دلنى على عمل إذا قمت به دخلت الجنة . فقال : « كن محسناً » ، فقال : يارسول كيف أعلم أنى محسن ؟ قال : « سل جيرانك فإن قالوا : إنك محسن فأنت محسن ، وإن قالوا : إنك

(٥٢٣) أخرجه الشيخان عن ابن مسعود .
 (٥٢٤) أخرجه أحمد والشيخان عن أبى هريرة .

مسيء فأنت مسيء » ذكره البيهقي من رواية أبي هريرة وجاء عن النبي ﷺ أنه قال : « من أغلق بابَه عن جاره مخافة على أهله وماله فليس بمؤمن ، وليس بمؤمن من لا يأمن جاره بوائقه » (٥٢٥) . وقيل : لأن يزني الرجل بعشر نسوة أيسر من أن يزني بامرأة جاره ، ولأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر من أن يسرق من بيت جاره . وفي سنن أبي داود من رواية أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يشكوه جاره فقال له « اذهب فاصبر » ، فأتاه مرتين أو ثلاثاً ثم قال « اذهب فاطرح متاعك على الطريق » ففعل ، فجعل الناس يمرون به ، ويسألونه عن حاله فيخبرهم خبره مع جاره ، فجعلوا يلعنون جاره ويقولون : فعل الله به وفعل ويدعون عليه ، فجاء إليه جاره وقال : يا أخى ارجع إلى منزلك فإنك لن ترى ماتكره أبداً .

وأن يحتمل أذى جاره وإن كان ذمياً ، فقد روى عن سهل بن عبد الله التستري رحمه الله أنه كان له جار ذمي ، وكان قد انبثق من كنيفه إلى بيت في دار سهل بئق ، فكان سهل يضع كل يوم الجفنة تحت ذلك البئق فيجتمع ما يسقط فيه من كنيف المجوسى ويطرحه بالليل حيث لا يراه أحد فمكث رحمه الله على هذه الحال زماناً طويلاً إلى أن حضرت سهلاً الوفاة ، فاستدعى جاره المجوسى وقال له : ادخل ذلك البيت وانظر ما فيه ، فدخل فرأى ذلك البئق والقدر يسقط منه في الجفنة ، فقال ما هذا الذى أرى ؟ قال سهل : هذا منذ زمان طويل يسقط من دارك إلى هذا البيت وأنا أتلقيه بالنهار وألقيه بالليل ، ولولا أنه حصرنى أجلى ، وأنا أخاف أن لا تتسع أخلاق غيرى لذلك وإلا لم أخبرك فافعل ماترى ، فقال المجوسى أيها الشيخ أنت تعاملنى بهذه المعاملة منذ زمان طويل وأنا مقيم على كفرى ؟ مد يدك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ثم مات سهل رحمه الله .

فنسأل الله أن يهدينا وإياكم لأحسن الأخلاق والأعمال والأقوال ، وأن يحسن عاقبتنا ؛ إنه جواد كريم رؤوف رحيم .

(٥٢٥) أخرجه ابن عدى في الكامل عن ابن عمرو ، وسنده ضعيف .

[الكبيرة الثالثة والخمسون : أذى المسلمين وشتيمهم]

قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴾^(٥٢٦) . وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾^(٥٢٧) . وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا ﴾^(٥٢٨) .

وقال ﷺ : « إن من شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من ودعه الناس أو تركه الناس اتقاء فحشه »^(٥٢٩) وقال ﷺ : « عباد الله إن الله وضع الحرج إلا من اقترض بعرض أخيه فذلك الذي حرج أو هلك »^(٥٣٠) .

وفى الحديث « كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه »^(٥٣١) . وقال عليه الصلاة والسلام « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم »^(٥٣٢) . وفيه أيضاً « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر »^(٥٣٣) .

وعن أنى هريرة رضى الله عنه قال : قيل يارسول إن فلانة تصلى الليل ، وتصوم النهار ، وتؤذى جيرانها بلسانها . فقال « لاخير فيها هي في النار » صححه الحاكم . وفى الحديث أيضاً « اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساوئهم »^(٥٣٤) . وقال رسول الله ﷺ « من دعا رجلا بالكفر أو قال ياعدو الله وليس كذلك إلا حار عليه »^(٥٣٥) . وقال عليه الصلاة والسلام « مرت ليلة أسرى نى يقوم لهم أظفار من النحاس يخمشون بها وجوههم »

(٥٢٦) الأحزاب : ٥٨ .

(٥٢٧) الحجرات : ١١ .

(٥٢٩) أخرجه الترمذى وأبو داود عن عائشة .

(٥٣١) أخرجه ابن ماجه عن أبي هريرة .

(٥٣٢) أخرجه النسائى عن ابن مسعود .

(٥٣٣) أخرجه الشيخان عن أنى ذو .

(٥٢٨) الحجرات : ١٢ .

(٥٣٠) أخرجه الطيالسى وأحمد عن أسامة بن شريك .

(٥٣٢) أخرجه الترمذى وأحمد .

(٥٣٤) أخرجه البيهقى والحاكم عن ابن عمر .

وصدورهم ، فقلت من هؤلاء ياجبريل ؟ فقال « هؤلاء الذين يأكلون لحوم
الباس ويقعون في أعراضهم » (٥٣٦) .

(فصل) في الترهيب من الإفساد والتحريش بين المؤمنين وبين البهائم
والدواب^١ : صح عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الشيطان قد آيس أن يعبد
المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم » (٥٣٧) ، فكل من حرش بين
اثنين من بنى آدم ونقل بينهما مايؤذى أحدهما فهو نمام من حزب الشيطان من
أشر الناس ، كما قال النبي ﷺ « ألا أخبركم بشراركم قالوا : بلى يا رسول الله ،
قال : شراركم المشاءون بالثيمة ، المفسدون بين الأحبة الباغون للبراء
العنت » (٥٣٨) والعنت : المشقة وصح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لا يدخل
الجنة نمام » (٥٣٩) ، والنمام هو الذي ينقل الحديث بين الناس وبين اثنين بما يؤذى
أحدهما ، أو يوحش قلبه على صاحبه أو صديقه ، بأن يقول له : قال عنك
فلان : كذا وكذا ، وفعل كذا وكذا ، إلا أن يكون في ذلك مصلحة أو فائدة ،
كتحذيره من شر يحدث أو يترتب ، وأما التحريش بين البهائم والدواب والطيور
وغيرها ، فحرام كمناقرة الديوك ونطاح الكباش وتحريش الكلاب بعضها على
بعض وما أشبه ذلك ، وقد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك فمن فعل ذلك فهو
عاص لله ورسوله . ومن ذلك إفساد قلب المرأة على زوجها ، والعبد على سيده .
لما روى أن رسول الله ﷺ قال : « من حُبب امرأة على زوجها ، أو عبداً على
سيده » (٥٤٠) نعوذ بالله من ذلك .

(فصل) في الترغيب في الإصلاح بين الناس ، قال الله تعالى : ﴿لَا خَيْرَ فِي
كَثِيرٍ مِّنْ لُّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ . وَمَنْ
يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُوْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٥٤١) . قال مجاهد :
هذه الآية عامة بين الناس ، يريد أنه لاخير فيما يتناجى فيه الناس ويخوضون فيه

(٥٣٧) أخرجه مسلم عن جابر .

(٥٣٨) أخرجه الشيخان عن حذيفة .

(٥٤١) النساء : ١١٣

(٥٣٦) أخرجه الضياء المقدسي وأحمد عن أنس .

(٥٣٨) أخرجه الطبراني وابن أبي شيبة عن ابن غنم .

(٥٤٠) أخرجه الضياء وأحمد عن ابن عباس .

من الحديث إلا ما كان من أعمال الخير ، وهو قوله ﴿ إلا من أمر بصدقة ﴾ ثم حذف المضاف ﴿ أو معروف ﴾ قال ابن عباس : بصلة الرحم ويطاعة الله ، ويقال لأعمال البر كلها معروف ؛ لأن العقول تعرفها . قوله تعالى ﴿ أو إصلاح بين الناس ﴾ هذا مما حث عليه رسول الله ﷺ فقال لأبي أيوب الأنصاري : « ألا أدلك على صدقة هي خير لك من حمر النعم » . قال : بلى يا رسول الله . قال : « تصلح بين الناس إذا تفاسدوا ، وتقرب بينهم إذا تباعدوا »^(٥٤٢) . وروى أم حبيبة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : « كلام ابن آدم كله عليه لا له إلا ما كان من أمر بمعروف أو نهى عن منكر أو ذكر الله »^(٥٤٣) .

وروى أن رجلاً قال لسفيان : ما أشد هذا الحديث ! قال سفيان : ألم تسمع إلى قول الله تعالى : ﴿ لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف ﴾ الآية . فهذا هو بعينه .

ثم علم سبحانه أن ذلك إنما ينفع من ابتغى به ما عند الله قال الله تعالى : ﴿ ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً ﴾ أى ثواباً لا حد له .

وفي الحديث « ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فيمنى خيراً أو يقول خيراً » رواه البخارى . وقالت أم كلثوم : ولم أسمع به ﷺ يرخص في شيء مما يقول الناس إلا في ثلاثة أشياء : في الحرب والإصلاح بين الناس وحديث الرجل زوجته وحديث المرأة زوجها^(٥٤٤) . وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بلغه أن بنى عمرو بن عوف كان بينهم شر ، فخرج رسول الله ﷺ يصلح بينهم في أناس معه من أصحابه ، رواه البخارى .

(٥٤٢) أخرجه الطبراني عن الس .

(٥٤٣) أخرجه البيهقي والحاكم عن أم حبيبة .

(٥٤٤) أخرجه مسلم عن أم كلثوم .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما عمل شيء أفضل من مشي إلى الصلاة أو إصلاح ذات البين وحلف جائز بين المسلمين » (٥٤٥) .

وقال رسول الله ﷺ : « من أصلح بين اثنين أصلح الله أمره ، وأعطاه بكل كلمة تكلم بها عتق رقبة ، ورجع مغفوراً ، مات قدم من ذنبه » (٥٤٦) وبالله التوفيق .

اللهم عاملنا بلطفك وتداركنا بعفوك يا أرحم الراحمين .

[الكبيرة الرابعة والخمسون :

أذية عباد الله والتطول عليهم]

قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بغيرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴾ (٥٤٧) . وقال الله تعالى : ﴿ وَاحْفَظْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٥٤٨) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إن الله تعالى قال : « من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب » ، وفي رواية « فقد بارزني بالمحاربة » (٥٤٩) ، أي أعلمته أني محارب له . وفي الحديث : إن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر فقالوا : ما أخذت سيوف الله من عدو الله مأخذها ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم ؟ فأتى النبي ﷺ فأخبروه ، فقال : يا أبا بكر لعلك أغضبتهم ، لقد أغضبت ربك . فأتاهم أبو بكر رضي الله عنه فقال : يا إخوتاه أغضبتكم ؟ قالوا : لا ، يغفر الله لك يا أخى » (٥٥٠) . وقولهم مأخذها ، أي لم تستوف حقها منه .

(٥٤٥) أخرجه الأصبهاني عن أنس بن مالك ، وسنده ضعيف .
(٥٤٦) الأحراب : ٥٨ .
(٥٤٧) الشعراء : ٢١٥ .
(٥٤٨) أخرجه مسلم عن عائذ بن عمرو .
(٥٤٩) أخرجه البيهقي وأبو نعيم ، عن أنس بن مالك .

(فصل) في قوله تعالى :

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ (٥٥١)

الآيات ، وهذه الآيات في تفضيل الفقراء ، وسبب نزولها أن النبي ﷺ أول من آمن به الفقراء ، وكذلك كل نبي أرسل أول من آمن به الفقراء ، فكان رسول الله ﷺ يجلس مع فقراء أصحابه مثل سلمان وصهيب وبلال وعمار بن ياسر رضي الله عنهم ، فأراد المشركون أن يحتالوا عليه في طرد الفقراء لما سمعوا أن علامة الرسل أن يكون أول أتباعهم الفقراء ، فجاء بعض رؤساء المشركين فقالوا : يا محمد اطردهم الفقراء عنك ، فإن نفوسنا تأنف أن تجالسهم ، فلو طردتهم عنك لآمن بك أشرف الناس ورؤسائهم (٥٥٢) ، فأنزل الله تعالى :

﴿وَلَا تُطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ (٥٥٣) .

فلما آيس المشركون من طردهم قالوا : يا محمد إن لم تطردهم فاجعل لنا يوماً ولهم يوماً ، فأنزل الله تعالى :

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (٥٥٤) .

أى لا تتعدهم ولا تتجاوز بنظرك رغبة عنهم وطلباً لصحبة أبناء الدنيا .

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ لَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ (٥٥٥) .

ثم ضرب لهم مثل الغنى والفقير بقوله : ﴿وَاصْبِرْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ﴾ (٥٥٦) ﴿وَاصْبِرْ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (٥٥٧) فكان رسول الله ﷺ يعظم الفقراء ويكرمهم .

(٥٥٢) أخرجه مسلم عن سعد بن أبي وقاص .

(٥٥٤) الكهف : ٢٨ .

(٥٥٦) الكهف : ٣٢ .

(٥٥١) الكهف : ٢٨ .

(٥٥٣) الانعام : ٥٢ .

(٥٥٥) الكهف : ٢٩ .

(٥٥٧) الكهف : ٤٥ .

ولما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة هاجروا معه فكانوا في صُفَّة المسجد
مقيمين متبتلين ، فسموا أصحاب الصفة ، فكان ينتمي إليهم من يهاجر من
الفقراء حتى كثروا — رضى الله عنهم . هؤلاء شاهدوا ما أعد الله لأوليائه من
الإحسان وعافيه بنور الإيمان ، فلم يعلقوا قلوبهم بشيء من الأكوان ، بل قالوا :
إياك نعبد ، ولك نخضع ونسجد ، ولك نهتدى ، ونسترشد ، وعليك نتوكل
ونعتمد ، وبذكرك نتنعم ونفرح ، وفي ميدان ودك نرتع ونسرح ، ولك نعمل
ونكدح ، عن بابك أبدأ لا نبرح ، فحينئذ عمر لهم سبيله وخاطب فيهم رسوله
فقال : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ ﴾^(٥٥٨) الآية ، أى : ولا تطرد
قوماً أمسوا على ذكر ربهم يتقبلون ، وإن أصبحوا فلبابه يتقبلون . لا تطرد قوماً
المساجد مأواهم ، والله مطلوبهم ومولاهم ، والجوع طعامهم والسهر إذا نام الناس
إدامهم ، والفقر والفاقة شعارهم ، والمسكنة والحياء دثارهم . ربطوا خيل عزمهم
على باب مولاهم ، وبسطوا وجوههم في محارب نجواهم ، فالفقر عام وخاص ،
فالعام : الحاجة إلى الله تعالى ، وهذا وصف كل مخلوق مؤمن وكافر ، وهو معنى
قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ﴾^(٥٥٩) الآية ، والخاص : وصف
أولياء الله وأحبابه ، خلّو اليدين من الدنيا ، وخلّو القلب من التعلق بها ، اشتغلا
بالله عز وجل وشوقاً إليه ، وأنسا بالفراغ والخلوة مع الله عز وجل .

اللهم أذقنا حلاوة مناجاتك ، وأن تسلك بنا طريق مرضاتك ، واقطع عنا
كل ما يبعدنا من حضرتك ، ويسر لنا ما يسره لأهل محبتك ، واغفر لنا ولوالدينا
وللمسلمين .

[الكبيرة الخامسة والخمسون : إسبال الإزار والثوب]

واللباس والسرّاويل تعزّزا وعجبا وفخرا وخيلاء

قال الله تعالى ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ
مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾^(٥٦٠) .

. ١٨ (٥٦٠) لقمان :

. ١٥ (٥٥٩) فاطر :

. ٥٢ (٥٥٨) الأنعام :

وقال النبي ﷺ : « مأسفل من الكعبين من الإزار فهو في النار » (٥٦١) . وقال عليه الصلاة والسلام « لا ينظر الله إلى من جر إزاره بطراً » (٥٦٢) . وقال عليه الصلاة والسلام : « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكهم وهم عذاب أليم : المسبل ، والمنان ، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب » (٥٦٣) .

وفي الحديث أيضاً : « بينا رجل يمشى في حلة تعجبه نفسه مرّجل رأسه يختال في مشيه إذ خسف به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة » (٥٦٤) . وقال عليه الصلاة والسلام : « من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة » ، (٥٦٥) وقال ﷺ : « الإسبال في الإزار والعمامة من جر شيئاً منها خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة » (٥٦٦) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إزرة المؤمن إلى نصف ساقيه ولا حرج عليه فيما بينه وبين الكعبين ، ما كان أسفل من الكعبين فهو في النار » (٥٦٧) . وهذا عام في السراويل والثوب والجبّة والقباء والفرجيه وغيرها من اللباس . فنسأل الله العافية ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « بينا رجل يصلي مسبلاً إزاره قال له رسول الله : اذهب فتوضأ ، ثم جاء فقال : اذهب فتوضأ فقال له رجل : يا رسول الله مالك أمرته أن يتوضأ ؟ ثم سكت عنه فقال : إنه كان يصلي وهو مسبل إزاره ، ولا يقبل الله صلاة رجل مسبلاً إزاره » (٥٦٨) .

ولما قال ﷺ : « من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة » ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : يا رسول الله إن إزارى يسترخى إلا أن أتعاذه ، فقال له رسول الله ﷺ : « إنك لست ممن يفعله خيلاء » (٥٦٩) .

اللهم عاملنا بلطفك الحسن الجميل برحمتك يا أرحم الراحمين .

-
- (٥٦١) سبق تخريجه .
 (٥٦٢) سبق تخريجه .
 (٥٦٣) أخرجه أصحاب السنن عن ابن عمر .
 (٥٦٤) أخرجه مالك وابن حبان عن أبي سعيد الخدري .
 (٥٦٥) أخرجه البخاري عن ابن عمر .
 (٥٦٦) أخرجه البخاري عن أبي هريرة .
 (٥٦٧) أخرجه البخاري عن أبي هريرة .
 (٥٦٨) أخرجه البخاري عن أبي هريرة .
 (٥٦٩) أخرجه البخاري عن أبي هريرة .

[الكبيرة السادسة والخمسون : لبس الحرير والذهب للرجال]

في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة » وهذا عام في الجند وغيرهم لقوله ﷺ : « حرم لبس الحرير والذهب على ذكور أمتي » (٥٧٠) .

وعن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه قال : نهانا رسول الله ﷺ أن نشرب في آنية الذهب والفضة وأن نأكل فيها ، وعن لبس الحرير والديباج وأن نجلس عليها ، أخرجه البخارى .

فمن استحل لبس الحرير من الرجال فهو كافر ، وإنما رخص فيه الشارع ﷺ لمن به حكمة أو جرب أو غيره ، وللمقاتلين عند لقاء العدو . وأما لبس الحرير للزينة في حق الرجال فحرام بإجماع المسلمين . سواء كان قباء أو قبطياً أو كلوثة وكذلك إذا كان الأكثر حريراً كان حراماً ، وكذلك الذهب لبسه حرام على الرجال ؛ سواء كان خاتماً أو حياصة أو سقط سيف حرام لبسه وعمله . وقد رأى النبي ﷺ في يد رجل خاتماً من ذهب فنزعه وقال : « يعمد أحدكم إلى جرة من نار فيجعلها في يده » (٥٧١) ، وكذلك طراز الذهب وكلوثة الزركش حرام على الرجال . واختلف العلماء في جواز لباس الصبي الحرير والذهب فرخص فيه قوم ومنع آخرون ، لعموم قوله ﷺ عن الحرير والذهب : « هذان حرام على ذكور أمتي حل لإناثهم » (٥٧٢) ، فدخل الصبي في النهي ، وهذا مذهب الإمام أحمد وآخرين — رحمهم الله .

فنسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى ؛ إنه جواد كريم .

[الكبيرة السابعة والخمسون : إباق العبد]

روى مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا أبق العبد لم تقبل له صلاة » وقال ﷺ : « أيما عبد أبق فقد برئت منه الذمة » (٥٧٣) .

(٥٧١) أخرجه مسلم والطبراني وابن ماجه عن ابن عباس .
(٥٧٣) أخرجه أحمد عن جرير .

(٥٧٤) أخرجه ابن ماجه عن أبي موسى .
(٥٧٢) أخرجه ابن ماجه وأحمد عن علي .

وروى ابن خزيمة في صحيحه من حديث جابر قال ، قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة لا يقبل الله لهم صلاة ولا يصعد لهم إلى السماء حسنة : العبد الآبق حتى يرجع إلى مولاه ، والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى ، والسكران حتى يصحو »^(٥٧٤) . وعن فضالة بن عبيد مرفوعاً : « ثلاثة لا يسأل عنهم : رجل فارق الجماعة وعصى إمامه ، وعبد آبق ومات عاصياً ، وامرأة عاب عنها زوجها وقد كفأها المؤونة ، فتبرجت بعده » — أى أظهرت محاسنها كما فعل أهل الجاهلية ، وهم ما بين عيسى ومحمد ﷺ . كذا ذكره الواحدى — رحمه الله .

[الكبيرة الثامنة والخمسون : الذبح لغير الله عز وجل]

مثل من يقول : باسم الشيطان أو الصنم أو باسم الشيخ فلان . قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكِّرْ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾^(٥٧٥) .

قال ابن عباس : يريد الميتة والمنخقة إلى قوله : ﴿ وَمَا ذَبَحَ عَلَى النَّصْبِ ﴾^(٥٧٦) وقال الكلبي : ما لم يذكر اسم الله عليه ، أو يذبح لغير الله تعالى وقال عطاء بنى عن ذبائح كانت تذبحها قريش والعرب على الأوثان . وقوله : ﴿ إِنَّهُ لَفَسَقٌ ﴾ يعنى : وإن كل ما لم يذكر اسم الله عليه من الميتة فسق أو خروج عن الحق والدين ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لِيُؤْخِرْنَ إِلَى أُولِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوا ﴾ أى يوسوس الشيطان لوليه فيلقى في قلبه الجدل بالباطل ، وهو أن المشركين جادلوا المؤمنين في الميتة . قال ابن عباس : أوحى الشيطان إلى أوليائه من الإنس كيف تعبدون شيئاً لا تأكلون ما يقتل وأنتم تأكلون ما قتلتم ؟ فأنزل الله هذه الآية ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ ﴾ يعنى فى استحلال الميتة ﴿ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾^(٥٧٧) ، قال الزجاج : وفى هذا دليل على أن كل من أحل شيئاً مما حرم الله أو حرم شيئاً مما أحل الله فهو مشرك .

(٥٧٥) الأنعام : ١٢١ .

(٥٧٦) الأنعام : ١٢١ .

(٥٧٤) أخرجه البيهقى فى الشعب .

(٥٧٦) الآية : ٣ .

فإن قيل : كيف أنجتم ذبيحة المسلم إذا ترك التسمية والآية كالنص في التجريم ؟ قلت : إن المفسرين فسروا ما لم يذكر اسم الله عليه في هذه الآية بالميتة ولم يحمله أحد على ذبيحة المسلم إذا ترك التسمية وفي الآية أشياء تدل على أن الآية في تحريم الميتة ، ومنها قوله ﴿وإنه لفسق﴾ ولا يفسق آكل ذبيحة المسلم التارك للتسمية .

ومنها قوله ﴿وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوك﴾ والمناظرة إنما كانت في الميتة بإجماع من المفسرين ، لا في ذبيحة تارك التسمية من المسلمين ، ومنها قوله : ﴿وإن أطعموهم إنكم لمشركون﴾ والشرك في استحلال الميتة لا في استحلال الذبيحة التي لم يذكر اسم الله عليها .

وقد أخبرنا أبو منصور بإسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سألت رجلاً رسول الله ﷺ فقال : أرايت الرجل منا يذبح وينسى أن يسمى الله تعالى ؟ فقال النبي ﷺ « اسم الله على فم كل مسلم » .

وأخبرنا أبو منصور أيضاً بإسناده عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال : « يكفيه اسمه وإن نسي يسمى حين يذبح فليسم ويذكر الله ثم ليأكل » .

وأخبرنا عمرو بن أبي عمرو بإسناده عن عائشة رضي الله عنها أن قوماً قالوا : يا رسول الله إن قوماً يأتوننا باللحم لا ندرى أذكر اسم الله عليه أم لا ؟ فقال رسول الله ﷺ : « سموا عليه وكلوا » ، هذا آخر كلام الواحدى — رحمه الله وقد تقدم قوله ﷺ : « لعن الله من ذبح لغير الله » .

[الكبيرة التاسعة والخمسون : فيمن ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم]

عن سعد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام » رواه البخارى .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لا ترغبوا عن آبائكم فمن رغب عن أبيه فهو كافر » رواه البخارى .

وفيه أيضاً : « من ادعى إلى غير أبيه فعليه لعنة الله » (٥٧٨) . وعن زيد بن شريك قال : رأيت علياً رضي الله عنه يخطب على المنبر فسمعتة يقول : والله ما عندنا من كتاب نقرؤه إلا كتاب الله تعالى وما في هذه الصحيفة فنشرها فإذا فيها أسنان الإبل وشيء من الجراحات ، وفيها : قال رسول الله ﷺ « المدينة حرام ما بين غير إلى ثور ، فمن أحدث فيها حدثاً ، أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله يوم القيامة منه صرفاً ولا عدلاً ، ومن تولى غير مواليه فعليه مثل ذلك ، وذمة المسلمين واحدة » رواه البخاري . وعن أبي ذر أنه سمع النبي ﷺ يقول : « ليس منا رجلا ادعى إلى غير أبيه وهو يعلمه إلا كفر ، ومن ادعى ماليس له فليس منا وليتأمر مقعده من النار ، ومن دعا رجلا بالكفر ، أو قال : ياعدو الله وليس كذلك إلا حار عليه » أي رجع عليه ، ورواه مسلم . فنسأل الله العفو والعافية والتوفيق لما يحب ويرضى ، إنه جواد كريم .

[الكبيرة الستون : الجدل والمراء واللد]

قال الله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴾ (٥٧٩) .

وما يذم من الألفاظ : المراء ، والجدال ، والخصومة .

قال الإمام « حجة الإسلام » الغزالي رحمه الله : « المراء : طعنك في كلام لإظهار خلل فيه لغير غرض سوى تحقير قائله وإظهار مزيتك عليه . وقال : وأما الجدال فعبارة عن أمر يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها . قال : وأما الخصومة فلججاج في الكلام ليستوفي به مقصوداً عن مال أو غيره ، وتارة يكون ابتداء ، وتارة يكون اعتراضاً . والمراء لا يكون إلا اعتراضاً . هذا كلام الغزالي .

(٥٧٨) أخرجه أبو داود عن أنس .

(٥٧٩) البقرة : ٢٠٤ - ٢٠٥ .

وقال النووي رحمه الله: اعلم أن الجدل قد يكون بحق وقد يكون بباطل ، قال الله تعالى : ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (٥٨٠) ، وقال تعالى : ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (٥٨١) ، وقال الله تعالى : ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (٥٨٢) ، قال : فإن كان الجدل للوقوف على الحق وتقديره كان محمودا ، وإن كان في مدافعة الحق ، أو كان جدالا بغير علم كان مذموماً ، وعلى هذا التفصيل تنزل النصوص الواردة في إباحته وذمه . والمجادلة والجدال معنى واحد . قال بعضهم : ما رأيت شيئا أذهب للدين ، ولا أنقص للمروءة ، ولا أشغل للقلب من الخصومة .

(فإن قلت) لا بد للإنسان من الخصومة لابتغاء حقوقه ، (فالجواب) ما أجاب به الغزالي رحمه الله : اعلم أن الذم للتأكد إنما هو لمن خاصم بالباطل وبغير علم ، كوكيل القاضي ، فإنه يتوكل في الخصومة قبل أن يعرف الحق في أى جانب هو فيخاصم بغير علم .

ويدخل في الذم أيضا من يطلب حقه ؛ لأنه لا يقتصر على قدر الحاجة بل يظهر اللدد والكذب والإيذاء والتسلط على خصمه ، كذلك من خلط بالخصومة كلمات تؤذى وليس له إليها حاجة في تحصيل حقه ، كذلك من يحمل على الخصومة محض العناد لقهر الخصم وكسره ، فهذا هو المذموم .

وأما المظلوم الذي ينصر حجته بطريق الشرع ، من غير لدد وإسراف وزيادة لجأ على الحاجة ، من غير قصد عناد ولا إيذاء ، ففعل هذا ليس حراماً ، ولكن الأولى تركه ما وجد إليه سبيلا ، لأن ضبط اللسان في الخصومة على حد الاعتدال متعذر ، والخصومة توغر الصدور ، وتهيج الغضب ، وإذا هاج الغضب حصل الحقد بينهما ، حتى يفرح كل واحد منهما بمساءة الآخر ، ويحزن لمسرته ، ويطلق لسانه في عرضه . فمن خاصم فقد تعرض لهذه الآفات ، وأقل مافيه

(٥٨١) النحل : ١٢٥ .

(٥٨٠) العنكبوت : ٤٦ .

(٥٨٢) غافر : ٤ .

اشتغال القلب حتى إنه يكون في صلاته، وخاطره متعلق بالمحاجة والخصومة، فلا تبقى حاله على الاستقامة . والخصومة مبدأ الشر ، وكذا الجدل والمرء . فينبغي للإنسان ألا يفتح عليه باب الخصومة إلا لضرورة لا بد منها .
روينا في كتاب الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « كفى بك إثماً لا تزال محاصماً » .

وجاء عن على رضى الله عنه قال : إن الخصومة لها قُحْم . قلت : القُحْم — بضم القاف وفتح الحاء المهملة — وهى : المهالك .
(فصل) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من جادل فى خصومة بغير علم لم يزل فى سخطٍ حتى ينزع »^(٥٨٣) .

وعن أبى أمامة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل »^(٥٨٤) ، ثم تلا « مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا^(٥) » الآية .

وقال النبى ﷺ : « أخوف ما أخاف عليكم زلة عالم ، وجدال منافق فى القرآن ، ودنيا تقطع أعناقكم »^(٥٨٥) رواه ابن عمر .
وقال النبى : « المرء فى القرآن كفر »^(٥٨٦) .

(فصل) يكره التغير فى الكلام بالتشديق ، وتكلف السجع بالفصاحة بالمقدمات التى يعتادها المتفاهصيحون ، فكل ذلك من التكلف المذموم ، بل ينبغى أن يقصد فى مخاطبته لفظاً يفهمه جلياً ولا يثقله .

روينا فى كتاب الترمذى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله يغيض البليغ من الرجال الذى يتخلل

(٥٨٥) أخرجه الطبرانى بنحوه عن معاذ ، وسنده ضعيف

(٥٨٦) أخرجه الحاكم عن أبى هريرة

(٥٨٣) أخرجه الأصبهانى ، وسنده ضعيف .

(٥٨٤) أخرجه أحمد والحاكم عن أبى أمامة .

(٥) الزعرور : ٥٨ .

بلسانه كما تتخلل البقرة » . قال الترمذى : حديث حسن ، وروينا فيه أيضاً عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن من أحبكم إلى وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً ، وإن من أبغضكم إلى وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون . قالوا : يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون ، فما المتفيهقون ؟ قال : المتكبرون » قال الترمذى : حديث حسن قال : والثرثار هو كثير الكلام ، والمتشدد من يتناول على الناس في الكلام ويبدو عليهم .

واعلم أنه لا يدخل في الذم تحسين ألفاظ الخطب والمواظ ، إذا لم يكن فيها إفراط وإغراب ، إلا أن المقصود منها تهيج القلوب إلى طاعة الله تعالى ولحسن اللفظ في هذا أثر ظاهر ، والله أعلم .

[الكبيرة الحادية والستون : منع فضل الماء]

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَّعِينٍ ﴾ (٥٨٧) .

قال النبي ﷺ : « لا تمنعوا فضل الماء تمنعوا به الكأ » (٥٨٨) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من منع فضل مائه وفضل كلته منعه الله فضله يوم القيامة » (٥٨٩) .

وقال رسول الله ﷺ : « ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : رجل على فضل ماء بفلاة يمنعه ابن السبيل ، ورجل بايع إماماً لا يبايعه إلا للدنيا ، فإن أعطاه منها وفى له ، وإن لم يعطه منها لم يف له ، ورجل بايع رجلاً بسلعة بعد العصر ، فحلف له بالله لأخذتها بكذا وكذا ، فصدقه وهو على غير ذلك » أخرجاه في الصحيحين وزاد البخارى :

(٥٨٧) الملك : ٣٠ .

(٥٨٨) أخرجه أصحاب البني عن أبي هريرة .

(٥٨٩) أخرجه أحمد عن ابن عمرو .

« ورجل منع فضل مائه فيقول الله : اليوم أمنعك فضلي كما منعت فضل مالم تعمل يدك » .

[الكبيرة الثانية والستون : نقص الكيل والذراع وما أشبه ذلك]

قال الله تعالى : ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾^(٥٩٠) يعنى الذين ينقصون الناس ويخسون حقوقهم فى الكيل والوزن . قوله : ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾^(٥٩١) يعنى يستوفون حقوقهم منها قال الزجاج : المعنى إذا أكتالوا من الناس استوفوا عليهم وكذلك إذا اتزنوا ولم يذكر (إذا اتزنوا) لأن الكيل والوزن بهما الشراء والبيع فيما يكال ويوزن فأحدهما يدل على الآخر . ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾^(٥٩٢) أى ينقصون فى الكيل والوزن . وقال العدى : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وبها رجل يقال له : أبو جهينة له مكيالان ، يكيل بأحدهما ، ويكتال بالآخر ، فأنزل الله هذه الآية .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « خمس بخمس » ، قالوا : يارسول الله وما خمس بخمس ؟ قال : مانقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم وماحكموا بغير ماأنزل الله إلا فشا فيهم الفقر ، وماظهرت فيهم الفاحشة إلا أنزل الله بهم الطاعون « يعنى كثرة الموت » ، ولاطفقوا الكيل إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ، ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم المطر »^(٥٩٣) ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾^(٥٩٤) ، قال الزجاج : المعنى لو ظنوا أنهم مبعوثون ما نقصوا فى الكيل والوزن ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾^(٥٩٥) أى يوم القيامة (يوم يقوم الناس) من قبورهم ﴿لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٥٩٦) أى لأمره ولجرائه وحسابه ، وهم يقومون بين يديه لفصل القضاء . وعن مالك بن دينار قال : دخل على جارى وقد نزل به الموت وهو يقول : جيلين من نار ، جيلين من نار . قال قلت : ماتقول ؟ قال :

(٥٩٠) (٥٩١) (٥٩٢) المطففين : ١ ، ٢ ، ٣ .

(٥٩٣) أخرجه الطبرانى عن ابن عباس .

(٥٩٤) المطففين : ٤ .

(٥٩٥) (٥٩٦) المطففين : ٥ - ٦ .

يأبأ يحيى كان لى مكيا لان ، كنت أكيل بأحدهما وأكتال بالآخر . وقال مالك ابن دينار : فقممت فجعلت أضرب أحدهما بالآخر . فقال : يأبأ يحيى كلما ضربت أحدهما بالآخر ازداد الأمر عظماً وشدة ، فمات فى مرضيه .

والمطفف : هو الذى ينقص الكيل والوزن مطففاً ؛ لأنه لا يكاد يسرق إلا الشيء الطفيف ، وذلك ضرب من السرقة والخيانة وأكل الحرام . ثم وعد الله من فعل ذلك بويل وهو شدة العذاب . وقيل : واد فى جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لذابت من شدة حره .. وقال بعض السلف : أشهد على كل كىال أو وزن بالنار ؛ لأنه لا يكاد يسلم إلا من عصم الله ، وقال بعضهم : دخلت على مريض وقد نزل به الموت ، فجعلت ألقنه الشهادة ولسانه لا ينطق بها ؟ فلما أفاق قلت له : يا أخى مالى ألقنك الشهادة ولسانك لا ينطق بها ؟ قال : يا أخى لسان الميزان على لسانى يمنعنى من النطق بها . فقلت له : بالله أكنت وزن ناقصاً ؟ قال : لا والله ولكن ماكنت أقف مدة لأختبر صحة ميزانى فهذا حال من لايعتبر صحة ميزانه ، فكيف حال من وزن ناقصاً ؟

وقال نافع : كان ابن عمر يمر بالبائع فيقول : اتق الله وأوف الكيل والوزن ، فإن المطففين يوقفون حتى إن العرق ليلجمهم إلى أنصاف آذانهم ، وكذا التاجر إذا شدّ يده فى الذراع وقت البيع ، وأرخى وقت الشراء ، وكان بعض السلف يقول : ويل لمن يبيع بحبة يعطيها ناقصة جنة عرضها السماوات والأرض ، وويل لمن يشتري الويل بحبة يأخذها زائدة « فنسأل الله العفو والعافية من كل بلاء ومحنة ؛ إنه جواد كريم .

[الكبيرة الثالثة والستون : الأمن من مكر الله]

قال الله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فَرَّخُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً ﴾ (٥٩٧) أى أخذهم عذابنا من حيث لايشعرون . قال الحسن : من وسّع الله عليه فلم ير أنه

ثمكر به ، فلا رأى له ، ومن قتر عليه فلم ير أنه ينظر إليه ، فلا رأى له ثم قرأ هذه الآية :

﴿ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ (٥٩٨) .

وقال : مكر بالقوم ورب الكعبة ، أعطوا حاجتهم ثم أخذوا .

وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه أنه رسول الله ﷺ قال : « إذا رأيت الله يعطى العبد ما يحب وهو مقيم على معصيته فإنما ذلك منه استدراج » (٥٩٩) ، ثم قرأ :

﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ (٦٠٠) .

الإبلاس : اليأس من النجاة عند ورود الهلكة ، وقال ابن عباس أيسوا من كل خير وقال الزجاج : المبلس : الشديد الحسرة اليأس .

وفى الأثر : إنه لما مكر إبليس — وكان من الملائكة — طفق جبريل وميكايل يكيان ، فقال الله عز وجل لهما : مالكما تكيان ؟ قالا : يارب مانأمن مكرك فقال الله تعالى ﴿ هكذا كونا لا تأمنا مكرى ﴾ . وكان النبي ﷺ يكرر أن يقول : « يامقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك » فقل له : يا رسول الله أتخاف علينا ؟ فقال رسول الله ﷺ : « إن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء » (٦٠١) .

وفى الحديث الصحيح « إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها » . وفى صحيح البخارى عن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه

(٥٩٨) الأنعام : ٤٤ .

(٥٩٩) أخرجه البيهقي فى الشعب ، وسنده صحيح .

(٦٠٠) الأنعام : ٤٤ .

(٦٠١) أخرجه الحاكم وابن ماجه عن انس .

النبي ﷺ قال : « إن الرجل ليعمل بعمل أهل النار ، وإنه من أهل الجنة ، ويعمل الرجل بعمل أهل الجنة ، وإنه من أهل النار ، وإنما الأعمال بالخواتيم » .

وقد قص الله تعالى في كتابه العزيز قصة بلعام وأنه سلب الإيمان بعد العلم والمعرفة ، وكذلك برصيصا العابد مات على الكفر ، وروى أنه كان رجل بمصر ملتزم المسجد للأذان والصلاة ، وعليه بهاء العبادة وأنوار الطاعة ، فرق يوماً المنارة على عادته للأذان ، وكان تحت المنارة دار لنصراني ذمي ، فاطلع فيها فرأى ابنة صاحب الدار — وكانت جميلة — فافتتن بها ، وترك الأذان ، ونزل إليها فقالت له : ماشأنك وما تريد ؟ فقال : أنت أريد . قالت : لأجيبك إلى رغبة . قال لها : أتزوجك قالت له : أنت مسلم وأبى لايزوجني بك ، قال : أنتصر . قالت له : إن فعلت أفعل ، فتنصر ليتزوج بها وأقام معهم في الدار ، فلما كان في أثناء ذلك اليوم رقى إلى سطح كان في الدار فسقط فمات ، فلا هو فاز بدينه ولا هو تمتع بها ، نعوذ بالله من مكره وسوء العاقبة وسوء الخاتمة . وعن سالم عن عبد الله قال : كان كثيراً ما كان رسول الله ﷺ يحلف : « لا ومقلب القلوب » رواه البخاري ، ومعناه يصرفها أسرع من ممر الريح على اختلاف في القبول والرد والإرادة والكره وغير ذلك من الأوصاف . وفي التنزيل : ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾^(١٠٢) قال مجاهد : المعنى يحول بين المرء وعقله حتى لا يدري ما تصنع بنانه ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾^(١٠٣) أى عقل ، واختار الطبري أن يكون ذلك إخباراً من الله تعالى أنه أملك لقلوب العباد منهم ، وأنه يحول بينهم وبينها — إن شاء — حتى لا يدرك الإنسان شيئاً إلا بمشيئة الله عز وجل . وقالت عائشة رضی الله عنها : كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول : « يامقلب القلوب ثبت قلبي على طاعتك . فقلت : يا رسول الله إنك تكثر أن تدعو بهذا فهل تخشى ؟ قال : وما يؤمنني يا عائشة وقلوب العباد بين أصبعين

(١٠٢) الأنفال : ٢٤ .

(١٠٣) ق : ٣٧ .

من أصابع الرحمن يقلبها كيف شاء ، إذا أراد أن يقلب قلب عبد قلبه » (١٠٠) .
 فإذا كانت الهداية معروفة والاستقامة على مشيئته موقوفة والعاقبة مغنية والإرادة غير
 مغالبة ، فلا تعجب بإيمانك وعملك وصلاتك وصومك وجميع قُربك ، ذلك إن
 كان من كسبك ، فإنه من تخلق ربك وفضله الدار عليك ، فمهما افتخرت
 بذلك كنت مفتخراً بمناجاة غيرك ، ربما سلبه عنك فعاد قلبك من الخير أخلى من
 جوف العير .

فكم من روضة أمت وزهرها يانع عميم ، أضحت وزهرها يابس
 هشيم ، إذهبت عليها الريح العقيم ، كذلك العبد يمسي وقلبه بطاعة الله مشرق
 سليم . ويصبح وهو بمعصية الله مظلّم سقيم ، ذلك تقدير العزيز العليم .

ابن آدم . الأفلام عليك تجرى ، وأنت في غفلة لاتدرى ، ابن آدم دع
 المغاني والأوتار ، والمنازل والديار ، والتنافس في هذه الدار ، حتى ترى ما فعلت في
 أمرك الأقدار ، قال الربيع سئل الإمام الشافعي رحمه الله تعالى :

[الكبيرة الرابعة والستون : أذية أولياء الله (الموجود هو آخرها فقط)]

ينادى مناد من قبل العرش أين فلان ؟ أين فلان ؟ فلا يسمع أحد ذلك
 الصوت إلا وتضطرب فرائضه ، قال : فيقول الله عز وجل لذلك الشخص ، أنت
 المطلوب هلم إلى العرض على خالق السموات والأرض ، فيشخص الخلق
 بأبصارهم تجاه العرش ويوقف ذلك الشخص بين يدي الله عز وجل ، فيلقى الله
 عز وجل عليه من نوره ، يستره عن المخلوقين ، ثم يقول له عبدي أما علمت أني
 كنت أشاهد عمرك في دار الدنيا ؟ فيقول ، بلى يارب ، فيقول الله تعالى ،
 عبدي أما سمعت بنقمتي وعذابي لمن عصاني ؟ فيقول ، بلى يارب ، فيقول الله
 تعالى ، أما سمعت بجزائي وثوابي لمن أطاعني ؟ فيقول ، بلى يارب ، فيقول الله
 تعالى ، يا عبدي عصيتني ؟ فيقول ، يارب قد كان ذلك ، فيقول الله تعالى ،
 عبدي فما ظنك اليوم بي ؟ فيقول يارب أن تعفو عني ، فيقول الله تعالى ، عبدي

(٦٠٤) سبق ترجمته .

تحققت أنى أعفو عنك ؟ فيقول : نعم يارب لأنك رأيتنى على المعصية وسترتها علىّ قال : فيقول الله عز وجل : قد عفوت عنك ، وغفرت لك . ، وحققت ظنك ، خذ كتابك بيمينك ، فما كان فيه من حسنة فقد قبلتها ، وما كان من سيئة فقد غفرتها لك ، وأنا الجواد الكريم .

إلهنا لولا محبتك للغفران مأمهلت من ييارزك بالعصيان ، ولولا عفوك وكرمك ماسكنت الجنان .

اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنا .

اللهم انظر إلينا نظر الرضى ، وأثبتنا فى ديوان أهل الصفا ، ونحنا من ديوان أهل الجفا .

اللهم حقق بالرجاء آمالنا ، وحسن فى جميع الأحوال أعمالنا ، وسهل فى بلوغ رضاك سبلنا ، ونخذ إلى الخيرات بنواصينا ، وآتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . .

[الكبيرة الخامسة والستون : تارك الجماعة فيصلى

وحده من غير عذر]

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال لقوم يتخلفون عن الجماعة (لقد هممت أن آمر رجلاً يصلى بالناس ثم أحرق على رجال يتخلفون عن الجماعة بيوتهم) رواه مسلم ، وقال عليه الصلاة والسلام : « ليتبين أقوام عن ودعهم الجماعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين » رواه مسلم .

وقال ﷺ : « من ترك ثلاث جمع تهاوناً بها طبع الله على قلبه » أخرجه . أبو داود والنسائى ، وقال : « من ترك الجمعة من غير عذر ولا ضرر كتب منافقاً فى ديوان لا يمحي ولا يبدل » (٦٠٥) .

(٦٠٥) أخرجه الطبرانى عن أسامة بن زيد .

وعن حفصة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « روح الجمعة واجب على كل محتلم »^(٦٦) أى على كل بالغ .
فنسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى ؛ إنه جواد كريم .

[الكبيرة السادسة والستون : الإصرار على ترك صلاة الجمعة والجماعة من غير عذر]

قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهُفُهُمْ ذِلَّةً وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴾^(٦٧) .

قال كعب الأحبار : ما نزلت هذه الآية إلا فى الذين (يتخلفون عن الجماعات . وقال سعيد بن المسيب لإمام التابعين — رحمه الله — : كانوا يسمعون حتى على الصلاة حتى على الفلاح فلا يجيبون وهم سالمون أصحاب .

وفى الصحيحين : أن رسول الله ﷺ قال : « والذى نفسى بيده لقد هممت أن آمر بحطب يحطب ، ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها ، ثم آمر رجلاً فيؤم الناس ، ثم أخالف إلى رجال لأشهدون الصلاة فى الجماعة ، فأحرق عليهم بيوتهم بالنار » . وفى رواية لمسلم أيضاً من حديث أبى هريرة « لقد هممت أن آمر فتيى أن يجمعوا لى حزمأ من حطب ثم آتى قومأ يصلون فى بيوتهم ليست بهم علة فأحرقها عليهم » . وفى هذا الحديث الصحيح والآية التى قبله وعيد شديد لمن يترك صلاة الجماعة من غير عذر ، فقد روى أبو داود فى سننه بإسناده إلى ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « من سمع المنادى فلم يمنع من إتيانه عذر — قيل : وما العذر يارسول الله ؟ قال : خوف ، أو مرض — لم تقبل منه الصلاة التى صلى » يعنى فى بيته .

(٦٦) أخرجه الطحاوى وأبو داود عن حفصة .

(٦٧) القلم : ٤٢ — ٤٣ .

وروى الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه سئل عن رجل يصوم النهار ويقوم الليل ، ولا يصلى فى جماعة ولا يُجمع ، فقال : إن مات هذا فهو فى النار .

وروى مسلم أن رجلاً أعمى جاء إلى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله ليس لى قائد يقودنى إلى المسجد فهل لى رخصة أن أصلى فى بيتى ؟ فرخص له ، فلما ولى دعاه فقال : هل تسمع النداء بالصلاة ؟ قال : نعم ، قال : « فأجب » . وفى رواية أبى داود أن ابن أم مكتوم جاء إلى النبى ﷺ وقال : يا رسول الله إن المدينة كثيرة الهوام والسباع وأنا ضرير البصر فهل لى رخصة أن أصلى فى بيتى ؟ فقال له النبى ﷺ : « تسمع حى على الصلاة حى على الفلاح » ؟ قال : نعم . قال : « فأجب ، فحى هلا » . وفى رواية إنه قال : يا رسول الله إنى ضرير شاسع الدار ، ولى قائد لا يلائمنى فهل لى رخصة ؟ وقوله « فحى هلا » أى تعال وأقبل .

وروى الحاكم فى مستدركه على شرط الصحيحين عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « ومن سمع النداء فلم يمنعه من اتباعه عذر فلا صلاة له » . قالوا : وما العذر يا رسول الله ؟ قال : « خوف أو مرض » وجاء عن النبى ﷺ أنه قال : « لعن الله ثلاثة — من تقدم قوماً وهم له كارهون ، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط ، ورجلا سمع حى على الصلاة حى على الفلاح ثم لم يجب » (٦٠٨) . قال أبو هريرة « لأن تمتلىء أذن ابن آدم رصاصاً مذاباً خير من أن يسمع حى على الصلاة حى على الفلاح ثم لا يجيب » وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه لاصلاة لجار المسجد إلا فى المسجد ، قيل من جار المسجد ؟ قال : من يسمع الأذان ، قال أيضاً : (من سمع النداء فلم يأت به لم تجاوز صلاته رأسه إلا من عذر) .

وقال ابن مسعود رضى الله عنه : من سهر أن يلقى الله غداً مسلماً

(٦٠٨) أخرجه الحاكم عن ابن عباس . وقد تقدم .

فليحافظ على هذه الصلوات الخمس حيث ينادى بهن ، فإن الله تعالى شرع لبيكم ﷺ سنن الهدى ، وإنها من سنن الهدى ، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلى هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم ، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق أو مريض . ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام فى الصف يعنى يتكىء عليهما من ضعفه حرصاً على فضلها وخوفاً من الإثم فى تركها .

(فصل) : وفضل صلاة الجماعة عظيم كما فى تفسير قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^(٦١٠) إنهم المصلون الصلوات الخمس فى الجماعات . وفى قوله تعالى : ﴿وَنُكْتَبُ مَا قَلَّمُوا﴾^(٦١١) أى خطاهم .

وفى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : « من تطهر فى بيته ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ليقضى فريضة من فرائض الله كانت خطواته إحداها تحط خطيئة والأخرى ترفع درجة ، فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلى عليه مادام فى مصلاه الذى صلى فيه يقولون : اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه ما لم يؤذ فيه أو يحدث فيه » .

وقال ﷺ : « ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطى إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط فذلكم الرباط » رواه مسلم .

[الكبيرة السابعة والستون : الإضرار فى الوصية]

قال الله تعالى : ﴿مَنْ بَغِدَ وَصِيَّةً يُوصَى بِهَا أَوْ ذَيْنَ غَيْرَ مُضَارٍّ﴾^(٦١٢) .

. (٦١١) النساء : ١٢ .

. (٦١٠) يس : ١٢ .

. (٦٠٩) الأنبياء : ١٠٥ .

أى غير مدخل الضرر على الورثة ، وهو أن يوصى بدين ليس عليه يريد بذلك ضرر الورثة فمنع الله منه . وقال الله تعالى : ﴿ وَصِيَّةٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَلِيمٌ ﴾ (٦١٣) .

قال ابن عباس : يريد ما أحل الله من فرائضه في الميراث (ومن يطع الله ورسوله) في شأن الموارث (يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله) قال مجاهد : فيما فرض الله من الموارث .

وقال عكرمة عن ابن عباس من لم يرض بقسم الله ويتعدى ما قال الله (يدخله ناراً) .

وقال الكلبي يعنى يكفر بقسمة الله الموارث ويتعدى حدوده استحلالاً (يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين) . وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الرجل أو المرأة ليعمل بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران في الوصية فتجب لهما النار » ثم قرأ أبو هريرة هذه الآية ﴿ من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار ﴾ رواه أبو داود .

وجاء عنه ﷺ أنه قال : « من فر بميراث وارث قطع الله ميراثه من الجنة » (٦١٣) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث » صححه الترمذى .

[الكبيرة الثامنة والستون : المكر والخديعة]

وقال النبى ﷺ « المكر والخديعة في النار » (٦١٤) .

وقال ﷺ : « لا يدخل الجنة خب ولا بخل ولا منان » (٦١٥) . وقال الله

(٦١٣) أخرجه ابن ماجه عن أنس ، وسنده ضعيف .
(٦١٥) أخرجه أبو يعلى والترمذى عن أبى بكر .

(٦١٢) النساء : ١٢ .
(٦١٤) أخرجه البيهقى في الشعب .

تعالى عن المنافقين : ﴿يَخَازِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾^(١١٦) . قال الواحدى يعاملون عمل الخداع على خداعهم . وذلك أنهم يعطون نوراً كما يعطى المؤمنون ، فإذا مضوا على الصراط أطفئ نورهم ، وبقوا فى الظلمة .

وقال ﷺ فى حديث : « وأهل النار خمسة ، وذكر منهم رجلا لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك »^(١١٧) .

[الكبيرة التاسعة والستون : من جس على المسلمين ودل على عورتهم]

فيه حديث حاطب بن أبى بلتعة وأن عمر أراد قتله بما فعل ، فمنعه رسول الله ﷺ من قتله لكونه شهد بدر^(١١٨) ، إذا ترتب على جسسه وهن على الإسلام وأهله وقتل أو سبى أو نهب أو شيء من ذلك ، فهذا ممن سعى فى الأرض فساداً ، وأهلك الحرث والنسل ، فيتعين قتله وحق عليه العذاب . نسأل الله العفو والعافية . وبالضرورة يدرى كل ذى جس أن التهمة إذ كانت من أكبر المحرمات فنميمة الجاسوس أكبر وأعظم .

نعوذ بالله من ذلك ونسأله العفو والعافية ؛ إنه لطيف خبير جواد كريم .

[الكبيرة السبعون : سب أحد من الصحابة رضوان الله عليهم]

ثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : يقول الله تعالى : ﴿ من عادى لى ولياً فقد آذنته الحرب ﴾ ، وقال ﷺ : « لا تسبوا أصحابى فوالذى نفسى بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدكم ولا نصيفه » مخرج فى الصحيحين .

وقال ﷺ : « الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضاً بعدى ، فمن أحبهم فبحبى أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ، ومن آذاهم فقد

(١١٦) النساء : ١٤٢ .

(١١٧) أخرجه أحمد ومسلم عن ابن حمار .

(١١٨) أخرجه الشيخان عن على بن أبى طالب .

آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله ، ومن آذى الله أوشك أن يأخذه » أخرجه الترمذى .

ففى هذا الحديث وأمثاله بيان حالة من جعلهم غرضاً بعد رسول الله ﷺ وسبهم وافترى عليهم وعابهم وكفرهم واجترأ عليهم .

وقوله ﷺ : « الله الله » كلمة تحذير وإنذار كما يقول المحذر : النار النار أى احذروا النار ، وقوله : « لا تتخذوهم غرضاً بعدى » أى لا تتخذوهم غرضاً للسب والطعن ، كما يقال : (اتخذ فلان غرضاً لسبه أى هدفاً للسب) وقوله : (فمن أحبهم فحببى أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم) ، فهذا من أجل الفضائل والمناقب ؛ لأن محبة الصحابة لكونهم صحبوا رسول الله ﷺ ونصروه وآمنوا به وعززوه وواسوه بالأنفس والأموال ، فمن أحبهم فإنما أحب النبى ﷺ . فحب أصحاب النبى ﷺ عنوان مجبته وبغضهم عنوان بغضه ، كما جاء فى الحديث : « حب الأنصار من الإيمان وبغضهم من النفاق » (٦١٩) ، وماذا لك إلا لسابقتهم ومجاهدتهم أعداء الله بين يدى رسول الله ﷺ . وكذلك حب على رضى الله عنه من الإيمان ، وبغضه من النفاق ، وإنما يعرف فضائل الصحابة رضى الله عنهم من تدبير أحوالهم وسيرهم وآثارهم فى حياة رسول الله ﷺ وبعد موته من السابقة إلى الإيمان والمجاهدة للكفار ، ونشر الدين ، وإظهار شعائر الإسلام ، وإعلاء كلمة الله ورسوله ، وتعليم فرائضه وسننه ، ولولاهم ماوصل إلينا من الدين أصل ولا فرع ، ولا علمنا من الفرائض والسنن سنة ولا فرضاً ، ولا علمنا من الأحاديث والأخبار شيئاً .

فمن طعن فيهم أو سبهم فقد خرج من الدين ومرق من ملة المسلمين ، لأن الطعن لا يكون إلا عن اعتقاد مساوئهم وإضمار الحقد فيهم وإنكار ماذكره الله تعالى فى كتابه من ثنائه عليهم ، والرسول الله ﷺ من ثنائه عليهم وفضائلهم ومناقبهم وحبهم ، ولأنهم أرضى الوسائل من المآثور والوسائط من الوسائل (٦١٩) أخرجه مسلم والفقهاء عن أنس .

المنقول ، والطعن في الوسائط طعن في الأصل ، والازدراء بالناقل ازدراء بالمنقول ، هذا ظاهر لمن تدبره ، وسلم من النفاق ومن الزندقة والإلحاد في عقيدته ، وحسبك ماجاء في الأخبار والآثار من ذلك كقول النبي ﷺ : « إن الله اختارني واختار لي أصحابا ، فجعل لي منهم وزراء وأنصارا وأصهارا ، فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا » (٦٢٠) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال أناس من أصحاب رسول الله ﷺ : إنا نُسب ، فقال رسول الله ﷺ : « من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » (٦٢١) .

وعنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله اختارني واختار لي أصحابا وجعل لي أصحابا وإخوانا وأصهارا ، وسيجيء قوم بعدهم يعيبنهم وينقصونهم فلا تؤاكلوهم ولا تشاربوهم ولا تناكحوهم ولا تصلوا عليهم ولا تصلوا معهم » (٦٢٢) .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا ذكر أصحابي فأمسكوا ، وإذا ذكر النجوم فأمسكوا ، وإذا ذكر القدر فأمسكوا » (٦٢٣) . قال العلماء : معناه من حص عن سر القدر في الخلق ، وهو : أي الإمساك علامة الإيمان والتسليم لأمر . ، وكذلك النجوم ، ومن اعتقد أنها فعالة أو لها تأثير من غير إرادة الله عز وجل فهو مشرك ، وكذلك من ذم أصحاب رسول الله ﷺ بشيء ، وتبع عثراتهم ، وذكر عيبا وأضافه إليهم ، كان منافقا . بل الواجب على المسلم حب الله وحب رسوله ، وحب ما جاء به ، وحب من يقوم بأمره ، وحب من يأخذ بهديه ويعمل بسنته ، وحب آله وأصحابه

(٦٢٠) أخرجه الطبراني في الكبير عن ابن ساعدة .

(٦٢١) أخرجه الترمذي عن ابن عمر .

(٦٢٢) أخرجه البيهقي عن أنس .

(٦٢٣) أخرجه ابن عدي عن ابن مسعود .

وأزواجه وأولاده وغلمانه وخدامه ، وحب من يحبهم ، وبغض من يبغضهم ،
« لأن أوثق عرى الإيمان الحب في الله ، والبغض في الله » (٦٢٤) .

٩ قال أيوب السخيتي رضي الله عنه : من أحب أبا بكر فقد أقام منار
الدين ، ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل ، ومن أحب عثمان فقد استنار ينور
الله ، ومن أحب علياً فقد استمسك بالعروة الوثقى ، ومن قال الخير في أصحاب
رسول الله ﷺ فقد برىء من النفاق .

(فصل) : وأما مناقب الصحابة وفضائلهم فأكثر من أن تذكر ،
وأجمعت علماء السنة أن أفضل الصحابة : العشرة المشهود لهم ، وأفضل
العشرة : أبو بكر ، ثم عمر بن الخطاب ، ثم عثمان بن عفان ، ثم علي بن أبي
طالب رضي الله عنهم أجمعين ، ولا يشك في ذلك إلا مبتدع منافق خبيث .

وقد نص النبي ﷺ في حديث العرياض بن سارية حيث قال : « عليكم
بسنن وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى ، عضوا عليها بالنواجذ ،
وإياكم ومحدثات الأمور » (٦٢٥) الحديث .

والخلفاء الراشدين هم : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم
أجمعين . وأنزل الله في فضائل أبي بكر رضي الله عنه آيات من القرآن ، قال الله
تعالى :

﴿ وَلَا يَأْتِلُ أَوْلُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى
وَالْمَسَاكِينِ ﴾ (٦٢٦) . الآية . لاختلاف أن ذلك فيه ، فنعته بالفضل رضوان الله
عليه . وقال تعالى : ﴿ ثَالِثِ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ ﴾ (٦٢٧) الآية ، لا خلاف
أيضا أن ذلك في أبي بكر — رضي الله عنه — شهدت له الرواية بالصحبة ،

(٦٢٤) نص حديث أخرجه الطيالسي وأحمد عن ابن مسعود .

(٦٢٥) أخرجه الحاكم والدارمي وأبو داود عن العرياض .

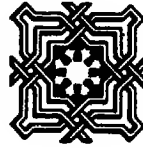
(٦٢٦) البور : ٢٢ .

(٦٢٧) التوبة : ٤٠ .

وبشره بالسكينة وحلاه بثاني اثنين كما قال عمر ابن الخطاب رضى الله عنه : من
يكون أفضل من ثاني اثنين الله ثالثهما ؟ وقال الله تعالى :

﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (٦٢٨) .

قال جعفر الصادق : لا خلاف أن الذي جاء بالصدق رسول الله ﷺ
والذي صدق به أبو بكر رضى الله عنه وأى متقبة أبلغ من ذلك فيهم ؟ رضى الله
عنهم أجمعين .



الفهرس

٥	المقدمة
٧ :	الكبائر
٨ : الشك بالله	الكبيرة الأولى
١١ : قتل النفس	الكبيرة الثانية
١٣ : في السحر	الكبيرة الثالثة
١٥ : في ترك الصلاة	الكبيرة الرابعة
٢٨ : منع الزكاة	الكبيرة الخامسة
٣٢ : إفطار يوم رمضان بلا عذر	الكبيرة السادسة
 : في ترك الحج مع القدرة	الكبيرة السابعة
٣٣ عليه	
٣٤ : عقوق الوالدين	الكبيرة الثامنة
٤١ : هجر الأقارب	الكبيرة التاسعة
٤٣ : الزنا	الكبيرة العاشرة
٤٨ : اللواط	الكبيرة الحادية عشر
٥٣ : الربا	الكبيرة الثانية عشر
٥٦ : أكل مال اليتيم وظلمة	الكبيرة الثالثة عشر
 : الكذب على الله عز وجل	الكبيرة الرابعة عشر
٦١ : وعلى رسوله ﷺ	
٦١ : الفرار من الزحف	الكبيرة الخامسة عشر

الكبيرة السادسة عشر	: غش الإمام الرعية وظلمه
الكبيرة السابعة عشر	٦٢ لهم
الكبيرة الثامنة عشر	٦٦ الكبر :
الكبيرة التاسعة عشر	٦٨ شهادة الزور :
الكبيرة العشرون	٦٩ شرب الخمر :
الكبيرة الحادية والعشرون	٧٧ القمار :
الكبيرة الثانية والعشرون	٨٠ قذف المحصنات :
الكبيرة الثالثة والعشرون	٨٢ الغلول من الغنيمة :
الكبيرة الرابعة والعشرون	٨٥ السرقة :
الكبيرة الخامسة والعشرون	٨٦ قطع الطريق :
الكبيرة السادسة والعشرون	٨٨ اليمين الغموس :
الكبيرة السابعة والعشرون	٩٠ الظلم :
الكبيرة الثامنة والعشرون	١٠١ المكاس :
	أكل الحرام وتناوله على أى
	١٠٤ وجه كان
الكبيرة التاسعة والعشرون	١٠٨ أن يقتل الإنسان نفسه :
الكبيرة الثلاثون	١١٠ الكذب فى غالب أقواله :
الكبيرة الحادية والثلاثون	١١٣ القاضى السوء :
الكبيرة الثانية والثلاثون	١١٥ أخذ الرشوة على الحكم :
الكبيرة الثالثة والثلاثون	تشبه النساء بالرجال وتشبه
	١١٧ الرجال بالنساء
الكبيرة الرابعة والثلاثون	: الديوث المستحسن على أهله
	والقواد الساعى بين الأثنين
	١٢٠ بالفساد ١٢٠

١٢١	: المحلل والمحلل له	الكبيرة الخامسة والثلاثون
	: عدم التنزه من البول وهو	الكبيرة السادسة والثلاثون
١٢٣	شعار النصرارى	
١٢٥	: الرياء	الكبيرة السابعة والثلاثون
١٢٧	: التعلم للدنيا وكتمان العلم ..	الكبيرة الثامنة والثلاثون
١٣٠	: الخيانة	الكبيرة التاسعة والثلاثون
١٣٢	: المَنَّان	الكبيرة الأربعون
١٣٣	: التكذيب بالقدر	الكبيرة الحادية والأربعون
	: التسمع على الناس	الكبيرة الثانية والأربعون
١٣٩	ومأيسرون	
١٤٠	: المنام	الكبيرة الثالثة والأربعون
١٤٣	: اللعان	الكبيرة الرابعة والأربعون
١٤٧	: الغدر وعدم الوفاء بالعهد ..	الكبيرة الخامسة والأربعون
١٤٨	: تصديق الكاهن والمنجم ...	الكبيرة السادسة والأربعون
١٥١	: نشوز المرأة على زوجها	الكبيرة السابعة والأربعون
	: التصوير فى الثياب والحيطان	الكبيرة الثامنة والأربعون
١٥٩	والحجر والدرهم	
	: اللطم والنياحة وشق	الكبيرة التاسعة والأربعون
١٦١	الثوب	
١٧٧	: البغى	الكبيرة الخمسون
١٧٨	: الاستطالة	الكبيرة الحادية والخمسون
١٨٥	: أذى الجار	الكبيرة الثانية والخمسون
١٨٧	: أذى المسلمين وشمهم	الكبيرة الثالثة والخمسون
	: أذية عباد الله والتطول	الكبيرة الرابعة والخمسون
١٩٠	عليهم	
٢١٩		

١٩٢	: إنبال الإزار والثوب	الكبيرة الخامسة والخمسون
	: لبس الحرير والذهب	الكبيرة السادسة والخمسون
١٩٤	: للرجال	
١٩٤	: إباق العبد	الكبيرة السابعة والخمسون
١٩٥	: الذبح لغير الله عز وجل	الكبيرة الثامنة والخمسون
	: فيمن ادعى إلى غير أبيه وهو	الكبيرة التاسعة والخمسون
١٩٦	: يعلم	
١٩٧	: الجدل والمراء واللدن	الكبيرة الستون
٢٠٠	: منع فضل الماء	الكبيرة الحادية والستون
	: نقص الكيل والذراع وما أشبه	الكبيرة الثانية والستون
٢٠١	: ذلك	
٢٠٢	: الأمن من مكر الله	الكبيرة الثالثة والستون
	: أذية أولياء الله (الموجود هو	الكبيرة الرابعة والستون
٢٠٥	: آخرها فقط)	
	: تارك الجماعة فيصلى وحده	الكبيرة الخامسة والستون
٢٠٦	: من غير عذر	
	: الإصرار على ترك صلاة	الكبيرة السادسة والستون
	الجمعة والجماعة من غير	
٢٠٧	: عذر	
٢٠٩	: الإضرار في الوصية	الكبيرة السابعة والستون
٢١٠	: المكر والخديعة	الكبيرة الثامنة والستون
	: من جس على المسلمين ودل	الكبيرة التاسعة والستون
٢١١	: على عورتهم	
	: سب أحد من الصحابة	الكبيرة السبعون
٢١١	: رضوان الله عليهم	

سلسلة اخترت لك من التراث

صدر منها :

١ - الثبات عند المحامات

لحافظ أبى الفرج عبد الرحمن ابن
الجوزى .
تحقيق : عبد اللطيف عاشور .

٢ - فتاوى النساء

شيخ الاسلام ابن تيميه .
تحقيق : إبراهيم محمد الجمل .

٣ - يوم الفزع الأكبر

للامام القرطبي .
تحقيق : محمد إبراهيم سليم .

٤ - فتاوى رسول الله ﷺ

للامام الجليل ابن قيم الجوزية .
تحقيق : مصطفى عاشور .

٥ - قصة السحر والسحرة
فى القرآن الكريم

للامام محمد الرازى فخر الدين
تحقيق : محمد إبراهيم سليم .

٦ - طبائع النساء

للفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربه
الأندلسي .
تحقيق : محمد إبراهيم سليم .

٧ - تفسير الاحلام

للامامين الجليلين
ابن سيرين والنايلسي .
تحقيق : إبراهيم محمد الجمل .

٨ - المنيات

لأبي عبد الله محمد بن علي الحكيم
الترمذي .
تحقيق : محمد عثمان الخشت .

٩ - نزهة الجلساء في أشعار النساء .

للامام جلال الدين السيوطي
تحقيق : عبد اللطيف عاشور .

١٠ - تأديب الناشئين

بأدب الدنيا والدين .

لأحمد بن محمد بن عبد ربه
الأندلسي .
تحقيق : محمد إبراهيم سليم .

١١ - غرائب وعجائب الجن

للشيخ العلامة المحدث بدر الدين
أبي عبد الله محمد بن عبد الله
الشبلي الحنفى .
تحقيق : إبراهيم محمد الجمل .

١٢- التوهم رحلة الإنسان
إلى عالم الآخرة .

للحارث بن أسد المحاسبى .
تحقيق : محمد عثمان الخشت .

١٣- مختصر الطب النبوى .

للمحافظ الامام جلال الدين عبد
الرحمن أبى بكر السيوطى
تحقيق : إبراهيم محمد الجمل .
تحقيق : نشأت المصرى .

١٤- السراج الوهاج
فى الاسراء والمعراج .

لأبى إسحق محمد بن إبراهيم
النعمانى الشافعى .
تحقيق : عبد القادر أحمد عطا .

١٥- فهم الصلاة .

للحارث بن أسد المحاسبى .
تحقيق : محمد عثمان الخشت .

١٦- مختصر إغاثة اللهفان .

لابن غانم المقدسى .
تحقيق : إبراهيم محمد الجمل .

١٧- علامات يوم القيامة .

للمحافظ ابن كثير الدمشقى .
تحقيق : عبد اللطيف عاشور .

١٨- الرزق الحلال

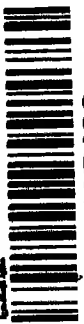
للحارث بن أسد المحاسبى .
تحقيق : محمد عثمان الخشت .

رقم الايداع ٧٥٨٤ / ٨٦



للطباعة والنشر والتوزيع
٢ شارع القماماش بالفرنسيه اوى - بولاق
القاهره - ت ٧٦١٠٦٢ - ٧٦٨٥٩١

Bibliotheca Alexandrina



0407403

٢٠٠ قرشا